



دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي



السنة الثانية

قسم التاريخ

تاريخ فدم



منشورات جامعة دمشق

كلية الآداب

دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي

تأليف

د. أرواد العلان

مدرسة في قسم التاريخ

د. محمود فرعون

أستاذ مساعد في قسم التاريخ

1432 هـ / 2011 م

2011 - 2012 م

جامعة دمشق



الصفحة	الفهرس
9	- المقدمة.
11	- الفصل الأول.
13	- أصل التسمية ومعناها.
16	- جغرافية إيران.
24	- مصادر دراسة التاريخ الإيراني.
49	- الفصل الثاني.
51	- الحضارة شروطها ومظاهرها.
51	- الحضارة والمدنية والثقافة.
53	- خصائص الثقافة.
55	- شروط قيام الحضارة.
57	- نظريات نشوء الحضارة.
59	- مظاهر الحضارة.
65	- اللغات والكتابة والتاريخ.
70	- عصور ما قبل التاريخ.
81	- الفصل الثالث.
83	- موجز تاريخ المنطقة قبل الآريين.
87	- عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد.
97	- الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد.

103	- أصل الإيرانيين وموطنهم.
106	-- الكسريون والسكثيون.
109	- الميديون.
110	- تأسيس المملكة.
112	- حضارة الميديين
114	- الإمبراطورية الفارسية.
115	- قوروش وتأسيس الإمبراطورية.
124	- الحضارة الأخمينية.
124	- الحياة السياسية والاجتماعية.
132	- الحياة الاقتصادية.
134	- الحياة الدينية.
151	-- الفن الأخميني.
157	- الفصل الرابع،
159	- مرحلة الحكم المقدوني " اليوناني".
163	- القرثيون.
166	- الحضارة القرثية.
166	-- الحياة السياسية الاجتماعية.
184	-- الحياة الدينية
193	-- الحياة الاقتصادية.
219	- الفصل الخامس.

221	... الساسانيون.
228	- الحضارة الساسانية.
228	- الحياة الاجتماعية.
240	- الحياة الدينية.
258	- الحياة الفنية.
262	- الحياة الاقتصادية.
273	- الفصل السادس.
275	- الفتح العربي لإيران.
275	- تحرير العراق وفتح إيران.
293	... فتح ولاية فارس
299	- فتح بلاد فارس
304	- الفتوحات في الجبهة الشرقية.
304	- الفتوح في منطقة ما وراء النهر.
307	... الفتوح في منطقة السند.
308	- الفتوحات في سرجان وطبرستان.
311	- الخاتمة
315	- الملاحق.
359	- المصادر والمراجع.



تعد بلاد فارس (إيران) جزءاً من الشرق القديم، لا يختلف عن غيره من مناطق الشرق، وقد توافرت فيه عوامل الاستقرار والرخاء، فنشأت الحضارة وقامت المدن والممالك، وشغل سكانه دوراً مهماً في التجارة العالمية، فلم يكونوا وسطاء تجارة فحسب، بل كانوا شركاء في بناء الحضارة، وأسهموا بتصحيحهم فيما قدمه هذا الشرق الخالد للإنسانية من حضارة.

يحاول هذا الكتاب استعراض تاريخ فارس القديم (إيران) من عصور ما قبل التاريخ حتى الفتح العربي عام 651م. وقد سعينا ألا يقتصر الكتاب على تناول التاريخ السياسي لهذه المنطقة فقط، بل أردنا له أن يتجاوز ذلك إلى الجوانب الحضارية المختلفة من اجتماع واقتصاد وأدب ودين. جاء الكتاب في مقدمة وستة فصول وخاتمة:

الفصل الأول تناول أصل تسمية بلاد فارس، وأقسامها الجغرافية، ومصادرها التاريخية. وتناول الفصل الثاني تعريف الحضارة ونشوءها وشروطها وعواملها، إذ لابد من الكشف عن ذلك لتوضيح العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة في الحضبة الإيرانية في العصور القديمة. موضحاً المراحل التي مرت بها من بحال المواقع الأثرية.

أما الفصل الثالث فتعرض لتاريخ المنطقة قبل ظهور الآريين والشعوب التي أقامت بها، ثم هجرة الآريين إليها، ومحاولتهم تأسيس ممالك، المملكة الميديّة، والمملكة الفارسية أو العصر (الإمبراطوري الأخميني). وقد تضمن هذا الفصل دراسة شاملة لتلك الممالك من مختلف السواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

وفي الفصل الرابع، عرضنا التطور التاريخي للهضبة، إذ وقعت تحت سيطرة الحكم اليوناني، ومن بعده السلوقي، الذي لم يستمر طويلاً إذ ظهرت أسرة حاكمة جديدة هي الأسرة الفرثية. فأشرنا إلى نضالها لتحرير البلاد من الإغريق (اليونان)، واستعرضنا نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وعرض الفصل الخامس وصول الأسرة الساسانية إلى الحكم في إيران، فتطرق إلى عوامل قيامها، وتومعائها بالإضافة إلى النظام الإداري والاقتصادي للمملكة، وحروبها وعلاقتها مع بيزنطة والشعوب المجاورة.

ثم انتهت فصول الكتاب بالفصل السادس الذي يتحدث عن الفتح العربي الإسلامي، وفيه ذكر للمعارك التي خاضها الطرفان، و نتائج هذا الفتح التي تلخصت بسيطرة العرب على إيران بالكامل إذ ارتبط تاريخها بعد عام ٦٥١م بتاريخ الدولة العربية الإسلامية. كما تضمن الكتاب قائمة، وعشرات توضيحية لكل مرحلة تاريخية، ومجموعة ملاحق.

لقد تقاسم المؤلفان كتابة هذه الفصول، فكتب د. محمود فرعون الفصل الأول والثاني والثالث، وكتبت الدكتورة أرواد العلان الفصول المتبقية أي الرابع والخامس والسادس.

وقد حاولنا خلال فصول هذا الكتاب، أن نفيد ما أمكن من كل المصادر التي وصلت إلينا بما فيها الأثرية، لرسم صورة عن تاريخ فارس وحضارتها وأملنا أن يبلغ هذا الكتاب غايته، وأن يكون لبنة في بناء المعرفة الإنسانية، ورافداً معرفياً لأبنائنا الطلاب ونحن نؤمن أن أي عمل علمي مهما اجتهد فيه صاحبه، لا يبلغ درجة الكمال، لذا فإنه بسرنا أن نلقى آراء الزملاء والطلاب في هذا الكتاب، لنستفيد من نقادهم.

والله الموفق

د. أرواد العلان

د. محمود فرعون

٣٠ الفصل الأول

- أصل التسمية ومعناها.
- جغرافية إيران.
- مصادر دراسة التاريخ الإيراني.
- المصادر المادية.
- النقوش.
- المصادر اليونانية والرومانية.
- هيكاتيوس الملتي.
- أيسخيلوس.
- ديونوسيوس الميليقي.
- هيرودوت.
- ثوكوديدس.
- كنسيلاس.
- أكسينوفون.
- المصادر الراهنية والمصرية المعاصرة.
- المصادر الدينية.
- التوراة.
- الكتب الدينية الفارسية.

- المصادر الفارسية:
- كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم.
- مؤلف مجهول، نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب.
- رسالة تنسر.
- القصص الفارسية.



– أصل التسمية ومعناها

استخدمت تسمية بلاد فارس أو إيران للدلالة على منطقة جغرافية واحدة، ولكنهما غير متطابقتين تماماً، وتسمية إيران هي الأقدم وليست حديثة كما تذهب إليه بعض الآراء، بل هي اصطلاح أطلقه الإمبرانيون على بلادهم، وتعني أرض الآريين أي السادة "الأسياء" وترجع الكلمة إلى أصول قديمة، فقد ذكرت الأفيستا "الكتاب المنسوب لزرادشت" المواطن الأصلي للآريسين باسم Airyana- Vaejah "إريانا ونجه"⁽¹⁾. هذا هو إقليم حوارزم وما حوله ويقن إنه أقدم مهد للآريين، ثم أخذوا بالتوسع شيئاً فشيئاً نحو الغرب والجنوب في أرض كان تسكنها أمم وأجناس مختلفة فسيطروا سيطرتهم عليها وسموها باسم Airyana "أريانا" وتحول هذا الاسم في البهلوية إلى أران وفي الفارسية إلى إيران.

وتعد في نقوش المقابر الملكية "نقش رستم" قرب اصطخر، الملك داريوش عرف نفسه بأنه "ابن وشتاسب، الملك الأخميني، الفارسي، الآري". ويذكر سترابون في القرن الأول قبل الميلاد، عس انتشار الشعوب الإيرانية المتعددة "مما وراء السند، فإن آريانا تمتد لتشمل بعض أجزاء فارس وميديا، وشمال باكتريا، وسوجديانا، لأن هذه الأمم والشعوب تتكلم تقريباً نفس اللغة"⁽²⁾.

وظهر مصطلح إيران في كثير من التسميات السامانية، وفي ألقاب المسؤولين الحكوميين على سبيل المثال إيران حفاره سابور، أي مجد إيران سابور. وإيران أماجار، أي الخراسان العام لإيران، أو إيران دهر بيد، أي رئيس الكتاب، وإيران شهر أي مملكة إيران أو دولة إيران.

وكانت إيران فيما مضى أكثر اتساعاً منها اليوم، أما اسم فارس فيعود لاسم الإقليم الذي يشغل الجزء الجنوبي الغربي من المنطقة الإيرانية، والذي سكنته قبائل باسم الفرس "Perses"، وقد أطلق الإغريق اسم فارس على المنطقة الإيرانية فيما بعد، انطلاقاً من اسم إقليم فارس.

¹ - سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص 345.

² - سترابون، الجغرافيا، 1، 2، 8، 15.

ثم اتسع مفهوم الاسم ليشمل كل البلاد التي احتلها قوروش في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وشكل منها الإمبراطورية الفارسية ((الأخمينية))، التي ضمت معظم بلاد الشرق القديم من أطراف الهند إلى مصر، وهكذا أصبح فارس (Persia) في الأزمنة القديمة اسم الإمبراطورية بأكملها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول ذكر للقبائل الفارسية (پارس) بارسو ورد في المصادر الآشورية التي تعود لمنتصف القرن التاسع قبل الميلاد، حيث كانت تنتشر هذه القبائل شمال غرب إيران، ثم انساحت جنوباً إلى شمال الخليج ومناطق عيلام القديمة.

ثم سقطت الإمبراطورية الفارسية تحت ضربات الإغريق والمقدونيين بزعماء الإسكندر المقدوني 331 ق.م، وبعد الإغريق حكم إيران الأسرة الفرثية (الإرشاقية) من عام 249 ق.م - 224 م، وبعدها الأسرة الساسانية التي حكمت ما بين 224 - 651 م، وبعدها أصبحت إيران جزءاً من الخلافة الإسلامية، وفي العصور الحديثة حكم إيران عدد من الأسر:

الأسرة الصفوية: 1501-1736 م

الأسرة الأفشارية: 1736 - 1749 م

الأسرة القاجارية: 1749 - 1925 م

الأسرة البهلوية: 1925 - 1979 م.

وفي عام 1935 زمن الأسرة البهلوية، طلبت إيران من حكومات الدول الأخرى، أن تعتمد اسم إيران الذي أصبح الاسم الرسمي للبلاد الإيرانية، ولكن نظراً لأن اسم فارس كان مستخدماً في المصادر والمراجع التاريخية والأدبية، فقد صدر في تشرين الأول من عام 1949 م قرار حكومي بنص على جواز استخدام اسم فارس إلى جانب إيران، وبعد ثلاثة عقود من هذا القرار، وفي عام 1979 م نجحت الثورة الإسلامية في إيران بإسقاط الحكم الإمبراطوري وأعلنت قيام جمهورية إيران الإسلامية⁽¹⁾.

¹ - فرزات (تعمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، دمشق، 1989 م، ص 7.

ولم يلقَ مصطلح إيراني في الإشارة إلى لغة إيران أي قبول، لذلك تسمى لغة إيران باللغة الفارسية، وفي علم اللغات، يستعمل مصطلح اللغات الإيرانية للإشارة بشكل أوسع إلى اللغات الإيرانية وهي عائلة كبيرة من اللغات، والفارسية إحدى أعضائها، و يستعمل مصطلح فارسي و پارسي بشكل شائع للإشارة إلى اللغة الفارسية.

وأخيراً إن أغلب المختصين بالدراسات الإيرانية القديمة ومنهم هرتزفيلد E.E. Herzfeld، و غرشمان R. Ghirshman وكريستنسن A. Christensen، وغيرهم اعتمدوا تسمية إيران، ثم إن الإيرانيين أنفسهم استخدموا المصطلح إيران القديم، حيث إن معظم الكتب التي تناولت تاريخ إيران عنونت بـ (تاريخ إيران باستان) أي تاريخ إيران القديم كما هي حال كتاب حسن بهرnia الواقع في ثلاثة أجزاء. لكننا وضعنا تسمية الكتاب دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي لتتوافق مع اسم المقرر الذي ورد في خطة قسم التاريخ، وهذه التسمية غير صحيحة.

- جغرافية إيران

- الموقع

تقع إيران في جنوب غرب آسيا، ويتألف القسم الأكبر من أراضيها من هضبة على شكل مثلث محصور بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب، وبحر قزوين في الشمال، وتصل ما بين وسط آسيا شرقاً وآسيا الغربية، كأنها جسر للعبور من الشرق باتجاه الغرب وسواحل البحر المتوسط. ويحيط بتلك الهضبة سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب، ويبلغ متوسط ارتفاع الأرض الإيرانية أكثر من 1000م فوق سطح البحر. وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها في الجنوب، وتقل كلما اتجهنا شمالاً، فيبلغ ارتفاعها في كرمان 1600 متر تقريباً، بينما لا يتجاوز في مشهد 1050 متراً، وفي تبريز 1200 متر. وبغية تسهيل الدراسة فإن إيران تقسم من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

1- المنطقة الغربية "جبال زاغروس":

وهي عبارة عن مجموعة من السلاسل المتوازية، التي يتراوح ارتفاعها بين 1000م و1700م، وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتسمى أقسامها الشمالية بجبال كردستان، وأقسامها الوسطى بجبال لورستان، وأقسامها الجنوبية بجبال بختياري. ويقدر طولها بحوالي 1000 كم تقريباً، وعرضها محدود بـ 200 كم. وتختصر هذه السلاسل فيما بينها عدداً من الأودية التي يتراوح عرضها ما بين 10 كم إلى 20 كم.

وتتميز المناطق الشمالية الغربية من زاغروس بأنها أكثر ارتفاعاً، وتسقط عليها كميات غزيرة من الأمطار، أدت إلى تكوين عدد من بحاري الأمطار التي تنحدر

بسرعة نحو الأراضي العراقية، ورغم عبورة المنطقة وتأرجح مناخها بين الحرارة والبرودة، وغزارة الأمطار على المرتفعات، فإن الاستقرار السكاني فيها يعد من أكثر مراكز الاستيطان

في إيران، وتأقلم السكان مع الحياة الزراعية على السفوح والمناطق المنخفضة، حيث تنمو العديد من المحاصيل الرئيسية مثل: القمح والشعير والذرة والخضراوات، والفاكهة، وكذلك القطن والدخن، كما تعد المنطقة الشمالية الغربية من زاغروس مركزاً رئيسياً لطرق المواصلات ما بين الشرق والغرب.

أما القطاع الأوسط من زاغروس الذي يمتد جنوباً حتى مضيق هرمز، فالسلاسل الجبلية توازي بعضها بعضاً ويزداد انسياعها ناحية الجنوب والجنوب الشرقي، وقد نشأت بعض بحاري المياه طرئفاً في هذه السلاسل ممرات ضيقة تنحدر نحو الغرب لتصب في بحر دجلة والخليج العربي.

القطاع الجنوبي يمتد في جنوب شرق إيران، وأهم ما يميز هذا القطاع هو انخفاض معدل سقوط الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا جنوباً حتى مضيق هرمز، ويضاف إلى فقر هذه المنطقة في الإنتاج الزراعي، أن المناطق المرتفعة تظل مباشرة على شاطئ الخليج العربي مما أدى إلى ندرة وجود الأماكن التي تصلح موانئ طبيعية.

2- المناطق الشمالية المرتفعة "جبال البرز":

تشكل سلسلة جبال البرز، الحدود الشمالية لفضة إيران فهي تمتد كقوس لا يتجاوز متوسط عرضه 100 كم، يحيط بسواحل بحر قزوين من الجنوب، ويوجد في هذه السلسلة أعلى قمة تقع شمال شرق طهران بحوالي 64 كم، وهي قمة دماوند Damavand التي يبلغ ارتفاعها 5604 م⁽¹⁾، وتسمى القمة في المصادر السمارية بجبل بكني أي جبل اللازورد⁽²⁾.

1 - إيران اليوم، نشر منظمة الإعلام الإسلامي، ط1، طهران، 1991م، ص15.

2 - (الفرط): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (حضارة وادي النيل، جزيرة العرب، بلاد الشام وبلاد إيران، الإسكندرية، السلوقيون، اليونان، الرومان) دار المعلمين العليا للطباعة، ط1955، ج2، ص374.

تتصل سلسلة جبال البرز في الغرب والشمال الغربي بحضاب تاليش، التي يتخللها عدداً من الأودية الضيقة التي تكونت نتيجة هطول الأمطار الغزيرة على المناطق المنخفضة على بحر قزوين، فشكّلت بحاري مائية المنحدت باتجاه بحر قزوين، واتجه بعضها الآخر نحو الجنوب والغرب. وتنتهي حضاب تاليش في الغرب إلى منطقة أذربيجان التي تتوسطها بحيرة "أورمية" المالحة ويمتاز إقليم أذربيجان بكثافة السكان وتنمو في وديانها الحفصية زراعات القمح والدخن والقطن والتبغ والرز، كما أنه يعد طريقاً مهماً للعبور، إذ يمكن الدخول إليه من الشمال والشمال الغربي والشمال الشرقي، ولذلك أطلق عليه اسم "برزخ ميديا" كما أنه ذو شهرة تاريخية خاصة، إذ ظهرت فيه سلالات الميديين والفرس.

وعند بوابات أذربيجان كان على جيوش الإمبراطورية الأخمينية أن تقف حارساً يقطعاً في وجه الشعوب الطامعة القادمة من الفقاس ومن السهوب الروسية الجنوبية، وأن تقيم في سبيل ذلك سلسلة من التحصينات التي ما تزال بعض آثارها باقية حتى الآن⁽¹⁾، وتمتد سلسلة جبال البرز نحو الشرق لتتصل بجبال عراسان.

وتنمو الأشجار على المنحدرات الشمالية لجبال البرز، بينما تقل على المنحدرات الجنوبية، ويوجد شمال سلاسل جبال البرز سهل تكون تدريجياً نتيجة تراجع مياه بحر قزوين، ويتراوح عرضه ما بين 24 كم إلى 32 كم، وأحياناً يضيق إلى كيلو متر ونصف، وأهم أقسامه سهول جرجان في الشرق ومازندران في الوسط وجيلاان في الغرب، وتعد هذه السهول من أحصص الأراضي الإيرانية.

3- المنطقة الشرقية:

تقع هذه المنطقة من إيران بين سلاسل جبال البرز شمالاً، والحد الجنوبي الشرقي لسلاسل جبال زاغروس، وتتميز هذه المنطقة بعدم وجود وحدة جغرافية تربط فيما بينها، فالمناطق المرتفعة نتباين من حيث اتجاه مجاريها واتجاهاتها، كما أنها في كثير من

1 - فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، ص 11-12.

المواضع تتباعد عن بعضها تاركة العديد من المناطق المنخفضة، وتنصف المنطقة الشرقية بشكل عام بالحقاف وعدم وجود إنتاج زراعي لها.

ومناطق الاستقرار في هذه المنطقة قليلة، ولا توجد إلا في الأماكن المحمية من الرياح الشديدة، وفي الأراضي المنخفضة بالقرب من منحدرات التلال حيث توجد بعض الأراضي الزراعية بجوار الأنهار القليلة الموجودة في هذه المنطقة ومن أهم هذه المناطق، المنطقة المنخفضة لموضع نهر هيلماند والذي يطلق عليه سيستان، وتصل المياه إلى هذه المنطقة من أنهار أفغانستان⁽¹⁾.

أما جبال خراسان فهي قليلة الارتفاع، وسهلة الاختياز، وفيها عدد من الوديان والشعاب شديدة الخصوبة، ولذلك شكلت من حيث تكوينها الطبيعي المدخل الثاني للعبور إلى وسط إيران، ومن هذا المدخل عبر الغزاة القادمين من سهول وسط آسيا، وقد أقام الملوك الساسانيون في هذه المنطقة سوراً شامكاً من الآخر بلغ طوله عدة كيلو مترات لصيد الخطر عن أنفسهم من هذه الناحية، وما زالت بعض بقايا هذه السور قائمة حتى الآن.

وفي هذه المنطقة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من إيران كانت المهدي لظهور عدد من الأسر المشهورة التي حكمت إيران كالفريين، والصفويين، والقاجاريين، وأخيراً فإن الجبال التي تحدد المثلث الإيراني، تكتمل بالسلسلة الجنوبية المعروفة باسم جبال مكران، ويمتدق هذه السلسلة ممران: أحدهما يتجه إلى ميناء بندر عباس، على خليج عُمان، والثاني يتجه نحو الشرق إلى بلوچستان⁽²⁾.

1 - سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص 160.

2 - ياق، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ص 375.

4- وسط الهضبة الإيرانية (الصحراء):

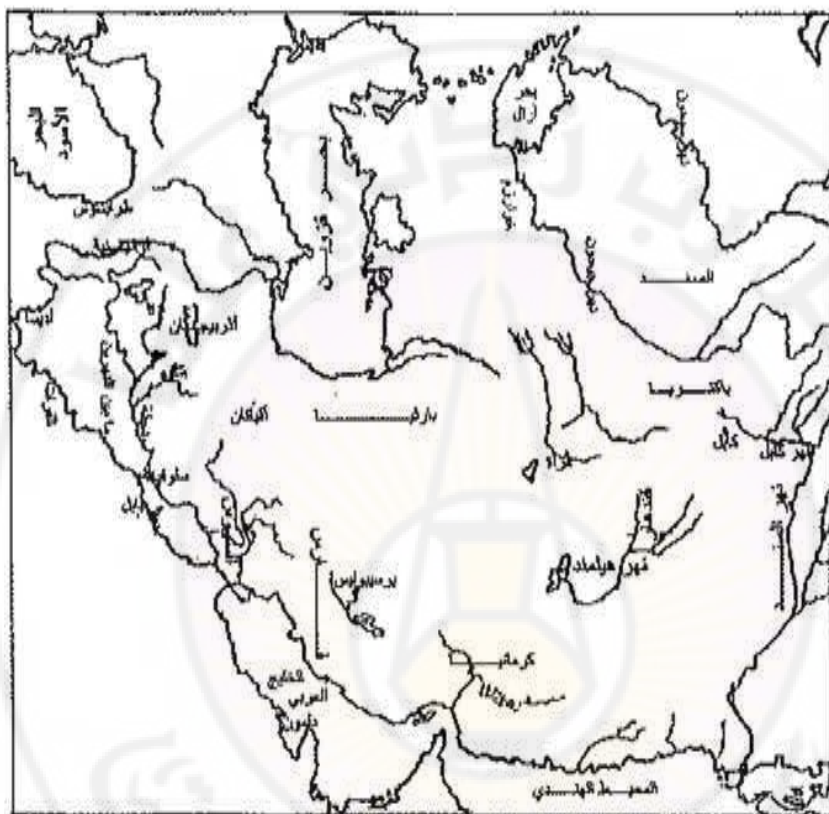
تشكل المنطقة الداخلية في إيران من بقايا بحيرات كانت قائمة في الماضي البعيد، ولم يبق من هذه البحيرات سوى حوض طيني ملحي لا نبات فيه ولا حياة، وتعد هذه المنطقة من أشد بقاع العالم جفافاً، وتنقسم إلى صحراءين شاسعتين تسمى إحداهما صحراء كافر "دشتي كافر" في الشمال، والأخرى صحراء لوط "دشتي لوط" في الجنوب.

فالأولى عبارة عن طين وملح لا ينمو أو يعيش فيها شيء، أما الثانية صحراء لوط فهي صحراء قاحلة على وجه الإطلاق، وتعد من أكثر مناطق العالم جفافاً، وتشكل المناطق الصحراوية حوالي سدس مساحة إيران.

وهكذا فقد انحصرت حياة الإنسان واستيطانه في إيران في الوديان بين سلاسل الجبال وفي الواحات، والسهول الواسعة مثل "سهل خوزستان" الذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية، وهي بلاد السوس القديمة، والتي تعد من الناحية الجغرافية امتداداً لسهل ما بين النهرين الأسفل، لأنها تتألف من الأرض الرسوبية التي كونها نهر كارون وروافده الكثيرة. وتعد هذه المنطقة من أقدم المناطق التي سكنها الإنسان في إيران، وفيها ظهرت البواكير الأولى لفكر حضارته.

أما السهول الأخرى الواقعة خارج الهضبة، وخاصة الواقعة على بحر قزوين، فإنها لم تقم بدور رئيسي في التطور الحضاري لإيران الذي تركز منذ أقدم العصور في الواحات المنتشرة بين سلاسل الجبال المحيطة بالهضبة، ويمكن الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ من التغلب على المشاكل التي تواجهه في إمكانية زراعة هذه الواحات، ومن

أهم هذه المشاكل كيفية تزويدها بالمياه، وقد استطاع التغلب على هذه المشكلة بنحى جميع مياه الأمطار، ثم شق القنوات المؤدية إلى هذه الواحات⁽¹⁾.



الإيمان بالمعاني للهوية الإلهية، بالرأى المجمع السابق، ج 2، ص 374.

1-... سليمان، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 162.

- المناخ:

يمكن تقسي إيران من حيث المناخ إلى ثلاثة مناطق هي:

- منطقة بحر قزوين.
- منطقة الهضبة الإيرانية.
- منطقة الخليج العربي.

يمتاز إقليم منطقة بحر قزوين بانخفاض الحرارة، وغزارة الأمطار الساقطة على مدار السنة ولا سيما في منطقة جيلان ومازندران، وترتفع الرطوبة في هذه المناطق ولهذا تنتشر زراعة الأرز والشاي، كما تنمو أشجار الزيتون في الممرات الجبلية. وفي بعض أقسام هذا الإقليم تنساقط الثلوج وتغطي القسم الجبلية على مدار السنة.

أما مناخ منطقة الهضبة الإيرانية فيتسم بالجفاف ولا سيما القسم الأوسط منه والمسمى بالصحراء، إذ تعد من أكثر المناطق جفافاً، أما باقي أقسام الهضبة فتتمتع بشتاء معتدل وصيف حار، وفي الإقليم الداخلي تنمو أشجار الفواكه وتعتمد فيه الغابات الواسعة. ويمتاز منطقة الخليج العربي بمناخها الحار الرطب وأمطارها القليلة.

أثرت العوامل الجغرافية مع توزيع مناطق الاستقرار البشري على الهضبة، مما أدى إلى ظهور المدن الكبرى، ولا سيما على امتداد سلسلي جبال زاغروس والبرز، وبشكل خاص في حوافهما الداخلية المواجهة للصحراء. فمن المدن التي ظهرت على الطريق التجاري الواقع على امتداد سلاسل جبال البرز، مدينة أكنباتنا "همدان" وطهران، ودمغان، وهرات، أما على الطريق الجنوبي فنشأت مدن أصفهان، وبازركادس، وبرسيبوليس، وشيراز، وبينت التقييات الأثرية الحديثة أن الإنسان في العصور القديمة استقر على امتداد نفس هذه الخط الذي يشبه القوس حول المنطقة الداخلية (الصحراء المالحة) في إيران.

ومن الأمور المهمة التي يجدر ذكرها، والتي أثرت في تاريخ إيران وحضارتها، الثروات الطبيعية، فهي غنية بأنواع الأحجار الثمينة، كاللازورد، والفيروز، والعقيق، بالإضافة إلى أحجار الرخام والمرمر، وتشير الأدلة الأثرية إلى استخراج هذه الأحجار منذ أقدم العصور، وكان لها دور كبير في طبيعة العلاقات ما بين العراق وإيران منذ أقدم العصور، وذلك نظراً لحاجة الإنسان العراقي إليها في صنع حضارته.

كما يتوافر في المنطقة الإيرانية العديد من المعادن كالنحاس والحديد والقصدير، والرماس. الأمر الذي أثار مطامع ملوك آشور الأقوياء ودفعهم إلى تسيير حملات متتابعة لفرض الغرامات والإتاوات. وكان معروفاً منذ زمن هيروdot على الأقل أن سفوح سلاسل جبال زاغروس تتكون من طيات كلسية تحوي فيما بينها على النفط الذي لم يجر استثماره إلا في القرن الماضي⁽¹⁾.

وعلى الرغم من إحاطة الجبال بإيران من معظم أطرافها، فإنها في حقيقة الأمر مفتوحة من جهات متعددة نحو الحضارات المجاورة والعالم الخارجي، كبلاد الرافدين من الغرب، والهند من الشرق، والسهول الروسية من الشمال، والخليج العربي والمحيط الهندي من الجنوب. مما أدى إلى جعل إيران طريقاً عالمياً للعبور. فغير أراضيها كانت تمر ولقرون عديدة طرق الحرير والتوابل والأحجار الكريمة. وعلى الطرق نفسها زحفت الجيوش الغازية والمدمرة التي غيرت وجه الشرق، جيوش الإسكندر المقدوني القادمة من الغرب، وجيوش قادة المغول والتتار القادمة من الشرق.

وهكذا صارت هذه البلاد ويسبب انتماعها ووفرة خيراتها وتنوع أشكال السطح فيها، وتعذر الدفاع عنها بصورة فعالة بونفة انصهرت فيها عبر تاريخ طويل أعراق وأقوام أنشأت حضارات متتابعة في مراكز متعددة، حيث تتوافر الشروط الملائمة على أطراف

1 - فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، ص 15.

الواحات والسهول الزراعية، ونجح الإنسان الذي أقام على هذه الأرض في إبداع ثقافة مميزة.

- مصادر دراسة التاريخ الإيراني.

لدراسة تاريخ إيران وحضارتها في العصور القديمة، لابد من العودة إلى مجموعة من المصادر الرئيسية يأتي في مقدمتها:

أولاً- المصادر المادية:

تشمل كل أنواع المكتشفات الأثرية، كالفصوص والمعابد، والأبنية الدينية الأخرى، والتماثيل والزخارف والرسوم والمنحوتات. إن دراسة هذه المكتشفات تمكننا من معرفة جوانب كثيرة عن تاريخ إيران وحضارتها.

أما الأواني الفخارية بنماذجها المتعددة وزيناتها والرسوم التي رسمت عليها فتساعد على تتبع المراحل التاريخية لعصور ما قبل التاريخ Prehistory .

ثانياً- النقوش:

تشمل كل الكتابات والنصوص المكتشفة في إيران وقد دونت أغلب هذه النقوش بالخط المسماري وباللغات الفارسية القديمة، والعلامية، والبابلية. ومما يجدر الإشارة إليه أن الكتابة المسمارية انتشرت في جميع أرجاء الشرق الأدنى القديم وكتب بها لغات عديدة مثل السومرية، والأكادية، والعلامية، والحثية، والفارسية القديمة، والخورية، والإبلية.

وقد طرأت عليها تطورات عديدة خلال تاريخها الطويل، ويمكن تشبيهها بالحرف اللاتيني المستخدم حالياً لكتابة العديد من اللغات الأوروبية الحديثة⁽¹⁾.

1 - مرعي (عبد): تاريخ بلاد الرافدين، دار الأبيدية، دمشق، 1991م، ص 18.

وهذه النقوش ليست كثيرة وأغلبها ينسب للملوك الآقوياء مثل فوروش، ودارا، وكسرخس. وكذلك لدينا عدد من الكتابات والنقوش التي تعود للفترة الساسانية الأولى والمنقوشة على السفوح الصخرية بالقرب من اصطخر "برسيبولس" كنقش رستم، ونقش رجب، وأغلب هذه النقوش كتبت بثلاث لغات، البهلوية الساسانية، والبهلوية الأشكانية، واليونانية، أما نقش بايكولي الذي وجد بكرستان ويعود لزمن الشاه نرسي فكتب باللغتين الرسميتين لذلك العهد، اللغة البهلوية الأشكانية، واللغة البهلوية الساسانية.

وبدا التعرف على النقوش الإيرانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، حينما زار بعض المبشرين والرحالة إيران، فقد ذكر بعضهم أن النقوش التي شاهدها لا تمت بصلة للفارسية الحديثة، ولا تشبه العربية أو الآرامية، ولم يستطيعوا تحديد اللغة المكتوبة بها إلى أن جاء "إنجلبرت كيمبفر" Engelbert Kaempfer الذي رافق بعثة سويدية إلى إيران سنة 1683م، وهو أول من حاول وصف النقوش وصفاً علمياً، بل هو أول من أطلق على تلك النقوش اسم "الكتابة المسمارية".

وفي سنة 1765م نسخ كارستن نيبور "Carsten Niebuhr"، الذي كان ضمن البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدنمارك إلى الشرق، بعض النقوش في برسيبولس، وكانت مكتوبة بثلاث لغات مختلفة، الفارسية القديمة، والعلامية المتأخرة، والبابلية. وقام ببعض المحاولات لمعرفة بعض علاماتها، وأسهمت محاولاته في مساعدة من جاؤوا بعده على معرفة هذه الكتابات، ومن أهم هؤلاء الألماني "جورج جروتفند" Grotefend Georg الذي خطا خطوات كبيرة في هذا المجال، ونجح في فك عدداً من رموز الفارسية القديمة سنة 1802م، ولذلك يمكن أن يقال بأنه أول من اكتشف مفتاح اللغة الفارسية القديمة.

وبذل علماء آخرون جهودهم في تفسير رموز الفارسية، ولكن نجاحهم كان محدوداً ومن أمثلة هؤلاء راسك Rask الدنماركي، وبرنوف Bernouf الروسي، ولاسن Lassen الألماني. ثم جاء اكتشاف الانكليزي هنري رولنسون Henry Rawlinson لنقش هستون، فكان له أبلغ الأثر في حل رموز الكتابة المسمارية بصفة عامة. فقد بدأ نسخه سنة 1835م، ثم نشره مترجماً ابتداءً من سنة 1846م، وأصبح بالإمكان تفسير النقش المدون بالفارسية القديمة، وقد ساعد ذلك على التوصل لحل رموز النقش العيلامي والبابلي، وبالتالي أمكن التوصل لقراءة النصوص المسمارية وتفسيرها، وهكذا أصبح هنري رولنسون أبرز مفسري الكتابة المسمارية والذي يعد بحق رائد أو أب الآشوريات⁽¹⁾.

ثالثاً- المصادر اليونانية والرومانية:

تعد كتابات المؤرخين اليونان والرومان من المصادر المهمة لدراسة تاريخ إيران القديم، وتكمن أهمية هذه الكتابات في معاصرهما للأحداث التي سجلتها في معظم الأحيان، لأن العديد من المؤرخين والجغرافيين قام بزيارة بلاد فارس (إيران) أو بعض مناطق الشرق القديم، فكتبوا عما شاهدوه في مؤلفاتهم، وبعضهم الآخر عمل في أراضي الإمبراطورية الفارسية أو كان من رعاياها، وشارك في بعض حروبها، كل ذلك ساعدهم في الحصول على معلومات عن إيران.

لكن رغم أهمية هذه المصادر، فإنه يؤخذ عليها بعض المآخذ منها:

- 1- إن الكثير مما ورد في المصادر اليونانية اقتصر على وصف المعارك الحربية البرية والبحرية، التي دارت بين اليونان والفرس، وذلك من وجهة نظر اليونان.

1 - عصفور (محمد أبو الحسن): معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، د. ت. ص 343.

- 2- إنهم اهتموا بذكر الوقائع التي تربط بلادهم مع إيران أو التي حدثت على حدود إيران الغربية، ولم يشيروا إلى الأحداث التي حوت داخل إيران أو على حدودها الشمالية والشرقية⁽¹⁾.
- 3- اعتمادهم الروايات الشفوية والأساطير التي حيكّت حول الأحداث البعيدة زمنياً، مما جعل كتاباتهم حول هذه الفترة بعيدة عن الدقة إلى حد كبير.
- 4- لا يوجد ود ولا دافع لدى مؤلفي هذه المصادر كي يجعلهم موضوعين في الكتابة عن هذه الإمبراطورية التي استولت على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى، ولم تكن بذلك بل هاجمت الإغريق في عقر دارهم.
- 5- روح التعصب التي عرفت عن الغربيين لحضارتهم، وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها، وذلك عن طريق عرض نواحي الغرابة في الحضارات الشرقية التي عاصرتها أو سبقتها⁽²⁾. ومن أشهر هؤلاء الرحالة والمؤرخين اليونان والرومان الذين نعتمد عليهم:

أ- هيكاتايوس الميليئي Hekataios of Miletos

بعد من أوائل مؤرخي اليونان في القرن السادس قبل الميلاد وينسب إلى مدينة ميلتوس الإغريقية في آسيا الصغرى، قام برحلات في أنحاء الإمبراطورية الفارسية، وفي بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود ومصر، تميزت كتاباته التي وصلتنا عن إيران بأنها أقرب إلى الجغرافيا أو الوصف الجغرافي، لأنه كان قبل كل شيء جغرافياً، حتى إنه أطلق عليه اسم "أبو الجغرافيا" ويعد من مؤسسي علم الجغرافيا.

1 - بيرنيا (حسن): تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم مجي الخشاب، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1992م، ص55-56.

2 - مهران (محمد بيومي): دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر الكتاب الأول التاريخ، ط1، الإسكندرية، 1982م، ص61.

ألف كتاباً أسماه رحلة حول البحر أو "خريطة العالم" احتوى إلى جانب الوصف الجغرافي للبلدان والأقاليم دراسة لتاريخها، كما قدم قائمة بتتابع الملوك والحكام وخاصة في آشور وميديا وفارس، وقيل إنه ضمنه خريطة لرحلته، وثبت عليها البلاد التي زارها.

وكان له مؤلف آخر يتصل بالتاريخ المبكر لليونان وهو "الأنساب"، ولم تصل إلينا كتابات هيكاتبوس كاملة ولكن وصلتنا فقرات في كتابات المؤرخين اللاحقين له⁽¹⁾.

ب — أيسخيلوس Aeschylus (525-456 ق.م)

ولد أيسخيلوس في أوليسيس عام 525 ق.م من عائلة نبيلة "أرستقراطية". وبكتنف الغموض سيرة حياته الأولى، وتوزعها الأقاويل والاحتمالات، لكن من المؤكد أنه شارك في معركة المارثون 490 ق.م، وسلاميس 480 ق.م. وتغنى بمجد أثينا وانتصارها، غير أنه نفى عن أثينا فيما بعد إلى جزيرة صقلية، ومات في بلدة "جالا" عام 456 ق.م⁽²⁾.

يختلف الباحثون حول عدد المسرحيات التي وضعها أيسخيلوس، والمرجح أنه وضع نحو تسعين مسرحية، لم يسلم منها كاملاً إلا سبع مسرحيات فقط، وما بهما في دراستنا المسرحية التي كتبها عن الفرس عام 472 ق.م، أي بعد انتهاء معركة سلاميس بثماني سنوات، وتمثل مسرحية الفرس قيمة تاريخية لأنها تعالج موضوعاً معاصراً للكاتب، ووصف انتصار الإغريق كشاهد عيان، إذ إنه اشترك بنفسه في تلك الحرب.

تبدأ المسرحية بظهور الملكة الأم زوجة داريوش والدة أكسرخس ملك الفرس في القصر الملكي والحاشية من حولها، يعترهم القلق والاضطراب لتأخر وصول الأخبار عن أكسرخس وجيشه، ويدور رجال الحاشية الذين يكونون جوقة الغناء بثياب فخمة،

1 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 182.

2 - مجموعة مؤلفين، مؤلفات الإغريق القدماء، موسكو، 1986م، ص 99.

لإعطاء فكرة عن ترف البلاط الفارسي، ثم يصور أيسخيلوس وصول أنباء هزيمة الفرس في معركة سلاميس، ونجاة الملك أكسرخس، ويعدد الأبطال الذين ماتوا، ويصف الجنود الفرس بالشجاعة والإقدام.

ثم يظهر حواراً بين طيف الملك داريوش المتوفى وزوجته مييناً أن أكسرخس قام بالغيلة، لأن رفاقه الأشرار كانوا يحضونه على القيام بحرب خارجية، من أجل أن يظهر بأنه الملك القوي الذي يستحق السلطة، وليس هو الوريث الضعيف لملك أبيه، وفي نهاية المسرحية، يظهر الملك أكسرخس على المسرح وقد ردت عليه الفريضة.... إنها الحرب ونتائجها وويلاتها بحسنة برجل..... (1).

جس - ديونوسيوس الميليتي Dionysios of Miletos

ينسب إلى مدينة ميليتوس في آسية الصغرى، عاش في بداية القرن الخامس ق.م، كتب عن تاريخ إيران القديم حتى وفاة داريوش، ويعتقد أن يكون هرودوت قد اطلع على ما جاء في كتاباته، بل يذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك فبدعوا أن كل ما هو ذو قيمة في مؤلف هرودوت إنما هو مأخوذ منه، ولكن هذه الآراء مبالغ فيها إلى حد ما ولا نعلم سبب اختفاء معظم كتابات ديونوسيوس، دون أن نجد لها أثراً في كتابات اللاحقين له، ورغم كل ذلك، فإننا نستفيد مما تبقى من كتابات ديونوسيوس في دراسة تاريخ إيران القديم، وذلك فيما يتصل بالحروب اليونانية الفارسية التي عاصرها (2).

1 - حاوي (إيليا): أيسخيلوس، دار الكتاب اللبناني، 1980م، ص 97 حتى 114.

مسكر (إبراهيم): أيسخيلوس، الهيئة المصرية للكتاب، 1972م، ص 84 وما بعد.

2 .. سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 184-186.

٤ - هيرودوت Herodotus (484 - 425 ق.م)

ولد هيرودوت عام 484 ق.م في مدينة هاليكارناسوس، وهي إحدى المدن الإغريقية في إقليم كاريا، والتي تقع في الجنوب الغربي من آسية الصغرى، وكانت تتبع آنذاك مملكة فارس. شغف منذ صغره بالعلم والدراسة، فأنكب على ما وقعت عليه يده، وقرأ الكثير حتى أصبح مولعاً بالعلم، وقد قاده ذلك إلى الارتحال وزبارة البلدان المختلفة داخل اليونان وخارجها، فزار مدن آسية الصغرى، كما زار جزر الأرخبيل اليوناني كزروردوس، وقيرص، وديلوس، وتاسوس، وكريت، وساموس وغيرها، وقام برحلة زار فيها العديد من مناطق الشرق القديم، حيث زار مصر وسورية وبلاد الرافدين وعبر إلى سوسه عاصمة الفرس، ثم همدان، وتنقل بين شواطئ البحر الأسود وجنوب روسيا.

وكان هدف هيرودوت من هذه الرحلات، جمع المعلومات لكتابة تاريخه المشهور "تاريخ الحروب بين اليونان وفارس"، لذلك كان يحاول جمع المعلومات دون كلل أو ملل، وكان يصف كل شيء، الأماكن، والأشخاص، والعادات، والعقائد، والأساطير، لكنه وصف تقريره ليس فيه تحليل كثير^(١).

وكذلك اعتمد على الرواية المتواترة من جيل إلى جيل، وهذه الطريقة ساعدته في الحصول على المعلومات، لكن جزءاً كبيراً منها غير حقيقي، ويذكر هيرودوت في أكثر

١ - حافظوم (نور الدين)، طربين (أحمد)، عاقل (نبية)، مدني (صلاح)، المدخل إلى التاريخ، دار الإنشاء، دمشق، 1964م، ص 102-104. سارة (حليل): دراسات في تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، 2001-2002م، ص 43. يحيى (لطفي عبد الوهاب): اليونان، دراهم النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص 61.

من موضع طريقة وضع كتابه فيقول: " أنه يسجل كل ما يقوله الناس له ولكنه غير ملزم بتصديق كل ما يقال"⁽¹⁾.

فقد سمى هيرودوت كتابه " تمحيص الأخبار"، والكتاب في صورته التي وصلتنا من حيث وضعه في تسعة أجزاء ليس من عمل هيرودوت، ولكنه من عمل النحويين السكندريين، الذين نسبوا كل جزء منه لإحدى ربات العلوم والفنون من بنات " زيوس" التسع، أما هيرودوت فكان يشير إلى أجزاء كتابه بكلمة الروايات⁽²⁾.

ويؤخذ على هيرودوت أنه اعتمد بشكل كبير على كتابات من سبقوه دون الإشارة إليهم، إذ لم يذكر منهم سوى هيكتايوس فقط، وحتى حينما أشار إلى أسيكلوس، فإنه لم يشير إليه ككاتب، رغم اعتماده عليه، ونظراً لفقدان معظم كتابات هؤلاء المؤرخين، فقد شكك بعض الباحثين في قيمة عمله، واتهمه المؤرخ بلوتارخ (46-120م) بالسرقة والكذب والخيث⁽³⁾. كما أخذ عليه جهله بلغات الشعوب التي تحدث عن تاريخها، وبأنه أغرق نفسه في عالم الخرافات والأساطير⁽⁴⁾.

ورغم كل ما قيل حوله، فقد كان متصفاً أحياناً وقادراً على قول الحقيقة، فقد وصف الفرس بالشجاعة والحيوية والمرح، ورقة الأخلاق والذكاء، وبأنهم كانوا يعلمون أولادهم وبناتهم على ركوب الخيل والرماية بالقوس، وقول الصدق، منذ من الخامسة وحتى العشرين، ولذلك اشتهر الفرس بمحبهم للصدق، وحرصهم على احترام المعاهدات والوفاء بالعهود⁽⁵⁾.

1 - هيرودوت، التاريخ، ترجمه عن الرومية سترانوفسكي غ. أ.، لينينغراد، 1972م، 7، 152.

2 - بدوي (أحمد): هيرودوت يتحدث عن مصر، القاهرة، 1966م، ص 16-17.

3 - بدوي، هيرودوت، ص 19.

4 - الناصري (سيد أحمد علي): الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، ط 3، 1981م، ص 306.

5 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 193.

ولم يميزت كتابات هيرودوت بالبساطة والسهولة، وقد أطلق عليه الرومان اسم " أبو التاريخ". فهو رغم الأخطاء التي وقع بها، والمئات الموجودة في مؤلفه، يعد أول من جمع المادة ثم نفعها بكل ما يستطيع، ثم صاغ منها مادته التاريخية⁽¹⁾.

ولنقرأ معاً كيف يبدأ هيرودوت تقديم كتابه الأول: " يعرض هيرودوت الهالكارناسي نتائج أبحاثه، وله هدفان: أحدهما إنقاذ تاريخ الجنس البشري من النسيان، ثم إثبات أن الأعمال البعيدة التي قام بها الهيلينيون والبرابرة " الشرفيون" سوف تتمتع بما لها من شهرة، وخاصة تلك الأسباب التي أدت إلى الصدام فيما بينهم⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن هيرودوت قد توصل خلال محاولته البحث في أسباب الحروب الفارسية إلى فكرة الصراع بين الشرق والغرب، على أساس أن فارس تمثل الشرق، واليونان تمثل الغرب. ويعتقد أن هيرودوت بقي في مدينة ثوري Thuri⁽³⁾ التي استقر فيها بعد الانتهاء من رحلاته حتى وفاته حوالي 425 ق.م.

هـ - ثوكوديدس Thucydides 460-399 ق.م تقريباً.

ولد ثوكوديدس عام 460 ق.م في أسرة غنية كانت تمتلك العديد من المناجم الذهب في تراقية، وترعرع في أثينا التي كانت تعيش فترة ذهبية من تاريخها، الذي تميز بالقوة والتوسع والغنى بالمنجزات، فدرس الفلسفة والبلاغة فيها، وبعد بدء حرب البيلوبونيز (431-404 ق.م) عين ثوكوديدس قائداً لإحدى الحملات العسكرية عام 424 ق.م التي أرسلت ضد إسبرطة للدفاع عن مدينة أمفيبوليس Amphipolis، إلا أن ثوكوديدس فشل في تنفيذ المهمة، وسقطت المدينة في يد الإسبرطيين، فأدت

1 - الناصري، الإغريق، ص 306.

2 - هيرودوت، التاريخ، الكتاب الأول، الفصل الأول، ص 29. يجب الإشارة إلى صدور ترجمة كاملة باللغة العربية لكتاب هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م.

3 - ثوري: هي إحدى المستوطنات التي أقامتها أثينا بجنوب إيطاليا.

هزيمته هذه إلى طرده من الخدمة العسكرية، ونفيه إلى نيجار أثينا، حيث قضى في المنفى عشرين عاماً، عمل خلالها على دراسة أسباب حرب البيلونيون وتعليل نتائجها، فزار الأماكن التي دارت عليها رحى الحرب، وساعدته ثقافته العسكرية، واشتراكه في هذه الحرب، ورحلاته من جمع مادة علمية عن الحوادث التي عاصرها.

وبعد انتهاء مدة نفيه عاد ثوكوديدس إلى أثينا عام 404 ق.م، وبقي فيها حتى وفاته، وتختلف الآراء حول عام وفاته، لكن أغلب الآراء الحديثة تتجه إلى أنه توفي عام 399 ق.م، وربما في تراقية وليس في أثينا، وقد توفي قبل أن يتم كتابة مؤلفه التاريخي الذي بلغ ثمانية مجلدات، وقد تولى المؤرخ ألكسندرون كتابة تكملة تاريخه من بعده على حد زعم بعض الروايات⁽¹⁾.

وقدم ثوكوديدس في مؤلفه مستوى جيداً في دقة عرض الحقائق، ونموذجاً جديداً للدراسة التاريخ، وتميز بمقدرة على النقد العقلي والمنطقي، وفيما يتصل بالحروب الفارسية فقد نوه إليها بشكل عارض، لكنه أورد في كتابه الثامن تعصفاً كاملاً للمعاهدات المبرمة بين فارس وإسبرطة⁽²⁾.

و- كتسياس Ktesias

كان طبيباً يعمل في بلاط الملك أردشير الثاني (404-360 ق.م) ورافقته في معركة كوناكسا Kunaxa عام 401 ق.م، وبعد ذلك بعدة سنوات عاد إلى بلاد اليونان حيث كتب مؤلفه Persika في ثلاث وعشرين كتاباً، ولكن ضاع أغلبه، ولم يبق منه شيء، غير أن الموجز الذي كتبه عنه Photios كان مطوياً بدرجة تكفي لتكوين فكرة طيبة عن طبيعة هذا المؤلف، ويتضح منها أنه اعتمد على الروايات الشفهية التي سمعها من الفرس، وذلك فيما يخص الأحداث السابقة لعهد، والتي

1 - سارة، دراسات في تاريخ الاغريق، ص 46.

2 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 197.

جاءت في كتابه الأول⁽¹⁾. أما الفترة التي عاصرها فإن كتاباته جديرة بالاهتمام والتقدير⁽²⁾.

ز - أكسينوفون Xenophon (429-354 ق.م)

نشأ أكسينوفون ضمن أسرة عريقة ميسورة الحال، تتلمذ على يد سقراط، وتنوعت قدراته بفنون كثيرة من المعرفة كالاقتصاد والسياسة والعسكرية، وخدم في سلاح الفرسان، واشترك في الحملة الشهيرة " حملة العشرة آلاف " من الجنود الإغريق المرتزقة التي خرجت في ربيع عام 401 ق.م، لمساعدة قوروش الصغير الذي كان والياً على آسيا الصغرى، وأراد الإطاحة بأخيه الأكبر أردشير الثاني، وقد انتهت الحملة بالفشل، إذ قتل قوروش ولقي معظم الضباط الإغريق مصرعهم في معركة كوناكسا " التي تبعد 45 ميلاً شمالي بابل " في خريف 401 ق.م، وقد تولى أكسينوفون قيادة الحملة أثناء عودتها من بلاد فارس إلى بلاد اليونان⁽³⁾.

كتب أكسينوفون العديد من المؤلفات التاريخية، ولكنه كان يميل إلى الوصف والعرض العام للتاريخ، ولم يكن باحثاً يهتم بالتحليل والتفسير المنطقي للأحداث التاريخية، وهو كثير الاقتباس عن غيره، وأسلوبه سهل وبسيط، وأهم أعماله التي قمنا في مجال دراستنا لتاريخ إيران القديم كتابه المعروف باسم "الأناباسيس" Anabasis أي الصعود إلى الداخل أو التوغل.

يعد هذا المؤلف الذي سجل فيه أكسينوفون يوميات هذه الحملة من أنجح كتبه، ففيه تعبير عن العديد من المشاعر الإنسانية، وهو حافل بالشجاعة والمغامرة والنظام والتصرف العاقل في مواجهة الأخطار، كما أنه سجل تاريخي معاصر للأحداث

1 - ملهم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 198.

2 - برباي، المرجع السابق، ص 57.

3 - سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، ص 52.

التي مرت بالإمبراطورية الفارسية بعد وفاة داريوس الثاني، وصراع أولاده على العرش⁽¹⁾، كما أنه وصف خطط سير الحملة، وتحدث بشكل مختصر عن الزراعة واستثمار المياه وجرحها في قنوات من لمر دجلة، ويصف كذلك أطلال المدن المندثرة في شمال بلاد الرافدين⁽²⁾.

حـ - مصادر أخرى:

تعد كتابات إفوروس Ephoros حوالي (405 - 320 ق.م) من أهم ما كتب عن الحروب الفارسية في القرن الرابع قبل الميلاد، رغم أنها لم تصل إلينا، لكن المؤرخين يتفقون على أن ديودور الصقلي (80 - 30 ق.م) قد اعتمد عليه اعتماداً كاملاً في كتابة فصول مؤلفه المتصلة بالحروب الفارسية، ضمن مؤلفه العام الذي تناول فيه تاريخ العالم أو ما يسمى المكتبة التاريخية Bibliothke⁽³⁾.

كما يستفاد من كتابات الجغرافي سترابون Strabon (63 - 21 ق.م) والمؤرخ بلوتارخ Plutarch (46 - 120 م)، الذي حفظ لنا كتابات المؤرخين السابقين الذين فقدت أعمالهم. أما في الفترة الساسانية 224-651م فتحفظ كتابات ديون كاسيوس Dion Cassius المتوفى حوالي 235م وهيرودين Herodien المتوفى سنة 240م وتربليوس يوليوس Trebellius Pollio المتوفى حوالي 300م صاحب كتاب تاريخ أباطرة الرومان، وأمين مرسيلين Annien Marcellin مؤرخ القرن الرابع الميلادي حيث شارك في الحرب التي دارت بين الفرس والرومان، وكان شاهد عيان ببعض أحداثها.

1 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 198.

2 - مرعي، المرجع السابق، ص 19.

3 - علي (عبد اللطيف أحمد): مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970م، ص 61.

وأشهر مؤرخي القرن السادس بروكوبيوس القيصري، مؤرخ الإمبراطور جوستنيان، وصاحب قائدته الشهير بيليزاريوس، والذي رافقه في حملاته الحربية ضد الفرس الساسانيين، وبعد تأريخه من المصادر الرئيسية لتاريخ إيران أيام قباد و كسرى أنوشروان.

وفي القرن السابع الميلادي ترك ثيوفيلكت سيموكتا Theophylacte Simokatta الكثير من المعلومات المهمة عن النظم الساسانية، ويمكن أن نضيف إلى مصادر الفترة الساسانية المصادر السريانية، والأرمنية، والعربية⁽¹⁾.

رابعاً - المصادر الراقدية والمصرية المعاصرة:

تعد المصادر الراقدية من آشورية وبابلية، مادة أساسية لدراسة تاريخ إيران القديم، لأنها ألقت الضوء وأمدتنا بالكثير من المعلومات عن الأحوال السياسية والحضارية في الحضبة الإيرانية، فقد اتصلت سومر منذ أقدم العصور بالحضبة الإيرانية لحاجتها للمواد الخام والمعادن التي كانت تجلب من إيران وساعد على ذلك قرب سومر من عيلام، وسهولة الاتصال بينهما، وكذلك ورد في النقوش الآشورية والبابلية الكثير من المعلومات عن غارات ملوكهم الأقوياء على غرب إيران وسكانها وإخضاعهم لملوكهم والأمراء والغنائم التي جمعت منهم.

كما يستفاد من المصادر المصرية في معرفة العلاقات التي كانت قائمة بين ممالك الشرق القديم، بالإضافة إلى فغظية فترة الاحتلال الفارسي لمصر.

1 .. حول مصادر الدولة الساسانية انظر: كريستنسن (أرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 64-71.

خامساً - المصادر الدينية:

1- التوراة:

التوراة كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى (التكوين ، والخروج، واللاويون، والعدد، والثنية) والتي تنسب إلى موسى عليه السلام، وهي جزء من العهد القديم، كتاب اليهود الذي يضم إلى جانب تاريخهم، عقائدهم، وشرائعهم، ويقسمه أحبار اليهود إلى ثلاثة أقسام: التوراة، الأنبياء، والكتابات⁽¹⁾.

وقد وضع هذا الكتاب لخدمة أهداف دينية وسياسية محددة، نخص شعباً بعينه، وتهدف إلى إيجاد عقيدة "الشعب المختار والأرض الموعودة"، وتثبيتها في أذهان أتباع التوراة وغيرهم، ويعود تاريخ تدوينه إلى ما بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد، وقد ورد فيه الكثير من المعلومات عن الأحداث التي جرت في مناطق الشرق القديم، ويلاحظ أن كثيراً من هذه المعلومات الواردة فيه منقولة عن مصادر الهندية وكنعانية ومصرية أقدم منها بعدة قرون⁽²⁾.

وقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن الفرس وملوكهم وعلاقتهم مع اليهود، وترسم التوراة صورة عن الفرس فيها الكثير من المحاسن، ربما لوقوف ملوك الفرس إلى جانب اليهود ومساعدتهم لهم في العودة من المبيد البابلي بعد فتح قوروش لبابل عام 539 ق.م.

وقد أشار عزرا إلى ذلك: "هكذا قال قوروش ملك فارس، جميع ممالك الرب دفعها لي الرب
 (إله السماء) وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم، التي في يهوذا، من

1 - مهراڻ (محمد يومي): تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996م، ج 6، ص 67.

2 - حول الثأيرات الرافدية انظر: علي (فاضل عبد الواحد): من سومر إلى النوايف، القاهرة، ط2، 1996م، ص189-192.

منكم من كل شعبة ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيني بيت الرب إله إسرائيل هو الإله، الذي في أورشليم»⁽¹⁾.

ويجد في أماكن أخرى المكانة والاحترام الكبير الذي تبديه لقوروش، فقد جاء في سفر أشعيا: " هكذا يقول الرب لمسيحه لـكوروش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمماً واحفاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق. أنا أسير قدامك والمهضاب أمهد"⁽²⁾.

ويتضح مما ورد في التوراة عن تاريخ إيران قبل العهد الأخميني أن كاثي التوراة لم تكن لديهم معرفة كافية فيه، ولذلك جاءت معلوماتهم مشوبة بالاضطراب. ويحذر الإشارة، إلى أننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخي أن نتخلص تماماً من القدسية التي أمسبها عليه المؤمنون به، وأن ننظر إليه كما ننظر إلى غيرها من المصادر التاريخية بإحضاره لعناية النقد التاريخي والعلمي، ومقارنة الأخبار الواردة فيه مع غيره من المصادر الأخرى والنفوس، فنقبل ما يتفق مع المصادر، وبوافق المنطق والمعقول، ونرفض ما يخالف ذلك⁽³⁾.

2- الكتب الدينية الفارسية:

- 1 - انظر سفر عزرا، الإصحاح الأول، 2-4.
- 2 - انظر سفر أشعيا، الإصحاح الخامس والأربعون، 1-3...
- 3 - انظر عن التوراة والحقائق التاريخية: مهرا (محمد بيومي): إسرائيل، الإسكندرية، 1979م، ج3، ص263-296.

تعد الأفستا Avesta أو الأبهستا بالعربية الكتاب المقدس المنسوب لزرادشت مؤسس الزرادشتية، الذي لم يتمكن الباحثون من تحديد الزمن الذي عاش فيه أو المنطقة التي كان يقيم فيها داخل إيران، والزمن الذي دونت فيه الأفستا، وما هي اللغة التي كتبت بها.

لذا نشأ خلاف بين الباحثين حول الوقت الذي ظهر فيه زرادشت ولغة الأفستا، وثرائيها. فقد حدد بعضهم عصر زرادشت ما بين 1500-1200 ق.م.⁽¹⁾ وبعضهم الآخر حوالي 1000 ق.م.⁽²⁾ بينما يأخذ عدد كبير من الباحثين بوجهة نظر جاكسون Jackson الذي يرى أن زرادشت ولد في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، وتوفي في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد⁽³⁾. وطبقاً للروايات الزرادشتية، فإن زرادشت ولد في القرن السابع قبل الميلاد في إقليم أذربيجان، قرب بحيرة أورمية، ومن هناك اتجه شرقاً إلى بلخ لنشر دعوته، وقتل هناك⁽⁴⁾.

ويذكر بعض المؤرخين المسلمين، كابن خردادبة، والبلاذري، وابن الفقيه، والمسعودي، وحمزة الأصفهاني، وأبي الفداء، أن زرادشت من أذربيجان وأنه ولد في أورمية⁽⁵⁾. فإذا أخذنا بالروايات الزرادشتية والإسلامية، وأقوال غالبية المستشرقين، يكون موطن زرادشت في غرب إيران، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته.

1 - بومس (ماري): الزرادشتية، ترجمة ستباين كامنسكفا، مومبكو، 1987م، ص 27، بالروسية.

2 - Meyer, E, in Encyclopedia, Britannica, 11th, Ed, XXI, p205.

3 - بيرنيا، المرجع السابق، ص 311-312.

4 - بندوي (أمين عبد المجيد): القصة في الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 31.

5 - بندوي، القصة في الأدب الفارسي، ص 29. سليم في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 208.

ويرى بعض الباحثين أن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة لا يتعدى ربعها فقط والباقي مفقود، وطبقاً لما جاء في كتاب "دينكرت" (أحد الكتب البهلوية المشهورة)، أن الأوستا التي كانت موجودة في العهد الأخميني قد احترقت عندما أشعل الإسكندر المقدوني النيران في قصر السلطنة (الحكم)، في نخت جمشيد، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية،

والقوها بعد ذلك في النار، وحاول بلاش الأول الفرثي جمع الأوستا، وفي العصر الساساني رتب الأوستا كبير رجال الدين تنسراً، ثم جمع سابور الأول كل ما حذف من الأوستا عن علم الطب والنجوم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند، وأضيف إليها، وتم الاعتراف بهذه الأوستا رسمياً في عهد سابور الكبير 310-379م وعدت قانوناً للدولة⁽¹⁾.

وتتألف الأوستا من خمسة أجزاء هي:

- 1- ياسنا Yasna : أهم أجزاء الأوستا وتعني العبادة والتسبيح والصلاة والعيد.
- 2- ويسيرد: معناها " كل السراة" ليس كتاباً مستقلاً بذاته بل يمكن القول انه من ملحقات الياسنا.
- 3- وينداد: معناها " الشريعة قانون ضد الشياطين"، وهو القانون الديني للزرادشتية.
- 4- يشتها: وهي جمع لكلمة يشت، ومعناها "العبادة والتسبيح"، فهي تسبيح للخالق وملائكته.
- 5- خرده أوستا: أي الأستاق الصغير، مختصر الأستاق، كتاب للصلاة والأدعية لكل وقت من اليوم.

ومع مرور الزمن أصبحت فنون أو نصوص الأوستا غامضة فاحتاجت إلى شرح وتوضيح، ولم يكن في مقدور كل زرادشتي فهم كتاب دينه المقدس، فوضعت له شروح وتفسيرات مختلفة، كتب بعضها قديماً بلغة الأوستا في البهلوية فاحتلطت بالمتن واشتهت على قراء الأوستا فحبل إليهم أن

1 - بيرنيا، المرجع السابق، ص 313. عن الأوستا الساسانية انظر: كريستنسن، المرجع السابق، ص 130-131.

الشرح عين المتن، ثم ترجمت هذه الشروح التي تداخلت في المتن فأدخلت بنظمه وأفسدته، واحتاجت الشروح البهلوية كذلك إلى شروح

أخرى وتفسير فشككت مع مرور الأيام مجموعة كبيرة من كتب التفسير عرفت بالـ "زند"،
والـ "بازند" والـ "إبارده".

1- الزند: هو الشرح الأول للأفستا وكتب بالبهلوية منذ أواخر العصر الفارسي.

2- البازند: وهو تفسير الزند وشرحه.

3- إبارده: أو يارده، وهو شرح البازند، أو شرح الشرح⁽¹⁾.

ويقول المسعودي في ذلك: "ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه، وسموا التفسير زندا، ثم عمل للتفسير تفسيراً، وسماه بازند، ثم عمل علماءهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير، وشرحاً لساير ما ذكرنا وسموا هذا التفسير يارده"⁽²⁾.

وتمكننا الأفستا وشروحها في التعرف على أفكار زرادشت، والنواحي السلوكية والأخلاقية، وعلى النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران وقت ظهورها.

سادساً - المصادر الفارسية:

- كتاب غرر ملوك الفرس وميرهم.

1 - حول تفاسير الأفستا انظر: يدري، المرجع السابق، ص 36-38.

2 - المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، إيران، 1984م، ج 1، ص 253.

التعالي أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل النيسابوري. توفي سنة 429هـ - 1037م، ولا
نعرف سنة مولده، من مشاهير الأدباء البلغاء في التاريخ الأدبي ومن المؤلفين المكثرين، ترك عدة كتب
منها بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لطائف
المعارف، الغلمان، تحفة الوزراء، و غرر ملوك الفرس وسيرهم⁽¹⁾ الكتاب الأهم بين كتبه
والأكثر فائدة.

تأتي أهمية كتابه غرر ملوك الفرس وسيرهم في كونه تناول ملوك إيران من بداية دولهم وحتى
الأحداث التي جرت في عهد يزدجرد الثالث (632 - 651م) بعد موقعة نهاوند، ودخول الإسلام
إلى إيران. فقد جمع الكتاب بين دفتيه أحداث تاريخ إيران القديم منذ البداية وحتى ظهور الإسلام.
وجاء أسلوبه سهلاً واضحاً مراعيًا لتسلسل الأحداث التاريخية ولكنه غير مفسّر لما يحدث، فلم يتساءل
مؤلفه عن أسباب الأحداث بل سرد الحدث التاريخي سرداً دون تحليل أو وقوف على الأسباب
والنتائج. كما أنه لم يعطِ علاقات الدول الفارسية بغيرها من الدول اهتماماً كافياً، أمام الاهتمام الذي
قدمه للتطور الداخلي للدولة وعلاقة الملوك بحاشيتهم وشعبهم.

— مؤلف مجهول، نهاية الأرب في أخبار الفرس و العرب تحقيق محمد تقي دانش بڑوه.

يبدأ الكتاب أحداثه بسرد قصة إدريس ونوح و غرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
حتى مبعث النبي شُعيب إذ ينتقل للحديث عن ملوك العجم بدءاً من رستم وأسفنديار إلى ملوك

¹ - مصطفي (شاطر): التاريخ العربي و المورخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983م، ج2، ص 96-97.

اليمن فالإسكندر وملوك الطوائف ومنها إلى الساسانيين الذين شكلوا من الكتاب ويسرد عهودهم حتى مقتل يزيدجرد آخر ملوكهم وانتشار الإسلام في إيران.

دون الكتاب في سنة 75هـ على يد عامر الشعبي وأيوب بن القزعة وحملت الترجمة الفارسية لهذا الكتاب عنوان "تجارب الأمم في أخبار ملوك العرب والعجم".

وقد نُسب الكتاب إلى عبد الملك بن قزيب الأصمعي المتوفى سنة 214هـ/829م⁽¹⁾، وهناك رأي آخر يأخذ به بعض الباحثين، ويقول كريستنسن أن المحققين الأوربيين يعتقدون أن الكتاب دون في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، أوائل القرن الخامس الهجري. ومن الملاحظ على الكتاب أنه مجموعة تاريخية لا يشابه المصنفات التاريخية المدونة بالعربية، كما أن صياغة جمل النص لا تشبه صياغة وإنشاء العصر الذي ينسب له⁽²⁾، إلا أن أسلوبه سهل واضح يقدم المعلومات بلغة العصر وكأنه لم يكتب إلا قبل عشرات السنين وليس قبل مئات من السنين. أفاد البحث في إلقاء مزيد من الضوء على الملوك الساسانيين وسياساتهم، بالإضافة إلى أفعالهم والمشكلات التي واجهتهم داخل إيران وخارجها.

— سفر نامة.

يعد كتابه سفر نامة أهم مؤلفات ناصر خسرو (392-481هـ / 1013-1101م) ويشغل مكانة جغرافية هامة لأن ناصر خسرو كان حريصاً كل الحرص على وصف كل إقليم يزوره.

¹ - مصطفى، المربع السابق، ج1، ص145.

² - دانش يزوة(محمد تقي): نهاية الأرب في أخبار القروس والعرب، أنجمن آثار ومفاخر فرهنگي، چاپ أول، 1375هـ، صفحات المقدمة.

وصفاً دقيقاً سواء من الناحية الجغرافية أو السياسية. وتميز أسلوبه ببعده عن التكلف والمغالاة، فجاء غنياً بالمعلومات واضح اللغة سهل الفهم والتناول⁽¹⁾.

— فارس نامه.

لا نعرف كثيراً عن مؤلف فارس نامه، ابن البلخي سوى ما ورد في كتابه من إشارات لا تلقي إلا القليل من الضوء على حياته، وخلاصة ما نعرفه هو أن المؤلف من أسرة بلخية عاشت في إيران، فولد ونشأ في هذه البلاد وإليها نسب (البلخي)، عمل في استيحاء ضرائب إيران ثم في الجهاز الإداري لركن الدولة خوارزمشاهي والي فارس و خوزستان من قبل السلطان السلجوقي بركياروق⁽²⁾.

كلفه السلطان أبو شجاع محمد شقيق بركياروق وولي عهده بتأليف كتاب عن تاريخ الملوك الماضين وآدابهم ورعاياهم، ووصف بلاد إيران، طبيعتها، وجغرافيتها، وهوائها ومائها، ومقارنة نظام الضرائب الذي كان موجوداً في الأزمنة القديمة مع النظام السائد على عهده، وبما أن ولي العهد قد توفي عام 510هـ / 1116م. فهذا يعني أن ابن البلخي كان حياً وأن كتابه ألف قبل عام 510هـ / 1116م⁽³⁾.

¹ - جمعة المربع السابق، ص 41 - ص 43.

² - - بركياروق: ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان التركي. حكم الدولة السلجوقية بين عامي (485 - 498 هـ / 1092 - 1104م). الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1984م، ج 19، ص 195 - 196. (إسماعيل أحمد علي): «تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1983م، ص 24 - 25.

³ - ابن البلخي: فارس نامه، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط 1، 1999م، ص 5 - 8.

أما مصادره فقد نقل عن الطبري في كتابه المذيل، وعن الأصفهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، وكتاب الطبري مفقود وقد طبع ضمن المجموعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم باسم كتاب المنتخب من مذهب المذيل. وعلى اعتبار أن المادة المتعلقة بفتح المسلمين لإيران تشبه إلى حد ما المادة الواردة عند البلاذري في كتابه فتوح البلدان، فلا نعلم إن كان ابن البلخي قد نقل عنه. في الكتاب فوائد جمة في أجزائه التاريخية والجغرافية، هناك الأجزاء التاريخية المتعلقة بإيران التي احتوت معلومات تاريخية وجغرافية على قدر من الأهمية.

== رسالة تنسر.

تناولت رسالة تنسر الأحداث الداخلية للدولة الساسانية. النسخة المتوافرة باللغة الفارسية كتبت في طهران عام 1311هـ / 1893م. اعتمد تنسر في كتابه على مصادر مهمة مثل كتاب دينکرد الذي يتناول الجوانب الدينية في الدولة الساسانية، وغيره من المصادر ككتاب فارس نامه الذي كتبه الوزير أبرسام وتناول فيه تاريخ إيران منذ الإسكندر المقدوني. تطرق للأحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية، ومشاركة المرأة في الحياة العامة. مما يؤخذ على الكتاب أن الترجمة الفارسية جاءت مقتضبة تدلي ببعض الإشارات من غير توضيح للحدث التاريخي. كما أنه اعتمد على أسلوب الرواية مما يفقده بعضاً من قيمته العلمية. فقد روى الحكاية ثم علق عليها، وحتى تعلفه جاء بدون أمثلة تدعمه.

== القصص الفارسية (1):

تعد القصص الفارسية جزءاً من المصادر التي تعتمد في دراسة تاريخ إيران، لأن هناك الكثير من القصص التاريخية القصيرة، والتي كانت شائعة بين الناس، وانتقلت إليهم جيلاً بعد جيل، قد دونت

1 - للاطلاع أكثر حول الأدب الفارسي انظر: بدوي (أمين عبد الجيد): القصة في الأدب الفارسي، بيروت، 1981م. جمعه (بدیع محمد): من روائع الأدب الفارسي، بيروت، ط2، 1983م.

بالبهلوية، وجمعت في أواخر العصر الساساني، فكانت مادة غزيرة للشعر القصصي، والحكايات والحكم، وأصبحت هذه المادة مصدراً للمؤلفات العربية، والفارسية التي تناولت تاريخ إيران قبل الإسلام.

هذا وقد أشار المصنفون " المؤرخون " العرب إلى أسماء كتب كثيرة نقلت عن البهلوية⁽¹⁾، منها كتب النصائح، وبعضها الآخر حكايات عن تراث الأحداث والملوك، ومن أهم الآثار البهلوية غير الدينية كتاب " بخداي نامك " أو كتاب الملوك وهو المصدر الأول للشاهنامه التي نظمها الفردوسي، وغيره من شعراء الملاحم في العصر الإسلامي.

عاش أبو القاسم الفردوسي ما بين عامي 329-411هـ / 941-1020م، وبعد من أشهر شعراء الفرس في عصره، فهو ناظم كتاب الملوك " الشاهنامه "، وعُدد أجداد الفرس، ويقال بأنه أتم نظم الشاهنامه خلال خمسة وثلاثين عاماً، كان آخرها عام 400هـ / 1010م، ويبلغ عدد أبياتها ما بين خمسين ألف وستين ألف بيت شعري⁽²⁾.

وتتضمن الشاهنامه معظم ما وعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الإسلامي، وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً، فحينما تذكر الأسرة تبدأ بأول ملوكها فتوضح تاريخه، وما كان في عهده من الأحداث، ثم تذكر الملك الثاني، وهكذا، حتى نهاية الأسرة. وقد قسمت الشاهنامه تاريخ

1 - لقد أشار ابن الندم صاحب الفهرست إلى أسماء كتب عربية كثيرة نقلت عن البهلوية، انظر: ابن الندم، كتاب الفهرست، بيروت، ط3، 1988م، ص305.

2 - الفردوسي (متنصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري، طهران، ط1، 1970م، ج1، ص50-70.

الفرس منذ أقدم العصور وحتى الفتح الإسلامي إلى أربع دول⁽¹⁾. 1- الدولة البيشداوية، 2- الدولة الكيانية، 3- الدولة الأشكانية، 4- الدولة الساسانية.

ومما يؤخذ عليها أي على الشاهنامه، أن ما ورد فيها من معلومات قد انتقلت شفهاً جيلاً بعد جيل، مما أضفى عليها كثيراً من الزيادات، ففقدت مصداقيتها، وضاعت الحقائق التاريخية فيها، واختلطت بالأساطير، لذلك لابد من مقارنة رواياتها مع المصادر الأخرى لكي نصل إلى تصور كلي وواضح لها⁽²⁾. ومع ذلك تحظى

الشاهنامه بمكانة فريدة في تاريخ الأدب العالمي، وتعد منبعاً للقراء، إنها ملحمة لا نظير لها عند الأمم الأخرى.

1 - الفردوسي، الشاهنامه، ج 1، ص 73-74.

2 - سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 213.



- الفصل الثاني.

- الحضارة شروطها ومظاهرها.

- الحضارة والمدنية والثقافة.

- خصائص الثقافة.

- الثقافة إنسانية.

- الثقافة مكتسبة.

- الثقافة أفكار وأعمال.

- الثقافة متغيرة.

- الثقافة متنوعة المضمون.

- شروط قيام الحضارة .

- نظريات نشوء الحضارة.

- نظرية حيوفاني.

- نظرية شينغار.

- نظرية توينبي.

- مظاهر الحضارة.

- المظهر السياسي.

- المظهر الاقتصادي.

- المظهر الاجتماعي.

- المظهر الفكري.

- المظهر الفني.

- اللغات والكتابة والتاريخ.

- عصور ما قبل التاريخ.

- العصر الحجري القديم.

- العصر الحجري الوسيط.

- العصر الحجري الحديث.

- عصر استخدام المعادن.

- عصر النحاس.

- عصر البرونز.

- عصر الحديد.

- الحضارة وشروطها ومظاهرها.

- الحضارة والمدنية والثقافة.

الحضارة في اللغة، مشتقة من الحضّر، وتعني الإقامة في المدن والقرى فهي بخلاف البدو والبدو والبادية، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار وسكنوا الديار، والحاضر هو ساكن الحاضرة بخلاف البادي أي المقيم في البادية.

وفي اللغات الأوروبية نجد أن كلمة Civilization مشتقة من اللغة اللاتينية Civitas التي تعني المدنية أو قد تكون مشتقة مباشرة من ساكن المدينة Civis⁽¹⁾.

ويتضح لنا من ذلك أن كلمة "حضارة" تدل من الناحية اللغوية، سواء في العربية أو في الأوروبية، على نوع خاص من الاستقرار والإقامة في القرى والمدن. ومن المعروف أن الحضارة هي نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة به، فالإنسان يحاول باستمرار إخضاع قوى الطبيعة والاستفادة منها، وما قصة الحضارة إلا قصة صراع الإنسان بما أوتي من عقل وقوة مع قوى الطبيعة لتغييرها لصالحه. فأصبحت كلمة حضارة تطلق على كل إنتاج روحي أو مادي للإنسان سواء كان إنتاجاً بدائياً أو رافياً، ولذلك يمكن القول بأنه لا يوجد مجتمع دون حضارة.

وتشمل الحضارة بمعناها الواسع، كل ما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية السائدة في المجتمع الحضري، أي كل ما يتعلق بتواحي الحياة وتطورها وازدهارها. ونحن نعلم أن الإنسان استقر أولاً في قرى صغيرة، ومع مرور الزمن تطورت هذه القرى وتحولت إلى مدن، ففي المدن تتجمع ظواهر وخصائص وكفاءات لا يجدها في القرى مثل الصناعات والاختراعات والنشاطات الفكرية، وبذلك نصل إلى مفهوم

1 - حداد (جورج): المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، 1958م، ص 17.

المدنية أو التمدن Urbanization، والذي يدل غالباً على نوع راقٍ من حياة الاستقرار والتحضّر.

فالحضارة التي تبدأ في القرى، تنمو وتزدهر في المدن حيث المجال أوسع⁽¹⁾. أما المدنية فتدل على سكنى المدن وقد تطور معناها حتى أصبح يدل على أقصى ما يصل إليه مجتمع ما، وميدان حضارته خلال عصر ما، وهكذا نجد أن حياة الإنسان انتقلت خلال مراحل التطور الاجتماعي إلى البداوة ثم إلى الحضارة وأخيراً المدنية. على اعتبار أن البداوة تقوم على حياة الحيوان من صيد ورعي. فعن دأها التنقل وعدم الاستقرار، والحضارة تدل على سكنى الحضر والانتظام في مجتمعات تتعاون في معيشتها، أما المدنية فتدل على سكنى المدن والانتظام في مجتمعات أكثر تعقيداً ورفقاً.

وهناك مفهوم ثالث مرتبط بمعنى الحضارة والمدنية، وهو مفهوم الثقافة، وكلمة ثقافة في اللغة العربية مشتقة من الفعل "ثقّف" ولهذا الفعل معنيان الأول ثَقَّفَ بمعنى أخذ، ظفر. والثاني ثَقَّفَ بمعنى حذق، فهم. وكلمة ثقافة Culture في اللغات الأوروبية مشتقة من الجذر اللاتيني Cultus وتعني زراعة، أو طريقة حياة، أو تربية، أو دين.

ويتفق العلماء على الأخذ بتعريف العلامة البريطانية تاييلور للثقافة الذي يقول فيه: "الثقافة هي ذلك الكُلُّ المركب الذي يشمل على المعرفة والعقائد والسنن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع ما"⁽²⁾.

1 - عبد الله (فيصل)، مرعي (عبد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، 2007م، ص 27.

2 - وصفي (عاطف): الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ص 65-66.

- خصائص الثقافة.

يتميز الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة والحفاظ عليها، وكل مجتمع بشري له ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوي بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما وتشابه المراحل التاريخية والبيئية الجغرافية، وبالرغم من وجود مثل ذلك التشابه فإنه لا يصل أبداً إلى حد التطابق، لأن كل مجتمع تتميز ثقافته بطابع خاص. ورغم التباين في الثقافات، فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات وهي:

أولاً - الثقافة إنسانية:

يعني أن الإنسان هو الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً وقدرات عقلية فريدة تتبع له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة. فمثلاً انتقل الإنسان من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة الصيد وأخيراً إلى مرحلة الرعي والزراعة دون ظهور تغيرات عضوية تذكر، وإنما الذي تغير هو ثقافته أي مجموع أفكاره وأعماله.

ثانياً - الثقافة مكتسبة:

يكتسب الإنسان الثقافة من مجتمعه الذي يعيش فيه منذ الصغر عن طريق الخبرة الشخصية، مثلاً يستطيع الطفل أن يلتقط ثقافة أي مجتمع بشري إذا عاش فيه فترة زمنية كافية.

ثالثاً - الثقافة أفكار وأعمال:

إن كل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه فكرة وإرادة التنفيذ، وهكذا لا تخرج العناصر المادية للثقافة عن كونها أفكاراً مجسدة في أعمال.

رابعاً - الثقافة متغيرة:

تغير ثقافة المجتمعات من وقت إلى آخر، ولكن تختلف درجة التغير وأسلوبه من ثقافة إلى أخرى، فقد يسير التغير ببطء شديد وذلك لعزلة المجتمع وصغره في المجتمعات البدائية، بينما يسير بسرعة في المجتمعات الصناعية.

خامساً - الثقافة متنوعة المضمون:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في بعض الأحيان، مثلاً إن النظم التي يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنها الفضيلة بعينها قد تعد جريمة في مجتمع آخر يعاقب عليها القانون، فالعربي المسلم المقيم في دولة عربية يستطيع أن يتزوج امرأتين في ظروف معينة، أما في الولايات المتحدة بعد ذلك جريمة يعاقب عليها الفرد حتى إذا كان مسلماً⁽¹⁾.

نستنتج من العرض السابق كله: أن الثقافة هي المحتوى الفكري والفني للحضارة، ويقصد بها مجموعة من المعارف والمعتقدات والأخلاقيات والقانون والدين والتقاليد والفنون تؤلف كلاً متميزاً يطبع حياة جماعة عرقية أو دينية، أو اجتماعية.

وثقافة الفرس هي نتاج تاريخهم الذي تمتد جذوره إلى الألف الأول قبل الميلاد، وتألف هذه الثقافة من معارف علمية، أكتسبها الفرس " Persian " من تجاربهم الحياتية، ومن ممارستهم لأوجه النشاط العملي الاجتماعي، أو اقتبسوها من حضارات البلدان المجاورة التي سبقتهم في مضمار التقدم أو من ساكنهم وعاشهم من الغرباء، ومن اللغة والشعر والأمثال والأساطير والقصص وغير ذلك.

ونستطيع القول: إنه لا توجد حدود فاصلة بين الحضارة والمدنية والثقافة، فمعانيها متقاربة، وكثيراً ما تستخدم كلمة حضارة بمعنى مدنية أو ثقافة أو بالعكس.

1 - وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، ص 80-83.

ـ شروط قيام الحضارة:

لقيام أي حضارة وازدهارها لابد من توافر شروط مناسبة كالشروط الجغرافية والاقتصادية فالبيئة الطبيعية المناسبة في منطقة ما كخصوبة التربة، وتوافر المياه، تساعد على قيام حضارة في تلك المنطقة، كما أن الموقع الجغرافي على طرق برية أو بحرية كثيراً ما يؤدي إلى قيام حضارة أو لهايتها.

والشروط الاقتصادية أساسية وذات أهمية كبرى في تكوين الحضارة وتقدمها، والإنسان لا يمكن أن ينتقل إلى مرحلة الحضارة إلا بالاستقرار أولاً ومن ثم ممارسة الزراعة، وفيما بعد الصناعة والتجارة وتشكل المدينة.

فالشروط الجغرافية والاقتصادية ضرورية ولكنها لا تكفي وحدها لتكوين حضارة، بل لابد من توفر شروط سياسية كوجود نظام سياسي يحمي الجماعة، كما يجب أن يكون هناك مجموعة من النظم الأخلاقية والفكرية توجه الناس في الحياة وذلك عن طريق التربية والتعليم، بالإضافة إلى اللغة التي تشكل الوسيطة المثلى للتبادل الفكري.

ولا توجد شروط عرقية للحضارة إذ يمكن أن تظهر في أي قارة ولدى أي عرق عندما تتوافر الشروط المناسبة، فقد ظهرت في عصور مختلفة في مصر وسورية وبلاد النهرين وإيران والهند والصين وغيرها.

إذن الحضارة ليست من صنع عرق معين وليس لها وطن محدد، وإنما هي نتاج متكامل للشعوب كلها، تتجمع مع الزمن وتتخذ أشكالاً أرقى من التي كانت سائدة

قبلاً، فحضارة كل شعب تعتمد على حضارات الشعوب السابقة وتضيف إليها ليعلو بذلك صرح الحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

فالحضارة اليونانية والرومانية أخذت واستفادت من حضارات المشرق العربي القديم واقتبست الحضارة العربية الإسلامية أيضاً عن الحضارة اليونانية وحضارات إيران والهند والصين، وأضافت وطورت أشياء جديدة، والحضارة الأوروبية المعاصرة اعتمدت عند قيامها على الحضارة العربية الإسلامية التي أخذت عنها الشيء الكثير.

ولذلك فإن إنسان العصر الحالي، وعلى الرغم من تقدم حضارته، مدين لإنسان العصور القديمة ولاعتراعاته الأولى التي كانت نقطة البداية في نشوء الحضارة وتطورها.

كذلك لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد عرق صاف، كما حاول بعضهم الإدعاء، فالجتمعات البشرية يربط بينها علاقات اتصال مختلفة سلمية أو عسكرية منذ عصور ما قبل التاريخ.

إن الحضارة تتطور مع الزمن ولكن عملية التطور هذه ليست متصلة ومستمرة، فالحضارة تنشأ في مكان وزمان ما ثم تنهار مؤقتاً أو تختفي نهائياً، ففي تاريخ العالم حضارات متعددة معروفة نشأت ثم انهارت، ولكن لا يمكن القول إن أي حضارة من الحضارات هي مركز للحضارات الأخرى، ولكل حضارة سماتها الخاصة بها.

1 - بيضون (جميل)، عودات (أحمد)، الناطور (شهادة): مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، دار الامل، اردب، 11، 1989م، ص 11-12. حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 19-20. عبد الله، مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 29.

- نظريات نشوء الحضارة:

قام كثير من العلماء والمفكرين بالبحث في قضية نشوء الحضارة ونموها وتطورها، وطرحوا عدداً من النظريات التي تعالج هذا الموضوع نذكر منها: نظرية الدورات التاريخية للفيلسوف الإيطالي جيوفاني باتيستا فيكو، ونظرية الفيلسوف الألماني شبنغلر، ونظرية الفيلسوف المورخ الإنكليزي أرنولد توينبي.

1- نظرية جيوفاني باتيستا فيكو 1668-1744م.

قال هذا الفيلسوف بنظرية دورة الحضارات أو "الدورات التاريخية" في كتاب "العلم الجديد ومبادئ فلسفة التاريخ" ومختص ذلك أن حياة كل شعب تمر بثلاث أدوار أو مراحل هي:
أ- الدور الإلهي أو العصر الأسطوري، وهي مرحلة العطفولة في حياة الإنسانية، وتسيطر المعتقدات الدينية على كل شيء، ويسود الاعتقاد أن الآلهة تسيطر على كل شيء.
ب- الدور البطولي أو عصر القوة، وهي مرحلة الفتوة في حياة الشعوب، وتظهر فيه الشخصيات المهمة والفذة، "الأبطال" الذين يخضع لهم عامة الناس.
ج- الدور الإنساني وهي مرحلة الاكتمال في حياة الشعوب، وهو الحضارة الحقيقية، حيث تتحقق العدالة والمساواة بين الناس، وتسود القوانين.
ثم تتعرض الحضارة بعد هذا الدور إلى الانهيار وتسود الفوضى ثم تنشأ مرة أخرى حضارة جديدة، تمر بالأدوار السابقة ثم تنهار وتسقط وهكذا تبدأ دورة جديدة⁽¹⁾.

2- نظرية أوزولد شبنغلر 1880-1936

1 - حامد نور الدين، طربين (أحمد)، عاقل (نبه)، مدني (صلاح)، موجز تاريخ الحضارة، دمشق، 1965م، ج1، ص15 وما بعدها.

عرض شبنغلر نظريته في كتابه "اضمحلال الغرب" فقال: "إن للحضارات روحاً مثلها مثل الكائنات الحية تولد وتنمو وتموت، والتاريخ مسرح لعدد كبير من الحضارات التي يسري عليها ما يسري على الكائنات العضوية، أي تنشأ، وتتضج وتذبل وتفن. فالتاريخ إذاً لا يسير في خط يتقدم إلى ما لا نهاية وإنما هو مجموعة دورات حياة للحضارات، ولكل حضارة دورة حياة مقفلة ولها ممانها الخاصة، ويتنبأ شبنغلر بأن الحضارة الغربية في طريق الانحلال وسوف يزغ نجم حضارات جديدة⁽¹⁾.

3- نظرية أرنولد جوزيف توينبي 1889-1975 A. J. Toynbee

عرض توينبي نظريته في كتابه دراسة التاريخ "Study of History"، وحدد حضارات العالم بأكثر من عشرين حضارة، وقد بين فيه كيفية نشأة الحضارات فأكد بأن سبب نشأة الحضارة ليست البيئة الجغرافية السهلة كما رأى بعض الباحثين، ولا الإنسان وحده كما تقول النظرية العرقية، وإنما تنشأ الحضارة من العلاقة بين الإنسان والبيئة بمعناها الواسع الجغرافي والمادي والبشري، كما أنها ليست البيئة السهلة؛ وإنما البيئة الصعبة التي تشكل تحدياً للإنسان وتستثير رداً منه يبذل فيه الجهد الفائض، فإذا نجح في ذلك نشأت الحضارة، أي أنها تنشأ من التحدي والرد عليه⁽²⁾، ثم يذكر أن تاريخ البشرية هو سلسلة من التحديات والاستجابات، ويرى توينبي أن التحديات الطبيعية والبشرية إذا تجاوزت حداً معيناً فإن رد الفعل عليها لا يكون مجدياً. ويعتقد توينبي أن الحروب هي السبب الرئيسي لانهيار المجتمعات أو الحضارات.

- 1 - الشيخ (رائفت): تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات، مصر، 2000م، ص 188-190. الصباغ (إيلي): دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1988م، ص 340-341.
- 2 - بدر (أحمد): تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، عالم الفكر، 2001م، العدد 4، المجلد 29، ص 34. الشيخ، تفسير مسار التاريخ، ص 190-191.

بعد هذا العرض الموجز لأهم النظريات المتعلقة بنشوء الحضارة يمكن القول إن للحضارات فجر وهو عصر بدايتها الأولى، ثم يتبعه عصر من الازدهار، حيث يسمو العقل البشري، ويأتي بعده العصر الأخير من عمر الحضارة وهو عصر الاضمحلال والافيار الذي يفترن بعدم القدرة على الخلق والابتكار.

كما يمكن أن تتصل الحضارات مع بعضها، أو تنتقل من مكان إلى آخر بطرق سلمية كالتجارة، أو بطرق حربية كالعزو والحملات العسكرية، وقد يكون لها تأثير مدمر للحضارة كما هي الحال في هجوم النتر على بغداد في القرن الثالث عشر، وقد يكون لها تأثير إيجابي كالتفوحات العربية الإسلامية التي نشرت الحضارة العربية الإسلامية في بقاع كثيرة من العالم.

- مظاهر الحضارة

تتحلى الحضارة بمظاهر متعددة وهي:

- 1- المظهر السياسي
- 2- المظهر الاقتصادي
- 3- المظهر الاجتماعي
- 4- المظهر الفكري
- 5- المظهر الفني

ولدراسة أي حضارة من حضارات العالم لابد من دراسة هذه المظاهر.

1- المظهر السياسي:

ويتضمن دراسة هيكل الحكم ونوع الحكومة، هل هي ملكية أم جمهورية، ودستورية أم مطلقة، وديمقراطية أم أرستقراطية دكتاتورية، وبرلمانية أم غير برلمانية، ثم

يتناول بحث نوع الإدارة الحكومية هل هي مركزية أم لا مركزية. والإنسان بطبيعته حيوان اجتماعي يخشى العزلة، أو كما قال أرسطو الإنسان حيوان سياسي.

لكن ول ديورانت يعتقد أن الإنسان ليس حيواناً سياسياً عن رغبة منه، وإنما عن اضطرار، لأن العزلة تعرضه للخطر، ولكن على الرغم من أن الإنسان يرغب في الحياة ضمن الجماعة إلا أنه يكره القيود. غير أن المجتمعات، وحتى البدائية منها لا تميل إلى إقامة تنظيم سياسي وتشكيل دولة، وإنما ترغب في الحياة بدون قيود حتى إن المجتمعات البدائية المعاصرة لا يتعاون أفرادها إلا في حالات خاصة مثل الصيد المشترك، أو مجاهدة العدو⁽¹⁾.

والنظريات كثيرة عن أصل الدولة نذكر منها نظرية الأصل العسكري، وقوامها أن الحرب تولد الدولة، وتنشأ الزعيم والملك، ثم هناك النظرية الاقتصادية في أصل الدولة وهي أن الدولة ضرورة لأن العمل في بعض الأماكن كورديان الأهوار لإقامة السدود وحفر القنوات، يتطلب جهوداً جماعية، وهيئة تنظم العمل، ألا وهي الدولة، فالدولة تنشأ بسبب ضرورة النظام، وهناك نظرية الأصل التاريخي للدولة، والتي تقول بأن الدولة نشأت نتيجة اتحاد جماعات متفرقة بشكل تدريجي، بالإضافة إلى نظرية الأصل الديني، بمعنى أن الدولة نشأت بعمل سلطة دينية نظمها وأوجدت القوانين، وقالت إلما سماوية، ثم وطدت حكمها⁽²⁾.

2- المظهر الاقتصادي:

ويشمل دراسة مصادر الثروة ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي وتبادل المنتوجات، إن بحث هذه النواحي في تاريخ الحضارة هي دراسة علاقتها بالإنسان وتأثيرها في أساليب معيشته ومختلف جوانب حياته. فالثروة وأسلوب المعيشة وتوعية

1 - عبد الله مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص 37.

2 - لمزيد من التفاصيل انظر: حنّان، المرجع السابق، ص 30.

الاقتصاد الذي يعيش فيه الإنسان تؤثر في الحياة الاجتماعية والفكرية والفنية. وقصة انتقال الإنسان من مرحلة جمع القوت والصيد إلى مرحلة الاستقرار ومن ثم مارس الزراعة ودجن الحيوانات، فأمن بذلك مصدراً للإنتاج أكثر طمأنينة وضماناً لحياته، ثم اخترع المحراث واكتشف النار وتعلم صناعة الكثير من أدواته أولاً من الأحجار والتراب " الفخار " ثم عرف المعادن " النحاس، والبرونز، والحديد"، ثم أوجد وسائل النقل وأساليب التبادل فاخترع الدولاب والسفن.

ومع هذا التطور الذي حصل ظهرت الفوارق بين الناس، فأصبح هناك الفقراء والأغنياء، وانقسم المجتمع إلى طبقات فحدث النزاع بينهم، وبدأت حرب الطبقات تظهر خلال تطور التاريخ، واقتضى هذا الصراع الطبقي إلى قيام الدولة لتنظيم طبقات المجتمع وحماية الملكية.

3- المظهر الاجتماعي:

يتناول المظهر الاجتماعي دراسة تكوين المجتمع ونظمه ومؤسساته وطبقاته، ونظام الأسرة ومقام المرأة والأدب والأخلاق الاجتماعية، ومختلف العوامل التي تؤثر فيه.

وبما أن الحاجات الأساسية للإنسان هي الحاجة المادية والحاجة الروحية والحاجة الجنسية، فالتنظيم الاقتصادي يهتم بالحاجة المادية بينما يهتم التنظيم الاجتماعي بالحاجتين الروحية والجنسية. ويعتقد بعض الباحثين أن الإنسان في المجتمع البدائي، في مرحلة الصيد كان يعيش بشكل جماعات وليس بشكل عائلات، ثم ظهرت القبيلة التي تطورت إلى تجمعات أكبر وأوسع، ونحولت بدورها إلى الدولة فحلّت العائلة محل القبيلة كأساس الدولة، وبينما اهتمت الدولة بالأمن والنظام، وصرفت العائلة اهتمامها إلى قضية دوام النسل.

- دور المرأة:

في مرحلة الصيد كانت المرأة تقوم بسائر الأعمال من جمع الطعام إلى طهيهِ، وصنع الثياب وغير ذلك من أعمال، بينما كان الرجل يستريح معظم أيام السنة مقابل مصاعب الصيد وأخطاره، ومعظم نواحي التقدم في المجتمع الأول ارتبطت بالمرأة من زراعة وتدجين الحيوانات، والحرف والفنون كالخزف والنسيج، ولذلك سادت سلطة الأم في هذه المرحلة.

وعندما تقدمت الزراعة واستخدمت الحيوانات، أصبح الرجل العامل الرئيسي في العائلة، وهكذا ظهرت سلطة الأب وحلت محل سلطة الأم التي كانت سائدة سابقاً، حتى إن الآلهة المؤنثة أصبحت مذكرة، وصارت المرأة تابعة للرجل وبدا الزواج كشكل من أشكال الملكية، وأصبحت الأسرة الأبوية هي الوحدة الاقتصادية والسياسية في المجتمع، ويبدو أن دور الأم كان محور العائلة الرئيسي، عند ظهور الدولة حيث قامت برعاية الأطفال، والعناية بشؤون الزوج والمزول، وبذلك ظهر أيضاً التخصص في الأعمال.

أما من جهة النظم والقوانين الاجتماعية، فكان الناطم الرئيسي للمجتمع العادات والتقاليد التي تتوارثها الأجيال عن بعضها، وهناك المبادئ الأخلاقية التي تتحكم بتصرفات الفرد وسلوكه.

4- المظهر الفكري:

يدرس المظهر الفكري كل ما يتعلق بالفكر والإنتاج العقلي من علوم وأداب، كما يتطرق إلى المعتقدات الدينية.

- المعتقدات الدينية:

إن أهم أسباب تدين الإنسان هو الخوف من الموت، والحيرة والدعشة في أسباب الحوادث التي لا يمكن تعاليلها، أو معرفة أسبابها، كالكسوف والخسوف والزلازل والفيضانات، والأمل بمساعدة الآلهة في الوصول إلى ذلك.

كان الاعتقاد سائداً عند الإنسان الأول أن هناك روحاً في كل كائن حي تنفصل عن الجسد إبان المرض والنوم والموت، وكذلك الأشياء لها أرواح أيضاً، وإلا فما هو سر حركة الشمس وبعض الظواهر الطبيعية، كالرق والرعد وغيره، وكان الإنسان البدائي يرى أن الجبال والأنهار والصخور والأشجار والسماء والشمس والقمر كلها أشياء مقدسة، لأنها علاقات خارجية لأرواح غير مرئية، والمعبودات الدينية كثيرة وهي سماوية وأرضية وبشرية وحيوانية، فالمعتقدات الدينية قديمة ودائمة.

- الأدب:

إن الأدب هو التعبير الفني عن فكر الإنسان وعواطفه ووصف نواحي حياته، ومن فروعه الشعر والنثر وعلوم اللغة والتاريخ بما فيه من حوليات وتراجم ومدونات، والجغرافيا بما فيها من أدب الرحلات، ووصف الأقاليم، وتقويم البلدان، والفلسفة بمدارسها، وعلم النفس والاجتماع والأخلاق والمنطق، ونطلق كلمة أدب أحياناً على المادة العلمية عندما يتم التعبير عنها بشكل فني⁽¹⁾.

- العلوم:

تقسم العلوم إلى عدة أنواع أهمها العلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية، والعلوم الفيزيائية، والعلوم الطبية وغيرها، كما تقسم أيضاً إلى علوم نظرية كالرياضيات، وعلوم

1 - لمزيد من التفاصيل انظر: حاطوم، طرين، عاقل، مدني، موجز تاريخ الحضارة، ج1، ص49. عبد الله، مرعي، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص44 وما بعدها.

تطبيقية كالطب والهندسة، ويبدو أن العلوم نشأت كما نشأ الأدب، على أيدي الكهنة، وحفظت في المعابد، وانتقلت عبر الزمن كجزء من التراث الديني، ونتيجة للحاجة العلمية لها.

5- المظهر الفني:

ويشمل دراسة الفنون بأنواعها المختلفة كالعمارة والرسم والنحت والغناء والموسيقى وغيرها، وقد كان الفن مكرساً في البداية لخدمة الآلهة والكهنة والدين عموماً، ثم دخل في خدمة الملك والحاكم، ولم يسلك منحى مستقلاً إلا في العصور الحديثة، ويمكن القول إن الإنسان يرى الشيء جميلاً إذا أشبع رغباته وحاجاته.

وبدأ الفن من تمجيد الإنسان لجسمه أو جسم المرأة التي يحيل إليها، وتصبح الطبيعة جميلة إذا اقترنت بمشاعر الإنسان وذكرياته. ويعتقد أن الرقص والغناء كانا من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان، والتي مارسها كنوع من محاكاة للطبيعة، ثم تطور الأمر مع ظهور المجتمعات الأولى المستقرة، وتأسيس المعابد والقصور، ومع مرور الزمن نشأ عن الرقص والغناء الموسيقى والعزف على أدوات معينة ثم ظهر التمثيل.

أما الرسم فتوجد أقدم الأدلة على جدران الكهوف والمغاور التي استوطنها الإنسان البدائي وأحرز تقدماً كبيراً بعد معرفة صناعة الفخار، إذ تحولت سطوح الأواني الفخارية إلى لوحات فنية كما عبر الإنسان عن أعماله عند تشييده الأبنية، كالمعابد والقصور مثلاً، فظهرت على جدرانها الرسوم والمنحوتات الرائعة.

نلاحظ مما تقدم أن مظاهر الحضارة كانت موجودة عند الإنسان البدائي باستثناء الكتابة والدولة، فأساليب الحياة الاقتصادية من صيد وزراعة وغيرها موجودة، كذلك بعض تنظيمات الحياة الاجتماعية كالأُسرة والقبيلة، وكان هناك أيضاً النظام وأسس الدين والعلوم والآداب والفنون بشكلها المبسط.

أخيراً لابد من القول: إن المظاهر الحضارية يؤثر بعضها في بعضها الآخر، فالناحية السياسية مثلاً تؤثر في النواحي الاقتصادية والاجتماعية في الحضارة والعكس صحيح.

- اللغات والكتابة والتاريخ⁽¹⁾

عرف الإنسان اللغة قبل أن يخترع الكتابة، واللغة هي وسيلة للتفاهم بين الناس، تنقل الأفكار من ذهن المتكلم إلى ذهن المستمع؛ وهناك نظريات متعددة حول نشوء اللغات، منها أن أسماء الأصوات هي أصل اللغات، وأخرى تقول إن الحركات هي أصل اللغات، ومن المحتمل أن الكلمات الأولى التي نطقها الإنسان كانت تقليداً لأصوات سمعها في الطبيعة، وعند نطقه لهذه الكلمات كان يستحضر في عقله صور الحيوانات التي أصدرتها أو الظواهر التي رافقتها.

على أية حال إن تقليد الأصوات الطبيعية ساعد على تكوين مبادئ اللغة. وتتميز اللغات البدائية بألفاظ حسية، أي أنها تعرف الشيء الموجود والحسوس، وقد تم الانتقال من الأسماء الحسية إلى دلالات معنوية نشأ مع تقدم الفكر، وهو رمز من رموز الحضارة.

إن اللغة وعاء يضم معارف البشرية وخبراتها، التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر، فهي كلغة مكتوبة صلة الوصل بين الأجيال المتلاحقة. وقد عرفت البشرية منذ نشأتها عدداً كبيراً من اللغات، بعضها مات وانقرض، وبعضها الآخر مازال قيد الاستعمال، ومن المجموعات اللغوية المعروفة:

1... مجموعة اللغات السامية: كالأكدية والكنعانية، والعربية، والآرامية،..... الخ.

1 - قد اعتمدنا في توضيح اللغات والكتابة والتاريخ على ما كتبه الدكتور عبد مرعي في كتابه المدخل إلى تاريخ الحضارة المذكور سابقاً، ص 46 وما بعدها.

2- مجموعة اللغات الحامية: كالمصرية القديمة، والبربرية "اللامازيغية" والكوشية، والصومالية.

3- مجموعة اللغات الهندو أوروبية: كالسنسكريتية، والختية، والإغريقية، وغيرها.

4- مجموعة اللغات التركية - المغولية.

5- مجموعة اللغات الصينية - التبتية.

6- مجموعة لغات الهندو الحمر في أمريكا.

وقد انتقل الإنسان من عصور ما قبل الكتابة " ما قبل التاريخ" إلى العصور التاريخية باختراعه الوسيلة التي يدون بها لغته ألا وهي الكتابة. اخترعت الكتابة في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد في المشرق العربي القديم " الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين، والكتابة الهيروغليفية في مصر" وبذلك أصبحت هناك وسيلة تنتقل بواسطتها معارف البشرية من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان⁽¹⁾.

ويمكن أن نعرف الكتابة بأنها إشارات ناتجة من تخطيط أو رسم أو نقش أو خدش أو ضغط بواسطة أداة للكتابة على مادة مناسبة كالطين أو الحجر أو الردي، أو الجلود، أو الورق، أو غيره. وهي تنقل بذلك الأعباء اللغوي من حيز المسموع إلى حيز المرئي.

وقد عرف القدماء أهمية الكتابة فنسبها المصريون إلى الإله تحوت Thut إله الحكمة، ومخترع جميع وسائل المعرفة، وعد البابليون الإله نابو Nabu إلهاً للكتابة،

1 - عن أنظمة الكتابة المختلفة، انظر: ساكسون (دونالد): تاريخ الكتابة، ترجمة محمد علام خضر، نشر وزارة الثقافة، سورية، 2007م. فريدرش (يوهانس): تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد الظاهر، دار الثقافة، دمشق، 2004م.

واعتمد الصينيون والهنود القدماء بأصل إلهي للكتابة، ونسبتها الأساطير الإغريقية إلى الإله هرمس. تنضج من ذلك أهمية الكتابة ومكانتها لدى معظم الشعوب القديمة، وتعد الكتابة أهم من اللغة كونها اختراعاً، بينما اللغة ميزة بشرية، وقد اندثرت لغات متعددة، ولا يعرف العالم عنها شيئاً، لأنها لم تدون.

ونظراً لأهمية اختراع الكتابة في تاريخ البشرية عدّ زمن اختراعها حداً فاصلاً بين العصور التي سبقتها، والتي تسمى عصور ما قبل الكتابة، أو عصور ما قبل التاريخ، والعصور التي تلتها وتسمى العصور التاريخية.

وتعد بلاد الرافدين "العراق القديم" المكان الذي حدث فيه هذا التحول الكبير في حياة الإنسانية، فقد عثر في جنوبه على شواهد أولى محاولات الإنسان الكتابة، وقد سميت تلك الكتابة "الكتابة المسمارية" Cuneiform، لأن أشكال رموزها تشبه المسامير، أو الأسافين. ومرت خلال تاريخها الطويل بمراحل متعددة من التطور هي⁽¹⁾:

1- مرحلة الكتابة التصويرية Pictography:

وهي أولى مراحل الكتابة حيث كان يجري التعبير عن الأشياء المراد ذكرها بالصور، مثلاً الدائرة تمثل الشمس، والسنبلة تمثل الحبوب، وصورة الحيوان تدل عليه وهكذا.

1 - مرعي (عيد): الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42، ص 8 وما بعدها.

2- مرحلة الكتابة الرمزية Ideography:

وفيها تطورت الصورة إلى رموز أو إشارات مسمارية لا تعبر عن المعاني الأصلية للصورة المرسومة فقط، بل أيضاً عن أفكار ومعاني لها علاقة بالمعنى الأصلي للشيء المرسوم.

3- مرحلة الكتابة المقطعية أو الصوتية Phonetics:

وفيها تصبح الرموز المستخدمة ذات قيم صوتية تعبر عن كلمات أو تشكل جزءاً من كلمة، مثلاً الكتابة الصينية ما تزال حتى الآن كتابة مقطعية خالصة.

4- مرحلة الكتابة الأبجدية Alphabet:

تعد هذه المرحلة تنويعاً للمراحل السابقة، ففي مدينة أوجاريت السورية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، حيث ازدهرت التجارة والعلوم والفنون المختلفة، استفاد الأوغاريتمون من نظامي الكتابة "المسماري الرافدي، والميروغليفي المصري"، فاختراعوا أول أبجدية مؤلفة من ثلاثين حرفاً مسمارياً يمثل الحرف الواحد فيها صوتاً لا مقطعاً، ويمكن أن يستخدم في كتابة لغات متعددة، وقد تم ذلك في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبعد ذلك بأربعة قرون "القرن العاشر قبل الميلاد" اخترع نظام أبجدي آخر في مدينة ساحلية أخرى هي جبيل، مؤلف من اثنين وعشرين حرفاً، ونتيجة سهولة استخدام هذا النظام فإنه انتشر شرقاً وغرباً، وكتبت به لغات متعددة، وهكذا نشأت وسيلة اتصال سهلة بين شعوب الأرض ما زالت مستخدمة حتى الآن.

تعد الكتابة أهم إنجاز حضاري توصل إليه الإنسان في تاريخه الطويل، ودفع بالحضارة الإنسانية عظمى وامعة إلى الأمام، فهي وسيلة الإعلام الوحيدة التي تتميز بالثبات والديمومة، أي وسيلة نقل المعارف بين الناس والشعوب، وحفظها من دون

خوف الوفور في النسيان، وخطر الاعتماد على الذاكرة التي تخونه، وبواسطتها يضمن حفظ ما يريد من معلومات ومعارف إلى الأجيال القادمة⁽¹⁾.

التاريخ Chronology:

اهتم الإنسان منذ نشأته بالتاريخ وحساب الزمن، وذلك بالاستناد إلى حوادث بارزة في الطبيعة مثل قبضان لهر أو حدوث زلزال أو كارثة، لكن هذا الأسلوب البدائي تغير مع الزمن، فأصبحت بعض الشعوب كالبابليين مثلاً تورخ استناداً إلى الأحداث التي تجري خلال سنوات حكم الملوك، كأن يقال: في السنة التي انتصر فيها الملك على -----، وأرخت بعض الشعوب كالآشوريين استناداً إلى سنوات حكم أحد الموظفين الكبار.

كان التاريخ قائماً على حساب الزمن اعتماداً على دورة القمر أو الشمس، نشأت بالتالي تقاويم مختلفة عند الشعوب أساسها الشهر، ومن أشهر التقاويم التي عرفها العالم القديم التقويم السلوقي الذي اعتمد العام 312 ق.م، وهو العام الذي سيطر فيه سلوقس الأول على بابل بداية تقويمه. والتقويم الحميري الذي اعتمد العام 115 ق.م بداية للتقويم، وهو العام الذي تسلمت فيه قبيلة حمير الحكم في اليمن. والتقويم الشمسي المصري الذي تبناه يوليوس قيصر وطبقه في روما في العام 45 ق.م، وعرف بالتقويم اليولياني، والذي أصبح فيما بعد أساس التقويم الميلادي الحالي.

هذا وقد اعتمدت معظم شعوب العالم القديم على دورة القمر في حسابها للزمن، وباستثناء المصريين القدماء الذين اعتمدوا على دورة الشمس، كان العرب قبل الإسلام يؤرخون نسبة إلى الحوادث الكبرى في تاريخهم، كبناء الكعبة، وقيام الفيل ----- الخ.

¹ - للمزيد انظر: هيو (أحمد): الأجداد، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الخوار، اللاذقية، 1984م، ص 62.

أما الفرس فقد اعتمدوا تقويعاً دينياً يبدأ مع فصل الربيع وقسمت السنة إلى اثني عشر شهراً، وحمل كل شهر اسم أحد الألفه، وهي بالترتيب الآتي:

1- فروردین، 2- ارد بهشت، 3- خرداد، 4- نير، 5- مرداد، 6- شهر بور، 7- مهر، 8- ابان، 9- آذر، 10- دار، 11- بهمن، 12- اسفندارمذ.

وقسم الشهر إلى ثلاثين يوماً، ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية توضع في نهاية الشهر الأخير من السنة، وتحمل هذه الأيام أسماء الكائنات الخمسة⁽¹⁾.

- عصور ما قبل التاريخ

1- العصر الحجري القديم:

العصر الحجري القديم، أو عصر الباليوليث paléolithique مصطلح مستخدم منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو ذو أصل يوناني، palaaios قديم و lithos حجر، وهو العصر الذي يمثل المرحلة الأولى والأطول من عصور ما قبل التاريخ préhistoire، أي العصور التي سبقت معرفة الكتابة، وتسمى أيضاً العصور الحجرية. بدأ الباليوليث مع ظهور الأدوات الحجرية الأولى، وذلك منذ 2.5 مليون سنة عجلت تقريباً، بينما تُوْرخ نهايته منذ 12000 سنة ق.م تقريباً، ويُقسم العصر الحجري القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

أ- مرحلة العصر الحجري القديم الأدنى (الباليوليث الأدنى) paléolithique inférieur: بدأ

منذ نحو 2.5 مليون سنة، وانتهى منذ نحو 200 ألف سنة عجلت.

¹ .. كريستسن، المرجع السابق، ص 159.

ب - مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط (الباليوليت الأوسط) :paléolithique moyen
بدأ منذ نحو 200 ألف سنة عجلت، وانتهى منذ نحو 40 ألف سنة عجلت.

ج - مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى) :paléolithique supérieur
بدأ منذ نحو 40 ألف سنة عجلت، وانتهى منذ نحو 12 ألف سنة ق.م.

لم يكن المستوى الاقتصادي والاجتماعي للجماعات البشرية التي عاشت على امتداد العصر الحجري القديم واحداً، ففيه فروق تطورية شاملة في مختلف مراحله، كما أن النوع البشري قد تطور من مرحلة إلى أخرى، ففي أوائل العصر الحجري القديم الأدنى عاش نمط بدائي من البشر، هو ما سمي «الإنسان الماهر» Homo-Habilis، ثم تلاه الإنسان المنتصب القامه «الموموار كنوس» Homo Erectus الأكثر تطوراً من النوع السابق. وكان صيد الحيوانات وجمع النباتات البرية، مصدر عيشه. وفي العصر الحجري القديم الأوسط، ظهر نمط جديد من البشر هو «إنسان النياندرتال» Neanderthal، الذي كان أكثر تطوراً، شكلاً وحضارة، من سلفه، وفي القسم الأخير من العصر الحجري القديم، أي في العصر الحجري القديم الأعلى، ظهر نوع الإنسان العاقل Homo-Sapiens، وهو الجد المباشر للإنسان الحالي، وكان أكثر تطوراً فيزيولوجياً وحضارياً من جميع الأنواع السابقة⁽¹⁾.

إن أقدم آثار عثر عليها في إيران تدل على أن الإنسان كان يعيش في الكهوف حيث كشف كهف تنجي بابدا "Tang-i Pabda" في جبال بختياري عن فؤوس حجرية تعود لهذه المرحلة، وربما استخدم الإنسان أيضاً أدوات مصنوعة من عظام الحيوانات، التي لم تتمكن من الصمود في وجه الزمن فلذابت آثارها⁽²⁾.

¹ - عيسن (سلطان): العصر الحجري القديم، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد 8.

² - عصفور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، ص 89.

كما عثر في كهف بمستون، الذي يقع شرق كرم منشاء بحوالي 48 كم، على الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين أكتينا "مملان" وبابل، على بقايا عظام بشرية، وعلى كميات كبيرة من السكاكين الحجرية ذات التقنية التي نفوذ مثيلاتها في المناطق الأخرى، ووجد في كهف هوتو مخلفات أثرية تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم الأعلى.

2- العصر الحجري الوسيط:

العصر الحجري الوسيط أو «الميزوليت» mesolithique مصطلح يوناني الأصل، استخدم منذ نهاية القرن التاسع عشر للدلالة على العصر الحجري الوسيط، الذي يفصل بين العصر الحجري القديم «الباليوليت» الذي سبقه والعصر الحجري الحديث «النئوليت» الذي تبعه.

يختلف الإطار الزمني والمضمون الحضاري لهذا العصر حسب المناطق، وهو يبدأ في الشرق الأوسط منذ نحو 12 ألف سنة ق.م، ويستمر حتى 10 آلاف سنة ق.م.

يتميز العصر الحجري الوسيط، الذي يُطلق عليه أيضاً في أوروبا وإفريقيا «الباليوليت التالي» epi-paleolithique بظهور الأدوات الحجرية الصغيرة جداً، الميكروليثية، ذات الأشكال الهندسية microlithes-geometriques، التي أنتجتها حضارات عدة في مختلف الأمكنة والأزمنة. وتتميز سكان العصر الحديث بحمل صفات مشتركة بين المجتمعات التي سبقتهم، وتلك التي أتت بعدهم، فكانوا شبه مستقرين، بنوا الأكواخ والبيوت البسيطة إلى جانب سكنهم المغاور والملاجئ الطبيعية، وجمعوا النباتات وصادوا الحيوانات البرية التي دُجنت في العصر اللاحق¹.

¹ - محمد حسن (سلطان): العصر الحجري الوسيط، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد 8.

ومن المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط في إيران، كهف بيلت Belt الذي يطلق عليه أيضاً كاري كامار ياند ويقع على شاطئ بحر قزوين إلى الغرب من مدينة به شهر بحوالي 150 كيلومترا، فقد عثر في هذا الكهف على كميات كبيرة من قرون الغزال والأدوات كالنفوس والسهام ذات الثقب، ويعتقد أن الكهف استخدم منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وهناك مواقع أخرى اكتشفت في إيران مثل تل أسياب بالقرب من كرمنشاه وموقع تبة جانجي دازه جنوب بهشتون ويحدد تاريخ هذه المواقع ما بين الألف العاشر والثامن قبل الميلاد.

امتازت مجتمعات العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط بأن الإنسان قد ارتبط ارتباطاً كاملاً بتطورات البيئة المحلية وتغير المناخ وحياة الصيد وجمع الطعام التي هسي من سمات المجتمعات البدائية . وحياة الظلم والارتمال لا تعتبر ميزة يفردها صيادو ذلك العصر فحسب بل هي صفة عامة توجد في كل مكان تتهم ظروفه الجغرافية على السكان احتراف صيد البر أو البحر أو جمع الطعام، والحاجة إلى الطعام دائماً هي الدافع الأساسي الذي يحول دون تمتع الصيادين بحياة الاستقرار ، تلك الحياة لا تنأى إلا حينما يكون هناك وفرة في الصيد.

ولعل دراسة مخلفات المساكن وحجمها، في العصر الحجري القديم و الوسيط تعطينا فكرة عن صياد الارتمال والنظام الذي كان سائداً بين هذه المجتمعات البدائية، ولعل من أبرز المخترعات التي ظهرت في أثناء العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط ما يأتي :

1- معرفة بناء الأكواخ والمساكن.

2- استئناس الكلب.

3- معرفة النار و طهي الطعام.

4- نصب القحماخ وصناعة الشباك.

5- استخدام القوارب كوسائل للنقل.

6- اختراع المصايح والأواني الحجرية⁽¹⁾

3- العصر الحجري الحديث:

العصر الحجري الحديث أو «النيوليث» neolithique مصطلح يوناني الأصل، يتألف من neos وتعني حديث و lithos وتعني حجر، استخدم منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً للدلالة على العصر الذي يؤرخ في الشرق القديم، في المرحلة الواقعة بين الألف العاشرة والألف السادسة ق.م. ويقسم إلى قسمين رئيسيين، العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار pre-pottery neolithic الواقع بين 10000-8000 سنة ق.م، والعصر الحجري الحديث الفخاري pottery neolithic الواقع بين 7000-6000 سنة ق.م.

اتسع مفهوم هذا المصطلح ليدل على تحول حضاري كان الأهم من نوعه في تاريخ البشرية، تحسّد في انتقال مجتمعات العصر الحجري القديم (الباليوليث) من حياة التنقل والصيد والالتقاط إلى الاستقرار وممارسة الزراعة وتدجين الحيوانات، مما قاد إلى نشوء القرى الزراعية الأولى التي ميزت مجتمعات العصر الحجري الحديث، التي أنتجت طعامها بنفسها بعد أن كان أسلافها مستهلكين لمنتجات الطبيعة البرية، مما شكّل انعطافاً جذرياً في التاريخ الإنساني، أطلق عليه الباحثون اسم الثورة الزراعية أو الثورة النيوليتية neolithic revolution.

ليس المقصود بتعبير «ثورة» هنا الانقلاب المفاجئ والسرّيع الذي أطاح بنمط اقتصادي - اجتماعي قديم، ليأتي بنمط جديد، بل استخدم مصطلح الثورة للدلالة

¹ - Beals , R.L , Hoiijer , H., Introduction To Anthropology , Macmillan publishing Company .1971 , pp 36- 50.

على عمق وشمولية التحول وأهميته ونتائجه على تاريخ الإنسان والحضارة عامة، مع أنه تحول تدريجي ومترايط في مختلف مراحل¹.

وتعد سيالك قرب كائشان من أبرز المواقع التي تعود للعصر الحجري الحديث في إيران، حيث عثر المتقربون على ثلاثة طبقات هي سيالك 1 وسيالك 2 وسيالك 3، وتعود سيالك 1 فقط من بين هذه السويات للعصر الحجري الحديث وفيها عرف الإنسان كيف يحيي بينه وبينه ويستأنس ماشيته ويؤرع أرضه.

لقد ترسخت الزراعة من خلال ظهور القرى الزراعية الأولى التي بُنيت وفق مخططات محددة، وتألقت من بيوت كبيرة وقوية، فيها الشوارع والمساحات والمدافن والمعابد والمشاعل وغير ذلك من أنماط الأبنية الفردية والجماعية التي تدل على تبلور سلطة اجتماعية جديدة تنظم شؤون تلك القرى وتديرها.

وقد رافق هذا التحول الاقتصادي تحول اجتماعي عميق آخر دلت عليه الفنون والمعتقدات التي تجسدت بالرسوم الجدارية والحلي والأدوات والتمائيل الإنسانية والحيوانية، التي عكست ممارسات عقائد جديدة بينها عقيدة «الربة الأم» و«تقديس الأحداد» و«عبادة الثور» التي استمرت زمناً طويلاً في حضارات الشرق القديم.

كما حصل تطور تقني دلت عليه الأسلحة، ولاسيما رؤوس النبال، والأدوات الزراعية كالمنجل والفؤوس والرحى والأجران، تلا ذلك ابتكار الفخار الذي عدّ من أهم إنجازات المجتمعات الزراعية في القسم الثاني من العصر الحجري الحديث. وقد دفن إنسان سيالك موتاه تحت أرضية المنازل في وضع القرفصاء، ويشير الأثاث الجفزي المرافق

¹ - محسن (سليمان): العصر الحجري الحديث، الموسوعة العربية، دمشق، مجلد 8.

للموتى على اعتقاد الإنسان في هذه المرحلة بالحياة بعد الموت، فزود موتاه بما يحتاجون لحياتهم الأخرى (1).

ومن المواقع التي ترجع إلى هذه المرحلة، تبة جوران، تبة ساراب، موقع علي كوش، تبة سايز، تبة موسيان، تبة حاج فيروز، تبة جيان.

وقد كان للبيئة الغنية بالنباتات والحيوانات البرية، والمستوى التقني والاجتماعي المتطور لمجتمعات ذلك العصر، الدور الحاسم في ظهور المجتمعات الزراعية الأولى منذ الألفين العاشرة والثامنة ق.م، ثم انتقلت الزراعة من المشرق العربي القديم إلى شمالي إفريقيا في الألف التاسعة ق.م، وإلى جنوبي ووسط ثم شمالي أوروبا على امتداد الألف السادسة والخامسة والرابعة ق.م تباعاً. في نهاية الألف السادسة ق.م بدأ الإنسان باستعمال النحاس، وبذلك ينتهي عصر النيبوليت ويبدأ عصر «الكالكوليث» chalcolithique أي العصر الحجري النحاسي الذي يمثل المرحلة الأخيرة في عصور ما قبل التاريخ التي تنتهي نحو الألف الرابعة ق.م (2).

— عصر استخدام المعادن

— عصر النحاس.

عرف الإنسان المعادن منذ العصر الحجري القديم الأعلى وكان النحاس من أول المعادن التي عرفها منذ الألف السابع قبل الميلاد، وزادت معرفته به وبطرق استخلاصه فدخل الإنسان في العصر الحجري النحاسي في مطلع الألف الخامس، واستمر حتى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وفيه تعرفت مجتمعات المشرق القديم على

¹ - رمضان، المرجع السابق، ج1، ص53. سليم، دراسات في تاريخ الأدب القديم، ص349. عصفور، المشرق الأدبي قبل عصوره التاريخية، ص90-92. عصفور، معالم تاريخ المشرق الأدبي القديم، ص399.

² - عصفور، المشرق الأدبي قبل عصوره التاريخية، ص92.

معدن النحاس بشكل متزايد واستخدمته في صنع الأدوات، ولكن ذلك لم يلبس استخدام الحجر ومن هنا جاءت تسمية العصر بالحجر النحاسي كون الحجر أسبق في الاستخدام من النحاس. وتركزت معالم هذا العصر في القسم الشمالي من إيران حتى شمال بلاد الرافدين غرباً⁽¹⁾، وقد توافرت إجماعاً في مناطق الخليج العربي وزاغروس و طوروس وغيره..

وتطورت مبادئ الحياة على اختلافها وازداد السكان وانتشرت القرى في مناطق جديدة وأنتج الري الصناعي واعتمدت الزراعة أساس الحياة الاقتصادية حيث عرفوا أنواعاً جديدة من المزروعات كالبقول من عدس وحمص وفول، وزرعوا أشجار مثمرة جديدة كالكروم والتين والزيتون وظهر التفاوت بين الناس في الثروة وخاصة بعض التجار. ومع تطور الإنسان زاد اهتمامه بالمعادن وتعرف على البرونز.

- عصر البرونز:

عصر البرونز Bronze Age هو العصر الثاني، بعد العصر الحجري النحاسي، وفق التقسيم الأثري للعصور القديمة. كان كريستيان تومسون Christian Thomson أمين متحف كوبنهاغن في الدنمارك أول من ابتكر نظام العصور الثلاثة للثلاثية: النحاسي والبرونزي والحديدي، وذلك وفق للمادة التي صنعت منها القطع الأثرية التي كانت محفوظة في ذلك المتحف في مطلع القرن التاسع عشر.

ومع أن النحاس، كان معروفاً منذ الألف السابع ق.م تقريباً. وازداد انتشاراً في الألفين الخامس والرابع ق.م، فإن البرونز لم يعرف معرفة تامة إلا في مطلع الألف

¹ - كانت إيران منذ أقدم عصورها تستخرج النحاس من مناجمها، وتملكه لتبيعه في بلاد الرافدين، ونشأت فيها مراكز هامة لصناعة الأدوات النحاسية على نطاق واسع مما حدا ببعض العلماء مثل هنري فرانكفورت إلى القول بأن نشأة صناعة النحاس ظهرت في إيران. انظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 200.

الثالث ق.م، وكان ذلك لأول مرة في الشرق القديم في بلاد الرافدين ومصر
والأناضول وإيران، ثم انتقل هذا المعدن في منتصف الألف الثاني، إلى أوروبا وإلى وسط آسيا وشسرفها
(الهند والصين)، بينما لم يعرف البرونز في أمريكا الوسطى وإفريقية إلا في الألف الأول ق.م.

والبرونز خليط من معدني النحاس والقصدير، كما يدخل في تركيبه أحياناً الرصاص والتوتياء
بنسبة لا تتجاوز عموماً 10%. يتصف بقوة مقاومة أكبر وليونة أفضل في التصنيع، كما أنه أقل
تعرضاً للتآكل والتأكسد. وقد كان ابتكاره ثورة حقيقية في عملية تصنيع المعادن وتقدم الحضارة.

اقتصرت استخدام البرونز في النصف الأول للألف الثالث ق.م على الأدوات الخفيفة والنادرة
وأدوات الزينة. ومنذ منتصف الألف الثالث ق.م. أتقنت طريقة صنعه، بواسطة تقنيات متطورة
ودقيقة، في أفران ذات حرارة عالية، وأنتجت منه كميات كبيرة، واستخدم على نطاق واسع في
صناعة الأسلحة والأدوات والأواني والتماثيل وغيرها.

يقسم علماء الآثار عصر البرونز إلى ثلاثة أقسام هي:

- عصر البرونز الباكر أو القديم Early Bronze، ويؤرخ له بين 3000 و2000 سنة ق.م.
- عصر البرونز الوسيط Middle Bronze، ويؤرخ له بين 2000 و1600 سنة ق.م.
- ثم عصر البرونز الحديث (التأخر) Late Bronze، ويؤرخ له بين 1600 و1200 سنة ق.م.
- عصر الحديد

زادت معرفة الإنسان بالمعادن وطرق استخلاصها من فلزاتها بمرور الزمن، وتعرف في الألف

الثالث على معدن الحديد. فبدأ العصر الحديدي الذي يعد حقبة من

حقب التاريخ بدأت فيما بين 3000 و 1000 ق.م، حيث استخدم الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة واستمر استخدامه منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا.

وفي حوالي عام 3000 ق.م شرعت بعض شعوب الشرق القديم في طرق بحام الحديد واستعماله في صنع الأدوات، وقامت بزخرفة كثير من هذه الأدوات المصنوعة من الحديد بمهارة، وأقدم هذه القطع أنصال المناجل المصرية ومنشار معد للقطع بالعرض (متعارض) عمره ألف عمام، وبعض ما علقه الحثيون من الخواتم والحلي المصنوعة من الحديد الصلب، ومع ذلك، ففي عصر المعادن، استمر العمال الحرفيون في استعمال الأدوات البدائية التي يرجع عهدها إلى أواخر العصر الحجري، لأن المعدن كان غالي الثمن. وكان بوسع الملوك والحاربين فقط أن يمتلكوه، وكان يستعمل أساساً في صنع الأسلحة.

بدأ الاستخدام الحقيقي للحديد في آسيا الصغرى ما بين عامي 1500 و 1000 ق.م، وانتشر في أجزاء كثيرة من آسيا وإفريقيا وأوروبا. وتكمن الميزة في وفرة؛ لأن بحام الحديد متوافر وواسع الانتشار. وفيه، تخلى التجارون والبناعون عن أدوات العصر البرونزي المتواضعة وغير المصقولة، وكان باستطاعة العمال الحرفيين آنذاك أن يشتروه، واستعملوا الحديد على نطاق ضيق، بما في ذلك الحارث الحديدية.

إن حلول الأدوات الحديدية محل الأدوات البرونزية، واستخدام الإنسان للحديد في صنع أدواته وأسلحة صيده على نطاق واسع لم يتم، إلا عندما أصبح ملماً بكيفية استخلاص الحديد من فلزائه، وصار يبني لهذا الغرض الأفران الخاصة، مع بداية ما يسمى تاريخياً بعصر الحديد، الذي تعدد بدايته نحو عام 1200 قبل الميلاد، وما زال مستمراً حتى اليوم.

ويمكننا القول إن استخدام الحديد واستعماله انتشر في أنحاء الشرق القديم بما فيه إيران ما بين القرن التاسع والسابع قبل الميلاد، وأدى استخدام هذا المعدن في صنع

الأدوات إلى ازدياد حجم الإنتاج، مما أدى إلى زيادة التبادل التجاري بين حوض المتوسط غرباً وإلى الهند والصين شرقاً، وشغلت إيران دوراً مهماً ومركزياً بسبب موقعها.



.. الفصل الثالث.

.. موجز تاريخ المنطقة قبل الأريين.

- عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد.

- الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد.

- أصل الإيرانيين وموطنهم.

- الكمبريون والسكيت.

- الميديون.

.. تأسيس المملكة.

- الإمبراطورية الفارسية.

- قوروش وتأسيس الإمبراطورية.

.. الحضارة الأخمينية.

- الحياة السياسية والاجتماعية.

- تنظيم الدولة.

- الجيش.

- آداب الفرس وعادتهم وأخلاقهم.

- الأسرة.

.. الحياة الاقتصادية.

- الزراعة.

- الحرف.

.. التجارة.

- الحياة الدينية.

- المعتقدات القديمة.

- عبادة الأجداد.

- الميثراوية.

- الديانة الزرادشتية.

- الموت والدفن.

- الفن الأممي.

- العمارة الفارسية.

- النحت والتزيين.

- موجز تاريخ المنطقة قبل الآرين.

بدأ سطح الأرض الإيرانية يتخذ مظهره الحالي منذ نحو خمسة عشر ألف عام أو أقل من ذلك. فقد أخذت البلاد تتعرض منذ ذلك الوقت إلى تغير شديد، وبدأ عصر من الجفاف يحل ببطء محل العصر المظلي، وما يزال هذا التغير مستمراً حتى اليوم. وقد أدى تناقص منسوب مساقط المياه إلى نياط جريان السيول والأمطار التي تنقل المياه من الجبال، ولكن ترتب على حركتها الرتيبة تراكم التوضعات الحقيقية عند مصابها، فشكّلت مع مرور الزمن عتبات طينية أضحت مرحلة انتقالية ما بين السهول والوديان الخصبة من جهة، والجبال من جهة أخرى. وفي تلك العصور كان الإنسان يسكن المضيبة الإيرانية منتحناً إلى المغاور والكهوف الطبيعية في سفوح الجبال المكسوة بالغابات وفي حثائها وبغظيها بالأغصان، ولم تكن هذه الكهوف إلا أسرة وقوراً قديمة لأتجار باطنية، وقد كشف عن بعض هذه الكهوف في جبال بختياري في غرب إيران عام 1949م لأول مرة، حيث كان الإنسان يمارس حياة الفصص معباً وراء الغذاء ويستخدم غالباً الحيلة أكثر من القوة، كما استخدم أدوات حجرية كالمنطرفة والبلطة وأدوات أخرى من عظام الحيوانات القوية، وكانت هذه الأدوات غشيمة كما هي في الطبيعة، فلم تتعرض إلا إلى تصنيع طفيف بالنشظية السطحية.

ثم بدأ الإنسان باستخدام الطين لصنع الفخار بشكل بدائي، ولم يكن بعد قادراً على صنع أشياء جميلة، ولم يستخدم إلا ناراً عفيفة لشهي الفخار العادي الذي كان يكتسب اللون الأسود من تأثير دخان النار التي كانت توقد في الكهف نفسه، إما للدفقة أو لإعداد الطعام، كما عثر على شواهد من الفخار في السهول مما يدفع للاعتقاد بحدوث تحركات بشرية ما بين سفوح الجبال والسهول.

وكان للمرأة دور مهم في هذا المجتمع البدائي، فهي التي كانت تعد النار، وتجمع الخطيب، وهي التي صنعت الأواني الفخارية الأولى، وبحث عما يمكن اختياره من الثمار والنباتات التي يصح تناولها طعاماً وغذاءً مما كانت تعرضه الطبيعة.

ويعود للمرأة الفضل في ملاحظة الحياة النباتية ومواعيد النضوج الموسمي للثمار، التي شكلت أولى الخبرات المعرفية للإنسان وهو في طريقه نحو الحضارة والعمران. وينسب لها المحاولات الأولى لمعرفة الزراعة على سفوح الجبال القريبة من الكهوف التي كان يأوي إليها الإنسان، بينما لم يحقق الرجل سوى القليل من التقدم في وسائل القنص والصيد، وتقنياته وفي أساليب الدفاع، فهذا التفاوت بين دور كل من الرجل والمرأة في المجتمعات الأولى ربما كان الأساس الذي قدم إدارة الأسرة الأم التي ارتقت دورها من الإنجاب والأمومة ومعرفة الزراعة إلى الرعامة الروحية افحصت الأم كاهنة بل قوة مقدسة فهي رمز الخصوبة. وأضحى الانتساب إلى الأم أسبق من الانتساب إلى الأب الذي لم يؤخذ به إلا بعد وقت متأخر جداً.

إن هذا الدور المتميز للأم في المجتمعات الإبرانية الأولى انتقل فيما بعد إلى مجتمعات آرية " هندو أوروبية" أخرى عند التفاعل والتمازج بين الأقوام والشعوب على سطح هذه الهضبة الواسعة⁽¹⁾.

ولكن تغير المناخ والجفاف التدريجي أدبا إلى حدوث تغيرات عميقة في الشروط الناظمة لحياة الإنسان، فالبحيرة المركزية العظمى تقلص انمساعها بعد أن تكونت حول شطآنها سهول غنية غطتها النباتات والأعشاب، ومروج خضراء أينعت في تربة لحقية من الطمي شديد الخصوبة الذي كانت قد حملته السيول الجارفة منذ مئات السنين.

وتحركت الحيوانات التي اعتادت على الحياة في البيئة الجبلية المرتفعة نحو المروج الواسعة التي كانت قد تشكلت حديثاً، فلاحق بها الإنسان وتبعها لاصطيادها

¹ - فرزات (محمد حرب): موجد تاريخ فارس وحضارتها، ص 24.

وتأنيدها والإفادة منها في الطعام وفي الحياة اليومية. وهكذا انقاد الإنسان إلى الظروف الطبيعية الجديدة، فأثر العيش في السهول على اللجوء إلى الجبال.

ومن أهم المظاهر الحضارية التي تميز هذه المرحلة، من مراحل الاستقرار في الحضبة الإيرانية، بناء المنازل التي كانت عبارة عن أكواخ بسيطة بنيت من أغصان الأشجار التي غطيت بالطين لكي يساعد على تماسكها، وفيما بعد استخدم الطين لبناء جدران البيت، وفي بعض المواقع، كان لهذه الجدران أساس من الحجر، واتخذ البيت شكل المستطيل، ونجد آثار تلك المرحلة في المواقع الأثرية التالية: تبة سبالك، تبة جيان، تل باكون، تبة جوران، تبة ساراب، تبة حاج فيروز.....الخ.

وسعى الإنسان إلى تطوير أساليب معيشته، فاكشف الزراعة، إذ تعد سفوح جبال زاغروس من المناطق الرئيسية التي بدأت تتشكل فيها المجتمعات الزراعية المبكرة، كما استأنس الإنسان بعض الحيوانات مثل الماعز والأغنام والثيران، وامتد في ممارسة الصيد، وهكذا أصبحت حرفة الصيد والزراعة والرعي أهم مقومات الحياة الاقتصادية في الألفين السادس والخامس ق.م، وما بعد.

ومع بداية الألف الرابعة قبل الميلاد، يلاحظ أن جزءاً من إنتاج الإنسان اليومي بدأ يفيض عنه، فاستخدمه في المقايضة والتبادل، وكان هذا النشاط التجاري البدائي يتضمن ما يوجد في البيئة من حيوان ومواد طبيعية، كبعض الأصناف والأحجار الكريمة، وقد عثر في موقع سبالك على أصداق، تبين أن مصدرها منطقة الخليج العربي الذي يبعد ما يقرب من ألف كيلو متر.

أما الموتى، فكانوا يدفنون تحت أرضية المنازل، وربما كان ذلك السبب لتصورهم أن روح الميت تبقى فوق الجسد، وتشارك الساكنين في البيت وجباتهم الحياتية، ونثر

فوق جسد الموتى تراب أحمر، لأنه يعتقد بأن هذا اللون يرمز إلى الدم الذي يعطي الحياة لصاحب الجثة، ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمانهم بالحياة الأخرى^(١).

وتشير الدلائل الأثرية على أن الحضارة الإيرانية استوطنت منذ فجر التاريخ بأقوام عرقية متفاوتة، حتى قدوم المجموعات التي أطلقت اسمها على هذه الحضارة، وهي العناصر التي انفصلت عن الشعوب الهندية الأوروبية، وأطلق عليها العلماء المختصون اسم العناصر الآرية، التي تعود بأصولها إلى الألف الثالث ق.م^(٢).

وتحدثنا المصادر "الرافدية" الآشورية عن الشعوب الجبلية التي أقامت على امتداد سفوح جبال زاغروس من الشمال إلى الجنوب، اللولوبيون^(٣)، والغوتيون^(٤)، والكاشيون، والعلاميون، وهم ينحدرون جميعاً من أصل مشترك ويتكلمون لهجات متقاربة، وقد أدى الاحتكاك الدائم بينهم وبين سكان بلاد الرافدين، الذين انتقلوا

^١ - الناصوري (رشيد): المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، 1977م، ص 151-152.

^٢ - العابد (مفيد رائف): معالم تاريخ الدولة الساسانية، دار الفكر، دمشق، 2005م، ص 19.

^٣ ... كان اللولوبيون ينتشرون حول المناطق الهضبة بمدينة السلجمانية، وتعود أقدم الإشارات إليهم في الكتابات المسمارية إلى أواخر القرن الثامن والعشرين ق.م، ازداد شأنهم في عصر سلالة أور الثالثة (2112-2004 ق.م)، واتسعت دلالة اسمهم في العصر البابلي القديم (1900 - 1600 ق.م)، لتشمل جميع القبائل الجبلية هناك.

^٤ - كانت مواطن الكوتيون تقع في الجنوب والجنوب الغربي من مناطق اللولوبيون، أي في المنطقة التي يجتريها نهر دجلة والعظيم، شهدت مناطقهم حملات أكادية كثيرة، ولكنهم استطاعوا في أواخر عصر المملكة الأكادية الانتشار جنوباً والسيطرة على مقاليد الأمور في بلاد أكاد، واحتلالها حوالي قرن من الزمن. انظر: فيلهلم (جرنوت): الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، 2000م، ص 31.

فيلهم إلى الحياة المدنية، وشكلوا مجتمعات قوية وممالك محاربة، إلى الشعور بالخطر وبال الحاجة إلى التكاتف والتضامن وتشكيل وحدات لها نظم سياسية بصفة مؤقتة.

ولأن الصراع كان مستمراً بين الأمم المتحضرة في السهول، وبين البدو والرعاة أشباه البدو في المناطق الجبلية، فكلما حكمت أسرة قوية في بلاد الرافدين زاد الضغط على سكان المناطق الجبلية، وكلما ضعفت السلطة في بلاد الرافدين، انحدر هؤلاء من الجبال إلى مناطق السهول الغنية بمنتجاتها لفترات مختلفة، فقد نجحوا في فترات زمنية معينة من اختحام مراكز الحضارة القديمة، وتقويض الممالك التي كانت قائمة، فقد أضعف صراع الأكاديين مع الغوتيين، والفلوبيين، مملكة أكاد وأدى إلى انهيار الحكم الأكادي " أواخر الألف الثالث قبل الميلاد".

ونجح الكاشيون في تدمير الدولة البابلية الأولى والسيطرة عليها لمدة أربعة قرون من 1570-1160 ق. م، ثم أسقطت عيلام الحكم الكاشي في بابل وأقامت مملكة قوية غرب إيران، ودخل الأوراشيون، الذين شكلوا مملكة مهمة حول بحيرة وان في الألف الأول ق. م، في صراع مع الآشوريين⁽¹⁾، وهكذا يمكننا القول إن تاريخ غرب إيران ارتبط دائماً بكل ما كان يجري في بلاد الرافدين من أحداث.

- عيلام في الألف الثالث قبل الميلاد:

تمتد بلاد عيلام القديمة إلى الشرق من جنوب بلاد الرافدين، وكانت حدودها خاضعة للتغيير المستمر حسب تغير موازين القوى السياسية القديمة في المنطقة. ويمكن القول إن التخموم الشمالية لبلاد عيلام امتدت في أوج توسعها من كرمشاه الحالية في الشمال — الغربي إلى خراسان في الشمال. وتمثل سلسلة جبال زاغروس الحدود الشمالية — الشرقية لبلاد عيلام، ويحدها جنوباً الساحل الشرقي للخليج العربي، ويحدها شرقاً

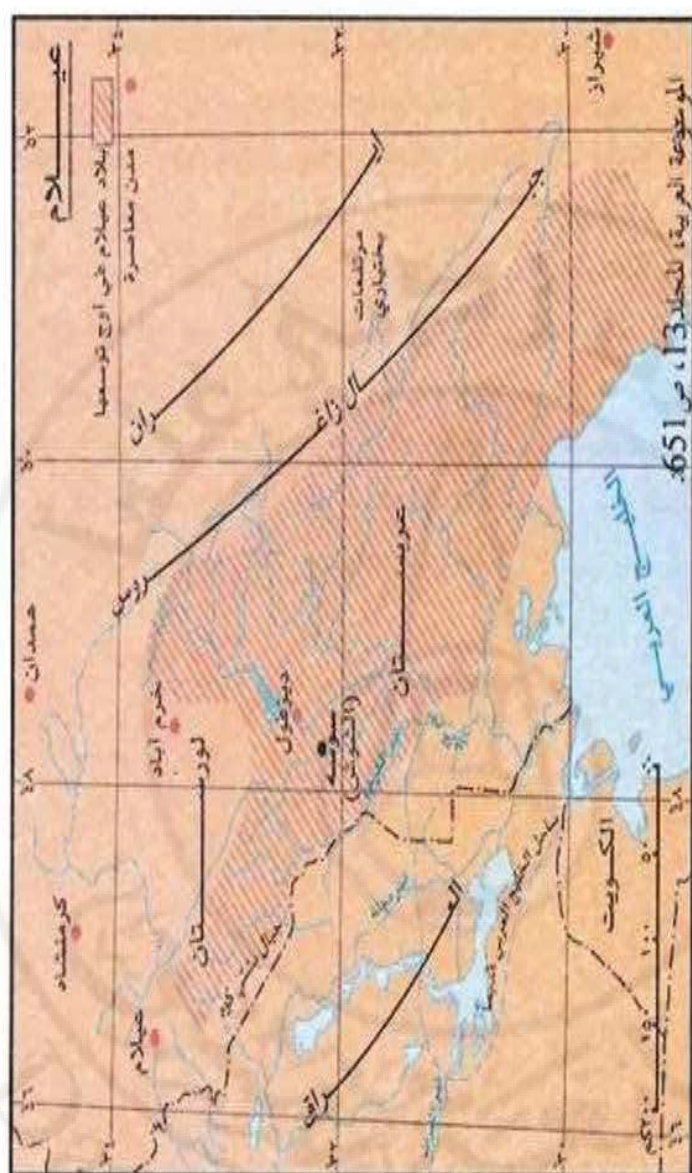
¹ - فرزات (محمد حرب)، مرعي (عبد): دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دمشق، 1990م، ص 61.

مرتفعات بختياري. وكانت حدودها الغربية أكثر عرضة للتغير، وكان الثقل السياسي للدولة في العراق القديم عاملاً رئيساً في تحديد امتداد الرقعة الجغرافية لبلاد عيلام. وتقل سهول بلاد عيلام امتداداً طبيعياً للسهل الرسوبي لبلاد الرافدين، وقد تحكم هذا الموقع الجغرافي بالمسار التاريخي للمنطقتين في مختلف العصور. وحسب المصطلحات الحديثة فإن بلاد عيلام تطابق تقريباً إقليم غربستان (خوزستان) الحالي في جنوب غربي إيران.

تشتمل منطقة عيلام على قسمين رئيسيين؛ أولهما السهل الرسوبي، ويعرف تاريخياً باسم «سهل سوسيانا» أو «سهل شوشيانا» نسبة إلى العاصمة العيلامية القديمة سوسة التي تقع فيه. وثانيهما المرتفعات الجبلية الممتدة إلى الشرق من السهل الرسوبي، وتقع فيها العاصمتان القديمتان الأخريتان لعيلام، وهما إتشان (قرب مدينة شراز الحالية) وشيماشكي (قرب مدينة حرم آباد الحالية). ويتميز السهل الرئيسي فيها بأرضه الغرينية الرسوبية، ويندرج ارتفاع هذا السهل من مستوى سطح البحر عند شواطئ الخليج العربي إلى ارتفاع 170م عند بداية هضبة لورستان في الجهة الشمالية، وفي أراضي عيلام خمسة أنهار تتبع من جبال زاغروس، تجري في سهل سوسيانا. أما موسم الأمطار فيستمر مسدة ثلاثة أشهر في السنة.

وتاريخياً يكتنف الغموض أصل العيلاميين، ومن الصعوبة إيجاد صلة لهم بالشعوب الإيرانية التي قدمت إلى المنطقة في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد، ومنهم الميديون والفرس، ذلك أنهم قد سيفوا تلك الأقوام بما يقرب الألفي عام. وفي ضوء الدليل الكتابي الذي تقدمه النصوص المسمارية القديمة، إن العيلاميين كانوا يولفون الغالبية العظمى من سكان الإقليم منذ نحو 2600 قبل الميلاد. وهناك باحثون يقولون بوجود صلة للعيلاميين بالشعوب الجبلية القديمة في المناطق الممتدة إلى الشمال — الشرقي من بلاد عيلام، ومن تلك الأقوام التولوبيون والكاشيون. ويستند هؤلاء الباحثون في بناء رأيهم هذا إلى الصلة ما بين اللغة العيلامية، ولغات تلك الشعوب.

يعود أصل اسم عيلام إلى اللغة الأكادية إذ أطلق الأكاديون اسم «إيلام» (Elamtu) على هذه البلاد، ومن المرجح أن هذا الاسم مشتق من الجذر الأكادي «ال» (elu) بمعنى علا أو صعد، وبهذا يكون معنى الاسم «الأرض العالية». وتتفق هذه الدلالة مع دلالة الاسم السومري لبلاد عيلام وهو «نم» (NIM) الذي يعني، باللغة السومرية «المرتفع». أما التسمية التي أطلقها الهيلاميون أنفسهم على بلادهم، وجاءت في النصوص المسمارية العيلامية القديمة بصيغة «خايري» المؤلفة من المقاطع (ha - pir - ti) وتلفظ أيضاً «خاروتي» أو «خايري»، وهناك باحثون يميلون إلى قراءتها «خاتيني» أو «خاتيني». ويُعتقداً هذه التسمية تعني باللغة العيلامية «أرض الإله». وقد أطلقت النصوص الفارسية المتأخرة على بلاد عيلام اسم «أوفاجا» (Uvaja) أو «هوفاجا» (Huvaja)، وهو الاسم الذي اشتق منه اسم «خوز» ثم «خوزستان» وكذلك «خوزيه»، وهي الصيغة المتداولة في المصادر العربية لهذا الإقليم، وتطابق دلالتها مع اسم «عريستان» الحالي.



وإذا كانت عيلام من الناحية الجغرافية تشمل ما يعرف حالياً بـ «إيران» و «لورستان» و «جبال
بشقي» فإنها من الناحية التاريخية قامت على اتحاد شملٍ مراكز عدة أبرزها العواصم القديمة الثلاث:
سوسة، إنشان، وشيماشكي. ويُعرف موقع العاصمة الأولى اليوم باسم الشوش، ويعود تاريخ تأسيسها
إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد كانت العاصمة الرئيسة في العصر العيلامي الوسيط (1500-
1100 ق.م)، لكن أهميتها تضاءلت بعد ذلك العصر. واستعادت بعض أهميتها في العصر الأخميني (في
منتصف الألف الأولى قبل الميلاد) حينما أصبحت إحدى ثلاث عواصم رئيسة مع «إرسبوليس» و «إكباتانا»
(همدان حالياً).

وقد أطلق العيلاميون اسم «إنزان» على العاصمة الثانية إنشان، ويعرف موقعها اليوم باسم «تسل»
مليان ويعود تاريخ هذه المدينة إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، ولم يزل موقع العاصمة الثالثة، «شيماشكي»،
غير معروف ومن بين المدن العيلامية المهمة الأخرى «أوان»، التي ورد ذكرها مراراً في النصوص
المسمارية، واقرن ذكرها بسلالة ملكية حاكمة ما بين الأعوام 2500 و 1500 قبل الميلاد. كما
حفظت النصوص المسمارية أسماء العشرات من المدن والقرى في عيلام⁽¹⁾.

- حضارة عيلام:

هي واحدة من أولى الحضارات الواقعة في أقصى غرب وجنوب غرب إيران في الأراضي.
واستمرت الحضارة بين عامي 2700 ق.م. و 539 ق.م. وكانت حاضرتها مدينة السوس القديمة
(مدينة شوشان الحديثة) كانت فيما مضى مركز بلاد عيلام- أي الأرض العالية. في هذا الصقع
الضيق، أنشأ الشعب العيلامي الذي لا نعرف أصله ولا الجنس الذي ينتمي إليه إحدى المدن الأولى
المعروفة. وقد وجد

¹ - للمزيد حول تاريخ عيلام انظر: «برنيا، تاريخ إيران القديم، ص 38 وما بعدها. رمضان تاريخ الشرق الأدنى القديم،
ص 58 وما بعدها. عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 397 وما بعدها.

علماء الآثار آثاراً بشرية يرجع عهدها إلى عشرين ألف عام، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام 4500 ق.م.

ويبدو أن أهل عيلام كانوا في ذلك الوقت قد تركوا حياة البداوة، وصيد الحيوان والسمك، وكانت لهم أسلحة وأدوات من النحاس، وبزرعون الخبثوب ويؤسسون الحيوانات، ولهم كتابة ووثائق، وحلي. ومن بين الأدوات مزهريات كاملة الصنع رشيقة مستديرة عليها رسوم أنيقة من أشكال هندسية أو صور جميلة تمثل الحيوان والنبات تعود إلى العصر الحجري الحديث.

ولا نجد في عيلام أقدم ما عرف من عجالات الخزاف وحسب بل نجد فيها أيضاً أقدم ما عرف من عجالات المركبات، ذلك أننا لا نعرف مرة أخرى على هذه المركبة التي كان لها شأن متواضع، ولكنه شأن حيوي، في نقل المدينة من مكان إلى مكان، إلا بعد هذا الوقت في بلاد بابل، ثم بعد ذلك أيضاً في مصر.

انتقل العيلاميون من هذه البدايات المعقدة إلى حياة السلطان والغزو، فامتلكوا سومر وبابل ثم دارت عليهم الدائرة فاستولت عليهم هاتان الدولتان كلتاهما بعد الأخرى. وعاشت مدينة السومر ستة آلاف من السنين، شهدت في محاسنها عظمة إمبراطوريات سومر، وبابل، ومصر، و آشور.



لثي من عيلام كشفت في مدينة سومر في إيران تعود
إلى الألف الثالث قبل الميلاد (متحف إيران)

و كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود فخار حلف (من الألف الخامسة قبل الميلاد) في منطقة عيلام، وكذلك فخار العبيد الذي اكتشف في الطبقات السفلية من موقع مدينة سوسة، وقد عرفت عيلام صناعة الأختام الأسطوانية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، واستمرت في العصور اللاحقة. ولعل أقدم المنحوتات البارزة في عيلام تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي منحوتة كورنجان على واجهة جبل، إلى الجنوب من موقع مدينة إنشان، وتطور فيها فن النحت الخشم ونحت المسلات التي أظهرت تأثراً بحضارة بلاد الرافدين القديمة.

وفي مجال العمارة انتقلت إلى بلاد عيلام عمارة الزقورة، وهي المعابد العالية المدرجة، وقد اشتهرت في بلاد عيلام زقورتان أحدهما في مدينة سوسة، والثانية زقورة جوحه زنبيل، وهو موقع مدينة دور — أونتاش، التي شيدها الملك العيلامي أونتاش — نابريشا (1275 — 1240 ق.م). وفي مجال الكتابة شهدت بلاد عيلام ابتكار كتابة صورية معاصرة تقريباً للكتابات الأولى من دوري الوركاء وجمدة نصر (في حدود 3300 — 2900 ق.م) في بلاد الرافدين القديمة، وقد أطلق عليها الكتابة «شبه العيلامية». تلا ذلك ظهور «الخط العيلامي القديم» وانتشرت اللغتين السومرية والأكادية في بلاد عيلام. وشيد ملوك عيلام معابد لأنفسهم في مدينة شوش ومن أهمها زيكورات وجازنبيل في عوزستان، وقد تم العثور على قطع أثرية كثيرة فيها مثل الأواني الملوثة والتحف اليدوية التي دفنت في القبور قرب قاعدة المدينة ويظهر تنوع القطع وتعدد مصادر صناعتها الشخصية أن عدداً كبيراً من الفنانين الصناع كانوا يعيشون فيها.

وبذلك مرت عيلام خلال تاريخها الطويل بفترات مختلفة نمت فيها الثروات نمواً عظيماً. وحسبنا شاهداً على هذا وصف المؤرخين لما عثر عليه فيها أشور بانيبال حين استولى عليها ونهبها في عام 646 ق.م من ذهب وفضة، وحقارة كريمة، وجواهر ملكية، وثياب لمينة، وأثاث فخيم، ومركبات سافها الفاتحون وراءهم إلى نينوى. وذكر

المؤرخون هذه المغانم كلها، ولم يحاولوا الانتفاص من شأنها أو الاستخفاف بها. وهكذا بدأ التاريخ دورته المخزنة فبدلتها الحرب في وقت قصير إلى الخراب. واستمرت حضارة عيلام بين عامي 2700 ق.م. و 539 ق.م.⁽¹⁾

- اللغة والكتابة العيلامية:

عرف العيلاميون الكتابة واستخدموها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد أي قبل أكثر من خمسة آلاف عام وذلك في عهد ملكهم بوزور أنشو شيناك الملك الأخير في سلالة ملوك أوان، واستناداً إلى قائمة الملوك التي عثر عليها في سوسة عاصمة عيلام والملك بوزور أنشو شيناك حكم حوالي عام 2150 قبل الميلاد. استعمل العيلاميون خطاً يسمى الخط العيلامي وهو خط قديم عرف في بلاد العيلاميين، ويوجد منه تسعة عشر لوحاً محفوظاً حالياً في متحف اللوفر في باريس، كما يوجد إناء فضي في متحف طهران نقش عليه ستة رموز بخطية عيلامية وهناك ختم من الرمر على هيئة ثور متوج بثلاثة رموز من الخط العيلامي والتي قد تشير إلى اسم شخص ما.

ومن أولى المحاولات لفك رموز الخط العيلامي كانت محاولة والتر هنر الذي حاول ترجمة بعض الألواح وأصدر لائحة بالرموز تشتمل على ستة وخمسين رمزا أو علامة كتابية. ظهرت الكتابة العيلامية القديمة بموازاة ظهور الكتابة المسمارية في وادي الرافدين. فعند الألف الثالثة قبل الميلاد استخدمت الرموز للكتابة على الطين لتشير إلى الخبواب أو المواشي والدواجن والمواد المصنعة من أجل التسجيل والحساب. حوالي عام 2900 قبل الميلاد ظهرت كتابة جديدة في عيلام تسمى الكتابة العيلامية الأولية، وهي تمثل نظام الكتابة البدائي في عيلام.

¹ - للمزيد انظر: زاهد المرجع السابق، ص 550 وما بعدها.

وبتوضيح من العاديات والآثار الباقية أنها لا تشبه الكتابة المسمارية في وادي الرافدين، بل تتألف من خطوط ودوائر وما زالت النصوص غير مقروءة إذ لم يستطع خبراء الآثار واللغات فك شفرتها واتجاه الكتابة فيها من اليمين إلى اليسار.

استخدمت الكتابة العيلامية الأولية في منطقة جغرافية واسعة تساوي رقعة إيران الحالية، رقعة جغرافية تمتد من سوسة عاصمة عيلام القريبة من بلاد الرافدين إلى وادي السند، أي من الهند إلى عيلام.

بعد منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد تحولت الكتابة العيلامية الأولية إلى الخط العيلامي، وكان اكتشاف نص مزدوج اللغة أحد السطور من الخط العيلامي والآخري من الأكادية القديمة في عاصمة عيلام سوسة عام 1905 م. قد وفر إمكانية قراءة الخط العيلامي بشكل جزئي حيث يتميز الخط العيلامي بالتعقيد والصعوبة.

إن نظام الكتابة العيلامي نظام مقطعي وصوري وأقدم نص له هو الذي ينسب للملك بوزور أنشو شيناك حوالي عام 2200 قبل الميلاد، أما أشهر نموذج للمسمارية العيلامية التي شاعت في العصور المتأخرة فهو النموذج المنقوش على جبل هيمستون.

إن اللوح المنقوش على جبل هيمستون بأمر من الملك داربوس الأول حوالي القرن الخامس قبل الميلاد 500 ق.م نقش باللغة العيلامية، وهكذا فإن اللغة العيلامية كانت موجودة جنباً إلى جنب مع البابلية منقوشة على جبل هيمستون، وقد تمكنت هيئة الرموز المسمارية التابعة لجامعة كاليفورنيا من تحليل حوالي ألف وستمائة نص وأكثر من عشرة آلاف سطر من الكتابات الأولية، فحللت ألفاً وتسعمائة رمز وصورة كتابية وهو عدد كبير جداً، كما أن بعض النصوص الكتابية العيلامية الأولية البدائية تبدو وكأنها كتابة صورية، بينما نجد نصوصاً أخرى أكثر تطوراً في بنائها وتركيبها مع بقاء منظومة الكتابة دون تطور.

إن أقدم نص عيلامي مسماري كان النص الذي يعرف بوثيقة نارام سين أو عهد نارام سين، ويعود للألف الثالثة قبل الميلاد. ومن بين ملوك عيلام الذين دونوا ما يريدون على الألواح الملك أنشاش ناپرشا الذي ترك زقورة شيدها في جوغا زنبيل، والملك هتل أوتوش أنشو شينك الذي لجأ إلى مدينة أنشان الواقعة على حدود سومرة على حافة جبال زاغروس بسبب هجوم الملك البابلي نبوخذ نصر عليه (1125 - 1104) قبل الميلاد.

وقد يكون الأكاديون استخدموا المسماة العيلامية في سومرة علما أن العيلامية المسماة كانت متميزة ومختلفة عن المسماة الأكادية ولما رموزها الخاصة في الألف الثانية قبل الميلاد. وتطورت العيلامية لتصبح الألف باء المبسطة التي استخدمت في الفارسية القديمة. ويؤرخ اكتشاف الكتابة المسماة في عيلام بحوالي عام 3200 قبل الميلاد، والكتابة العيلامية الأولية تؤرخ بحوالي عام 3050 قبل الميلاد ولا شك أن الكتابة العيلامية الأولية هي نمط قديم من اللغة العيلامية التي نستدل عليها من الكتابة العيلامية الأقدم.

ويذهب الباحث قالات إلى أن الحضارة العيلامية كانت خفافة في أنشان وعوزستان، ومن ثم انتقلت من الشرق إلى شوش غرب إيران ، ويعود تاريخ عيلام إلى 3000 سنة قبل الميلاد، وقد نشبت نزاعات ومعارك متعددة بين حكومة عيلام وحضارات ما بين النهرين سومر وبابل منذ ذلك الزمان حتى سنة 550 ق.م.

أما نفوذ العيلاميين فقد وصلت ذروته في القرن (13) ق.م، عندما تمكنوا من احتلال بلاد ما بين النهرين (العراق)، وأخذوا الحمر الذي كتب عليه قانون حمورابي (مسلة حمورابي) وأحضروها إلى شوش عاصمة الإمبراطورية العيلامية، حيث اكتشفت هذه المسلة سنة (1902م)، أثناء حملات التنقيب في شوش (سومر). والآن توجد هذه المسلة في متحف اللوفر في باريس. إن وجود هذه المسلة في عيلام يرجع إلى ما

بقارب الـ 2000 سنة قبل الميلاد عندما انتصر العيلاميون على البابليين خلال معارك شرق

بابل.

– الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد:

الكاشيون أو الكَشِيُون Kassites¹ شعب هندو أوروبي كان يقيم خلال الربع الأول من الألف الثاني ق.م في مناطق جبال زغروس الوسطى؛ في إقليم لورستان الإيراني. بدأت هجرتهم السلمية إلى بلاد بابل في أواسط القرن الثامن عشر ق.م، بحثاً عن العمل في الزراعة وتربية الحيوان، وصاروا يؤلفون تجمعات خاصة عدت خطراً على الحكم البابلي، فحاربهم الملك سمسو إيلونا (1749 – 1712 ق.م)، الذي سمى العام التاسع من حكمه عام الجيش الكاشي، وفي هذا دليل على أن الكاشيين بلغوا درجة كبيرة من القوة جعلت الملك البابلي يفخر بالنصر عليهم ويسجل ذلك في حولياته.

ولكن ذلك لم يمنع اندفاعهم نحو بلاد بابل، فقد استمر في عهود خلفائه بشكل سلمي، وصار السكان يتقبلون وجودهم بينهم لراعتهم في مجالات العمل، واندماجهم في المجتمع البابلي. وعندما احتل الحثيون بابل في 1595 ق.م، أسهم الكاشيون في ذلك؛ ولذلك سلمهم الحثيون حكم البلاد؛ عندما انسحبوا منها بعد شهور معدودة. وقد خضعت بلاد بابل لحكمهم نحو أربعة قرون ونصف (1595 – 1154 ق.م)، وكان من أبرز مفوكهم آجوم كُكْرِيه آجوم الشاسي السدي حكم مطلع القرن 16 ق.م (1602 – 1585 ق.م)، وقد تقرب من البابليين، واهتم بمعتقداتهم الدينية، ووضع حداً لتوسيع نطاق مملكة سلاله البحر في أقصى جنوب بلاد الرافدين. وفي مطلع القرن الخامس عشر حكم أولام بُورِياش نقضى على مملكة سلاله البحر، وضمها إلى حكمه. حيث تحدث إحدى حولياته وتقول أيا جاميل ملك بلاد البحر خرج إلى

¹ - للمزيد انظر: مرعي (عبد)، تاريخ بلاد الرافدين، دار الأحياء، ط 1، 1991م، ص 93 وما بعد.

عيلام . أولام بورياش أخ كاشتيلياش خرج بقواته، وبعد أن أخضع بلاد البحر فرض سيطرته على هذه المنطقة.

وفي أواسط القرن الخامس عشر وصل كارا إنداش للحكم فقام ببناء الكثير من المعابد للآلهة البابلية، وتحالف مع الفرعون المصري تحوتمس الثالث بحشية ازدباد نفوذ مملكة ميتاني الجورية في مناطق الجزيرة السورية، وصاهره، كما اهتم بالشؤون الداخلية والدينية في بلاد بابل التي صارت تسمى «بلاد كردونياش». وخلفه على العرش كدشمان بحري 1410-1386 ق.م. الذي حارب السوتيين وتابع سياسته هذه كوريكالزو الأول الذي وصل للحكم (نحو 1385-1375 ق.م) كما قام ببناء عاصمة جديدة سميت نسبة إليه باسم دور كوريكالزو (تل عفرقوف اليوم، قرب بغداد)، وتألفت من قسمين، وأحيطت بسور، وبنيت فيها زقورة ضخمة، مازال جزء منها ظاهراً. كما اهتم بالمعابد الدينية الكاشية والبابلية، وحقق الأمان والازدهار الاقتصادي، كما تابع توثيق العلاقات مع مصر، وصاهر الفرعون، ورفض التعاون مع حكام بلاد الشام ضد النفوذ المصري في بلادهم.

وبوصول كدشمان إنليل الأول (نحو 1374-1360 ق.م) للحكم تطورت العلاقات الحسنة مع مصر أكثر؛ كما تبين مراسلات تل العمارنة، حيث تشير هذه الوثائق إلى أخت كدشمان إنليل التي أصبحت زوجة للملك المصري أمنحوتب الثالث 1392-1364 ق.م. كما بدأ يتدخل في شؤون بلاد عيلام جنوب غربي إيران. وكان بورنا بورياش (الثاني) (نحو 1359-1333 ق.م) سياسياً بارعاً، حافظ على حسن العلاقات مع مصر، حيث عاصر حكم أمنحوتب الرابع والسنوات الأولى والثانية من حكم ثوت عنخ آمون 1348-1338 ق.م، وعاصر حكم الملك الحثي

شوبيلولوما، وشهد بدء الحيار مملكة ميتاني واستقلال آشور عنها. وتنبه الملك الآشوري إلى استيلائه، فحسن علاقته معه، وصاهره⁽¹⁾.

ثم دخل الحكم الكاشي مرحلة مختلفة، حيث هوي الآشوريون، وصاروا يتدخلون في شؤونه، كما نجح العيلاميون على مهاجمة المناطق الجنوبية الشرقية من بلاد بابل، ولم تحسّد جهنود الملوك الكاشيين اللاحقين لإعادة الهيبة الكاشية، ومما زاد الوضع سوءاً حدوث أزمة اقتصادية في أواسط القرن الثالث عشر ق.م أدت إلى اتساع نطاق الفقر وانتشار النهب وازدياد الهجرة.

ثم دخل الآشوريون والعيلاميون في صراع حول السيادة على بلاد بابل بدلاً من الكاشيين، وتنافسوا على تعيين بابليين مواليين لهم على حكمها. ولكن تنامي الخلاف الديني بين أنصار الإله مردوك (البابلي) والإله آشور (الآشوري) دفع السكان إلى الترحيب بالحملة العيلامية، وتعاونوا معهم على اختيار أدد شوما أصر (1215-1186 ق.م) ملكاً على بلادهم، فحقق الغدوء، واستفاد من الصراع الآشوري الداخلي، وشن الحرب على آشور، وأوصل إلى حكمها آشورياً متحالفاً معه.

ازدهرت بلاد بابل في عهد ملي شيباك (1185-1171 ق.م)، وحصلت إصلاحات إدارية وزراعية، وانتشرت ظاهرة تحديد ملكية الأراضي بواسطة الأحجار (كودور)، وبلغ التعايش الكاشي - البابلي أوجه.

حكم زبابا شوما إدينا البلاد سنة واحدة (1157 ق.م) حيث قام الملك العيلامي شنرك ناخوتنه فيها بغزو شامل للبلاد، واحتلها، ولجأ إلى عاصمته سوسه أعمالاً فنية رسمية وتذكارية مهمة، مثل نصب النصر لنرام سين الأكادي ونصب قوانين حمورابي.

¹ - كنزبند حول تاريخ عيلام انظر: رمضان تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 72 ومابعدها.

فاد إنليل نادن أعني المعارضة الكاشية — البابية ضد الاحتلال العيلامي (1156—
1154 إلى م)، ولقي دعم الشعب، وصعد. ولكن قوات الملك العيلامي الجديد كودور ناسوتيه
سارت إلى بلاده بأعداد ضخمة، و«عصفت بالسكان كالطوفان»، وخرّبت بابل وأماكن العبادة،
وأُسرت الملك، وأُخذ الحكم الكاشي.

وهكذا فقد الكاشيون دورهم السياسي في بلاد بابل، وتفرقوا. كما لم يتطور شأنهم في
موطنهم الأم، وصاروا يؤلفون جزءاً من التركيب السكاني في ممذكة مائياً، جنوبي بحيرة أورميا، وظل
ذكرهم يتردد في المدونات الآشورية حتى القرن السابع قبل الميلاد⁽¹⁾.

¹ - رمضان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 241.

- حضارة الكاشيين:

جمع الكاشيون بين مظاهرهم الحضارية الخاصة والمظاهر البابلية. فقد كان نظام الحكم لديهم ملكياً وراثياً، وحظي وجهاء القبائل وقادة الجيش والموظفون الكبار بأهمية خاصة؛ فقد حرصوا على المساواة بين الكاشيين والبابليين، واهتموا بالتقاليد القبلية، وتميزوا بدقة التنظيم الإداري، وأضحت الملكية الزراعية معياراً للتصنيف الطبقي في عهدهم.

كان القصر الملكي يسيطر على حق الانتفاع بالأراضي الزراعية وتربية المواشي، وجباية الضرائب. وترتبط به ممارسة الحرف اليدوية اللازمة للحيش. أما التجارة فكانت تعتمد على المقايضة العينية.

تميز الكاشيون بإبداع استخدام أنصاب حجرية (كودورو) في تحديد الأملاك الزراعية، حيث كانت تنصب في أماكن محددة، وتدون عليها البيانات اللازمة، وتحت مشاهد فنية تتضمن رموز الآلهة المعبودة الشاهدة على ما ورد في المدونات.

كان للكاشيين آلهة خاصة عبدوها إلى جانب الآلهة البابلية الكبرى؛ ولاسيما «مردوك». ومن أبرزها: «خربة» رئيس الجمع الديني، «شوقامونا» إله الجبل والحرب وحامي الأسرة الحاكمة، وقرينته «شوماليا» «سيدة الجبال الطاهرة»، «ساخ» إله الشمس، «شيباك» إله القمر، «بورياش» إله العلفس.

حرص ملوكهم على إبعاد كهان المعابد عن شؤون الدولة، وأرضوهم بالهبات. كما اهتموا بترميم المعابد أو بنائها، كما دلت على ذلك مكتشفات معابد أودوك وإيسن.

لم يعثر على نصوص كاملة باللغة الكاشية بعد. ولكن ثمة تصور عنها مستخلص من دراسة أسماء الأعلام والمصطلحات والتسميات الكاشية المذكورة في

التخصص البابلية، ومن فواميس موحزة كاشية- أكادية. ويتضح منها أن لغة هندو آرية. كتب الكاشيون باللغتين السومرية والأكادية (البابلية)، واستخدموا الخط الساماري المقطعي، وأظهروا اهتماماً بالغاً في تعلّمه وممارسته؛ ولذلك نشطت حركة التأليف وإعادة نسخ أقدم الأعمال الأدبية وتصنيفها، وتميّز كتابهم بروح الإبداع والتجديد وبالأسلوب التعبيري الفني. ولما أعمال أدبية مطولة ومهمة صيغت في عهدهم؛ مثل: أسطورة الخلق البابلية (إنوما إيليش)، قصيدة لأيجدن سيّد الحكمة (كدليل بل نعيقي)، حوارية المعبّد وصديقه حول العدل الإلهي، انتهالات دينية وتعويدات. اهتم الكاشيون بالعلوم الرياضية والفلكية، ووصفوا النجوم وأبعادها ومجموعاتها، وعرضوا معلومات عن مواعيد ظهور القمر، وعلاقة الليل بالنهار. ولما وثائق تبين اهتمامهم بالطب وأساليب العلاج، وتشير إلى وجود مراكز لذلك. كما تم في عهدهم رسم مخطوط (جغرافي) لمدينة نيبور¹.

- أصل الإيرانيين وموطنهم

يعتقد كثير من الباحثين بأن الإيرانيين ينتمون إلى مجموعة القبائل الهندو-أوروبية أو "الآرية"، التي كانت تعيش في السهوب الراسعة جنوب روسيا، وكانت على شكل مجموعات قبلية متنقلة أشبه ما تكون بالبدو.

بدأت هذه المجموعات القبلية، مهاجرة من موطنها قبيل نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. بسبب تزايد أعدادهم وقسوة وتبدل المناخ وقلة الأرزاق، وضيق الأرض بهم، مما اضطرهم إلى ترك موطنهم القديم متشردين في الأراضي الأكثر خصباً وملائمة لهم، وقد

¹ - للمزيد انظر: رمضان تاريخ الشرق الأدنى القديم، 238 وما بعدها.

كان تحركها على شكل موجات متعاقبة، ففرع كبير منها اتجه غرباً حول البحر الأسود، إلى آسيا الصغرى والبلقان واليونان وإيطاليا وغرب أوربة، وفرع آخر من هذه القبائل اتجهت إلى الشرق، ويمكن أن نسمي هذا القسم بالفرع الهندي - الإيراني.

فقد توجهت بعض القبائل حول بحر قزوين، وعبرت جماعات منهم القوقاز إلى مناطق الجزيرة العليا في شمال العراق وسورية، واختلط القادمون الجدد مع الحوريين الذين تمكنوا من احتوائهم، وقد تكون من هذا التحالف مملكة واسعة هي مملكة ميتاني، التي امتدت من وديان جبال زاغروس شرقاً إلى منطقة الجزيرة العليا، وبعض أراضي مملكة آشور في بلاد الرافدين، ومن هذا الفرع الشرقي على ما يرجع الكاشيون الذين أسسوا سلالة حاكمة في العراق، كما تحركت موجات كبيرة شرقاً فعبرت ماوراء نهر سيحون، واجتازت مجازات جبال هندكوش، فزلت في حوض السند ومنه توغلت في الأراضي التي تقع شمالي مضيق الدكن وجنوبي جبال الهملايا، فانتشرت من خليج البنغال شرقاً حتى بحر العرب غرباً، فأطلق عليهم اسم آريا ورتا "Aria - Vrta" أي بلاد الآريين⁽¹⁾.

كما استقر القسم الثاني من هذه القبائل في آسيا الوسطى على ضفاف نهر "وخشو"، Vaxshu المقدس المعروف اليوم باسم نهر جيحون، وسمو موطنهم الجديد "أيرنيه ونجه" Airyana - Vacjah أي موطن الآريين، ويتضح لنا أن كلاً من القسمين بعد الهجرة احتفظ لنفسه باسم "أري" أي الشريف وسمى البلاد التي نزحوا إليها بهذا الاسم القومي.

وأخذت موجات من القبائل الآرية تتوغل إلى داخل الأراضي الإيرانية مع بداية الألف الأول قبل الميلاد، ثم انتشروا في النجاد والهضاب الداخلية الواسعة التي كانت

¹ - بدوي، القصة في الأدب الفارسي، ص 17.

تسكنها أمم من أجناس مختلفة، وبسطوا سلطانهم وسموها باسمهم " آريانا" وتحول هذا الاسم في اليهودية إلى " أران" وفي الفارسية الإسلامية إلى إيران⁽¹⁾.

ويرد أول ذكر للقبائل الآرية في المدونات " الكتابات" الآشورية التي تعود للملك الآشوري شلمنصر الثالث "858-824 ق.م" منتصف القرن التاسع ق.م، ومن بعده خلفاؤه الذين يذكرون أنهم أحضروا عدد من القبائل منها Mada أي الماديون، و Parsa أي الفرس، وذلك خلال حملاتهم على جبال زاغروس، وكانت هذه القبائل تنتقل بين بحيرة أورمية ونجد همدان.

وتصف لنا سجلات بحلات بلازر الثالث " 744 - 727 ق.م" وخلفاؤه الماديون بالهم أشداء، كانوا قد انتشروا في حدود هذا الزمن بعيداً إلى الجبال التي ورد ذكرها في المصادر الآشورية باسم جبال "يكني" أي جبال حجر اللازورد، وهي جبال " دماوند"⁽²⁾. وفي الوقت نفسه يذكر أن Amadana أي "همدان"، عاصمة الماديين كانت جزءاً من الأراضي التابعة لآشور⁽³⁾. وهكذا يتأكد من هذه الإشارات التاريخية المهمة الواردة في أخبار الملوك الآشوريين من القرن التاسع ق.م، أن بحري، القبائل الآرية إلى إيران كان في حدود الألف الأول ق.م.

لم نستطع القبائل الآرية التي دخلت الحضبة الإيرانية أن تنفصل نحو الغرب، بسبب الحواجز الطبيعية التي تمثلها جبال زاغروس المنيع، إضافة إلى أن المنطقة كانت محصنة بعدد من الدول القوية التي كان قد مضى على وجودها في المنطقة أكثر من ألف عام، ففي أقصى الجنوب من جبال زاغروس كانت تمتد أراضي مملكة عيلام، ووراء

1 - بدوي، الفصحة في الأدب الفارسي، ص18.

2 - باقر (طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، 1956م، ج2، ص389-390.

3 - براون (إدوار): تاريخ الأدب في إيران، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ط2، 2001م، ج1، ص58.

زاغروس إلى الغرب كانت مملكة بابل قد عادت مرة أخرى للظهور، وأما مملكة آشور الواقعة شمال أراضي بابل، فكانت قاعدتها في حوض نهر دجلة وامتد نفوذها إلى حوض الخابور في الجزيرة، وسيطرت على منطقة واسعة من آسيا الغربية، وفي الشمال الشرقي حول بحيرة "وان" ظهرت مملكة أورارتو التي أصبحت فيما بعد مملكة أرمينيا فأمام هذا الحاجز من الجبال ومن الشعوب والأقوام والدول، كان على القبائل الآرية أن تتوقف قرابة أربعة قرون، لا يستطيعون اختراق ذلك الحاجز، لذلك سعت هذه القبائل للانتماج بالشعوب القديمة المقيمة، وانتظار الفرصة.

وبمكثنا أن نتخيل بأن الإيرانيين وصلوا إلى الهضبة مع زوجاتهم وأولادهم وحيواناتهم، وقد انتهزوا انفسامها إلى عدد من الإمارات، فدخلوا في خدمة أمراءها كمحاربين مرتزقة، ثم تمكنوا في النهاية من الوصول إلى السلطة، وأحبروا السكان الأصليين على الخضوع لهم "وأخضعوا السكان الأصليين لهم"، فنتج عن هذا التلاقي والتفاعل حضارة جديدة. إذ بعد أن كانت الهضبة تسودها دويلات مدن أو إمارات، سرعان ما تحولت إلى اتحادات قوية، مالشت أن كونت ممالك وإمبراطوريات من أقوى الإمبراطوريات التي ظهرت في التاريخ.

- الكيميريون والسكثيون:

بمجموعات من القبائل اغدروا من السفوح الجنوبية للسلسلة القوقازية، كأقاصم السيل الجارف، ولم تكن هذه القبائل تبحث عن مراعي لقطعانها، بل سعوا إلى القتل والنهب والتدمير، نزلوا كما يصنفهم أحد المؤرخين: "كسيل من نيران البراكين، يحطمون كل ما في طريقهم". وقد سجلت الحوليات الآشورية بعض أحداثهم الخطيرة، وخاصة

تلك التي حوت على حدود الإمبراطورية الآشورية، بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخ الإغريقي هيرودوت عن تلك الفترة⁽¹⁾.

بدأ الكيميريون تحركهم منذ أيام شاروكين الثاني (722-705 ق م)، عندما هاجموا مملكة أورارتو أولاً، وعاثوا في البلاد فساداً، ونشروا الخراب والدمار، ويعتقد أن ملك أورارتو روسا الأول مات متحرراً في تلك الظروف الفاسية التي مرت بها بلاده، ثم انقسم الكيميريون إلى قسمين: الأول اتجه نحو سواحل بحيرة أورمية شمال غرب إيران، وبعد فترة سوف نجد هؤلاء يحاربون في صفوف الميديين.

أما القسم الأكبر من الفرسان الكيميريون، فقد تابعت غزوها المدمر غرباً باتجاه آسيا الصغرى، حيث استقرت بعد أن تحالفت مع بعض الأقوام المحلية على الشواطئ الجنوبية للبحر الأسود على مقربة من مصب نهر الهاليس، وعند ميناء سينوب، وجعلوا من هذه المنطقة قاعدة لهجمة الأراضي الغنية في آسيا الصغرى.

وهؤلاء الكيميريون هم الذين فضوا على مملكة فرجيا التي اضطرت ملكها ميداس إلى الانتحار، أما مملكة ليديا فقد قاومت لفترة أطول بمساعدة المدن الأيونية (الإغريقية)، المظلة على بحر إيجه، ولم تستسلم حتى قتل ملكها «جيجس»، وجاءت المرحلة الأخيرة من صراع الكيميريون عندما تصدت لهم آشور بقيادة ملكها آشور بانبيال الذي استطاع بعد معارك عنيفة أن يقضي عليهم بعد أن استنجد بهم إلى ممرات كيليكية الوعرة، وهكذا انتقلت سورية وآسيا الصغرى منهم، أما من تبقى من قلوبهم فقد التحقوا مع أبناء عمهم السكيثيين.

¹ - حول الكيميريون والاسكيث وما قيل فيهم من آراء في وصف عاداتهم وأرضهم وحروبهم مع داريوس، انظر: هيرودوت، التاريخ، الكتاب الرابع، ص 293 وما بعد، ص 310-340.

- السكيثيون:

أما السكيثيون فهم جزء من جماعات قبلية كانت تنتشر في جنوب روسيا وشمال البحر الأسود، وقد امتد نفوذهم إلى شمال غرب إيران حول بحيرة أورمية، بعد أن أبعادوا عنهم هجوم الكمبريون.

وقد ورد ذكر السكيثيون إلى جانب المانيين والميديين في نصوص العرافة الآشورية التي يرد فيها استطلاع الكهان الآشوريين لنتائج الحملات الموجهة إلى داخل إيران لجلب الخيول اللازمة للجيش. وتشير المصادر الآشورية إلى مكان وجود مملكة السكيثيين، التي كانت تشغل منطقة شمال غرب إيران حول بحيرة أورمية، المنطقة التي كانت تدعى "أثروباتين" أي أذربيجان الفارسية.

والمرجح أن هيرودوت استقى من هذه المصادر الآشورية بعض معلوماته عن هذه المملكة السكيثية، أيام ملكها بارتاتوا. إلا أن هذه المعلومات المتوافرة عن السكيثيين تعززها الآن المكتشفات الأثرية التي تمت في بعض مواقع إيران الشمالية، وبخاصة حول بحيرة أورمية⁽¹⁾، كما عثر في منطقة لورستان في إيران على كثير من الأدوات البرونزية المهمة، وهي صناعة إيرانية من أيام السكيثيين، وبعضها متأثر بالفن الآشوري، ولكنها تمتاز بالدقة والانتقان، ويمثلهم الحيوانات وتنجلى مهارتهم في القطع

¹ - لقد عثر في مدينة ماكيز في جنوبي بحيرة أورمية على كثير في إحدى الخراب، أو في قبر أحد الملوك على مجموعة نفيسة من المجوهرات، تعود لعهد بارتاتوا أو ابنه، ويعتقد غرشمان أن بعض هذه الخلي جاءت من حليقة ملك آشور، وأن بعضها الآخر كان من صنع الصياغ الآشوريين الذين ذهبوا وأنقما في بلادهم في إيران. Girshman, Iran.

المصنوعة من البرونز، والتي كانت في الأصل أجزاء من أطقم الخيل، أو كانت مثبتة في بعض أدوات القتال⁽¹⁾.

وقد اعترف ملك مانا بتبعيته لها وكانت لها علاقات طيبة في بعض الأحيان مع الميديين، وكانت تشكل مع أودارتو قديماً لمملكة آشور كان لابد أن يحسب لها حساب، ويحتمل أن بارتاتوا قد طلب يد أميرة آشورية للزواج، ويرجح أمام هذه الظروف الدولية الحرجة أن طلبه قد قبل، لأن كلا من الطرفين كان يرحب لأسباب مختلفة بتوثيق العلاقات مع الطرف الآخر. وفي نفس الوقت الذي كانت فيه مملكة السكيثيين في عنفوان قوتها في إيران، خضع لها الكمبريون، والمانيون، والميديون.

- الميديون:

تشير المصادر الآشورية إلى أن القبائل الإيرانية "الميدية" قد استقرت واتخذت مواقعها في الهضبة الإيرانية في القسم الشمالي والشمالي الغربي ما بين جبال دملافاند، وهمدان، وانتشرت جنوباً حتى أطراف صحراء إيران الوسطى، وسميت المنطقة التي استقرت بها باسم ماد أو ميديا ويذكر هيرودوت، أن أول من وحد القبائل الميدية هو "ديوكيس" أي دياكو ويحدد سنوات حكمه بثلاث وخمسين سنة ما بين 701-655 ق.م، وقد خضع للآشوريين، وكان يؤدي ما عليه من حزمة بصورة منتظمة، ثم تولى "كشاثرتيا" 655-633 ق.م حكم ميديا فوسع حدود الدولة في جهة الشرق، ثم حاول التحالف مع القبائل الآرية الكمبريون، والمانيين، والسكيث الذين كان بعضهم قد استقر في شمال غرب إيران، للوقوف ضد سيطرة الآشوريين، لكن هذا التحالف تفكك وهزموا أمام الآشوريين، وانقلب عليهم السكيث وفرضوا سيادتهم على ميديا لمدة تزيد عن ربع قرن من "653 - 625 ق.م".

¹ - فجري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 213.

- تأسيس المملكة

يذكر هيرودوت أن "كيخسار" كيخسرو " 633-584 ق.م" الذي تولى زعامة قومه بعد الهزيمة التي مني بها والده، اعترف بالنبعية للسكيث بشكل مؤقت ثم عمل على إعادة تنظيم جيشه، وأدخل على تشكيلاته كتائب الفرسان الصغيرة المتحركة، إلى جانب رماة السهام والمشاة، واستفاد من التحارب القاسية التي مر بها الميديون في حروبهم مع الآشوريين من جهة، ومع السكيث من جهة أخرى، حيث نجح بقيادة حرب حاسمة ضد السكيث فهزموهم وأبعدهم عن أرض المانيون، ورسخ أقدامه حول بحيرة أورمية.

وقد اعترف المانيون بزعامة كيخسار، وأضحت أكبتانا " همدان " عاصمة الميديين تدين لها بالولاء كل الشعوب الإيرانية الغربية من بحيرة أورمية شمالاً إلى جبال بختياري جنوباً، حيث كانت القبائل الفارسية مستقرة هناك، وبعد ذلك أعاد كيخسار يتهباً لمهاجمة آشور.

ففي سنة 615 ق.م توجه كيخسار بقواته نحو العاصمة الآشورية نينوى لافتحامها ففشل وصدت المدينة المدحوم، فاضطر للانتسحاب إلى الشمال وتوجه نحو عاصمة آشور القديمة فاستولى عليها. أما البابليون فقد وصلوا متأخرين للمشاركة في القتال ضد الآشوريين فالتقى الملك نيو بولاصر بالملك الميدي كيخسار تحت أسوار مدينة آشور، وأقاما عهد الصداقة والسلام بينهما.

عندئذ أسرع العاهل البابلي نيو بولاصر⁽¹⁾ إلى مقابلته وتعزيز التحالف الميدي - البابلي بتزويج ولي العهد البابلي نبوخذ نصر من الأميرة الميديّة " أميتس " ابنة الملك

¹ - نيو بولاصر: كان حاكماً على القسم الجنوبي من بلاد الرافدين من قبل الملك آشور بانيبال 668-626 ق.م، لكنه تمكن من التخلص من التبعية للآشوريين واستقل في بابل سنة 626 ق.م، ~

الميدي. وفي سنة 612 ق.م غرك التحالف الميدي - البابلي نحو العاصمة الآشورية نينوى التي سقطت في أيدي المهاجمين بعد شهرين من الحصار المتواصل، وفر آخر ملوك آشور إلى حرّان لكنه لم يستطع أن يحتفظ بما تبقى من مملكته أكثر من سنتين رغم المساعدات المصرية، حيث وجهت لها ضربة قاصمة أطاحت بأشور إلى الأبد، فاحتفت بقوة كبيرة عن مسرح الأحداث في الشرق القديم، وورثت الدولتان المنتصرتان ممتلكاتها.

أما نيو بولاصر فقد اكتفى بوصف ذكرى انتصاره اللامع وبكلمات مختصرة " ذبحت بلد السوياروم "آشور" وأحلت أرض العدى إلى أكوام ورميم..... وأرغمت الآشوريين، الذين حكموا منذ زمن بعيد كافة الشعوب والذين جلبوا باستيادهم الثقل الأذى لشعب الوطن، على ترك (بلاد) أكاد، ونحلت نيرهم." (1)

وفي نفس الوقت تقريباً سقطت مملكة أورارتو بيد الميديين، وبعد ذلك اندفع الميديون برعامة كيكسار نحو الغرب وسط الأناضول فاصطدموا بمملكة ليديا حيث دارت الحروب بينهما لمدة خمس سنوات متتالية، وفي السنة السادسة حدث كسوف للشمس عام 585 ق.م - حسب رواية هيرودوت (2) - فخاف الفائدان المتحاربان، واعتقدا أنه نذير شؤم من السماء لهما، فأوقفوا الحرب، وقام نيوخس نصر بالتحكيم بينهما، ووقعوا معاهدة للصلح، تعززت بزواج الأمير الميدي أستياجس ابن كيكسار من

وأسس السلالة البابلية الحديثة. للمزيد انظر: رو (جورج): العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط2، 1986م، ص502 وما بعد.

¹ - انظر: رو، المرجع السابق، ص505.

² - هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، الإمارات، 2001م، الكتاب الأول، ص64.

ابنة ملك ليديا، وأضحى لمر المايس " فزبل أرماق حالياً" وسط الأناضول يمثل خط الحدود بين الدولتين، وحافظت على كينسار على تثبيت الحدود بين الدولتين.

تحلف كينسار ابنه أستياحس (584- 550 ق.م)، وهو آخر الملوك الميديين، نولي العرش لمدة 34 سنة فضاها دون قتال، مما جعل قوائمه تميل إلى الراحة، وقد ضاق به الميديون ذرعاً لقسمته ووحشيته، مع ميله إلى البذخ وانغماسه في اللهو والعبث وإهمال أمور الدولة.

وفي بابل عمل الملك نبوخذ نصر على تعزيز دفاعات بابل على حدودها الشمالية، وبنيت تحصينات قوية ومنيعه، على الرغم من العلاقات الوثيقة بين الحلفاء المنتصرين، لأن الشائعات عن الأخطار المهددة لبابل كانت رنانة⁽¹⁾.

وفي عهد نابونيد آخر ملوك بابل تجدد الصراع في المنطقة، فتحالف نابونيد مع أمير "إقليم فارس" فوروش الثاني الذي تمكن من الانتصار على جيش الميديين في المعركة التي جرت بينهما بالقرب من بازر كاده سنة 550 ق.م، وزوج جده الملك الميدي أستياحس أسيراً بيده، ثم استولى على العاصمة أقيانا "همدان"، فقوض المملكة الميديّة. وهكذا انتقلت السيادة إلى فرع آخر من الإيرانيين وهم الفرس.

- حضارة الميديين

ليس لدينا الكثير من المعلومات عن حضارة الميديين، ولعل من أسباب ذلك، أن عمر دولة الميديين كان قصيراً، فلم تستطع أن تسهم بقسط كبير في الحضارة الإنسانية، كما أنه لم يترك لنا الميديون شيئاً من الآثار (كالأبنية، المعابد، القصور، النقوش) أو ربما أن النقوش التي دوت إبان عصر الميديين لم يكشف النقاب عنها بعد.

¹ - المصدر السابق نفسه.

لا نعلم شيئاً عن نظم تلك الدولة، سوى أنها كانت تتألف من عدد من الإمارات، والزعامات الصغيرة، وترتبط فيما بينها بروابط إقطاعية.

فالإمارة كانت تتألف من الفلاحين، والرعاة، وعلى رأسهم الأمير الذي يعيش في الحصن مع حاشيته، ويجمع موارده من عائدات أراضي، ومن ضرائب الصيد والرعي، وأحياناً يرغم على العمل لخدمته وأسرته، في يمتلكاته الخاصة، عمالاً تفرض عليهم السخرة، وقد يدعون أيضاً للعمل في الأشغال العامة لبناء الطرق، والأقنية، والجسور، والتحصينات الدفاعية.

وهكذا بدأت تتشكل حول القصر هيئة اجتماعية، مؤلفة من الأمير وحاشيته وأتباعه ورجال جيشه، وأقيمت علاقات خاصة مع أمراء آخرين، كان يعزها تبادل الزيارات والهدايا، وعمل الأمير على تعزيز هيئته على المجتمع بالاستعانة بالكهنة.

أما الجيش "وأغلبه من الفرسان، فقد تحددت وظيفته في الدفاع عن الأمير وحكمه، وفي حماية النظام والأمن في الداخل، وفي شن الغارات والمحجمات لإضعاف الأمراء الآخرين، والاستيلاء على ثرواتهم وتحصيل الغرامات والغنائم منهم.

فالحياة الاجتماعية هي حياة الزراعة، والرعاة، والفرسان، ولهمز الفرسان بحملهم لأسلحة مزينة بالنفوش، وكانوا يمتطون الخيول على سروج مزركشة. وكان الأغنياء يرتدون ملابس مشغولة وملونة، ويلبسون أحذية بمقدّمات معقوفة، وقد انتقل الكثير من هذه المظاهر إلى الفرسان.

وقد تمتع الأمراء المليون بثروات كبيرة، كان من أهم مصادرها جمع المواد الأولية من مناجم النحاس والحديد وحجر اللازورد، وتحدثت المصادر الآشورية بأسهاب عن استيراد هذه المواد من وراء زاغروس، وقد دفعت ضرورات التبادل الأمراء الإبرانيين إلى تنظيم التجارة برعايتهم على شاكلة تنظيمها في بابل وآشور. وكانت المواد المرغوب فيها والمندرة للثروة هي المواد الثمينة من ذهب وفضة وأحجار كريمة نادرة، والأقمشة النفيسة،

وهكذا أخذت الحرف والنجارة ترفد الزراعة في تعزيز هذه المجتمعات الآرية التي اشتهرت بتربية الخيول⁽¹⁾.

أما ديانة الميديين فلم تتوفر لنا معلومات عنها، سوى ما ذكره هيرودوت بأن طبقة المغان كانت طائفة من طوائف الميديين الستة، ويعتقد أن عبادة هرمزد كانت شائعة بين الميديين، لكن المغان حرقوها بخرافاتهم وسحرتهم، وهناك من يرى أن زرادشت الذي كان من الميديين أراد إصلاحهم، وإصلاح عقيدتهم، لكن المغان لم يقبلوا ذلك منه، فحرق موطنه وأبنته نحو الشرق لنشر مذهبه.

ويتساءل أحد الباحثين عن الأسباب التي أدت إلى انقيار المملكة الميديّة بهذه السرعة، فيقول: "إن الميديين كانوا دولة قوية وصلوا إلى قدر كبير من الثراء، وأن عظماء الدولة قد رفلوا في حلل من الأبهة والتنعيم، فهان أمرهم ووهنت عزائمهم، كما كانوا يسرفون في الإنفاق على مظاهر البلاط، مما أوجب ضرائب جديدة، فعم الظلم وثار السخط بين الناس مما جعل الميديين لا يستطيعون مواجهة الفرس المتوثرين الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة، ويتحلون بأخلاق طيبة⁽²⁾."

— الإمبراطورية الفارسية:

ذكرت القبائل الفارسية في الحوكنيات الآشورية منذ القرن التاسع ق. م، وكانت هذه القبائل إلى جانب الميديين في شمال غرب المضيبة، ويعتقد أنها انتشرت من الشمال إلى المناطق التي تتاحم الخليج العربي، على طول سفوح جبال بختياري قرب نهر كارون في الجزء الجنوبي الغربي من إيران.

إن المعلومات عن البدايات الأولى لتشكيل مملكة الفرس قليلة، سوى ذكر لرئيسهم المسمى أخمينس "هاخمانيش" الذي يعتقد أن حكمه كان في بداية القرن

1 - فرزات، المرجع السابق، ص 60.

2 - انظر: بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص 70.

السابع ق.م، ونولى من بعده ابنه " تاييسس"، الذي قسم المملكة بين ولديه إلى إمارتين أو قسمين؛ إمارة " بارسومانس" أي فارس وهي المنطقة المحصورة بين أصفهان وشيراز، وبحكمها الابن الأكبر لتاييسس بن أخمينس.

بينما حكم في الغرب على امتداد حدود عيلام أي إمارة إنشان وبحكمها قوروش وكانت تلك الإماراتان تابعتين لنفوذ الميديين بحلول أو جويلين.

وعندما تزوج الأمير قمييز الأول بن قوروش الأول (600-559 ق.م) من ابنة الملك الميدي أستاجس، أخذ يعلو شأن إمارة إنشان وأميرها، وبخاصة بعد أن أثر هذا الزواج عن ميلاد قوروش الثاني، الذي سوف يصبح ذا نفوذ كبير وبحكم المنطقة الواسعة حول بازر كاده، وكان يدفع الجزية لجده أستاجس الملك الميدي.

- قوروش وتأسيس الإمبراطورية (559 - 529 ق.م)

كان الأمير الفارسي قوروش الثاني جريئاً وذكياً وطموحاً، فبدأ بإخضاع القبائل الإيرانية المجاورة له، وقام بتوسيع حدود مملكته بغير، فتحالف مع نابونيد ملك بابل الذي كان يسعى لتحرير مدينة حران من سيطرة الميديين، الذين كانوا قد استولوا عليها، وقطعوا عليه الطريق التجاري إلى سورية والمتوسط.

وظهر قوروش الثاني وكأنه يسعى لتحرير من السيطرة الميديّة، فأزعجت هذه التحركات الملك الميدي الذي لم يكن راض عن تصرفات قوروش الثاني، فحدث الخلاف الذي تطور إلى صراع بينهما، استمر الصراع لمدة ثلاث سنوات، وانتهى بانتصار قوروش وهزيمة الملك الميدي أستاجس واستولى الفرس على العاصمة همدان وعلى ثروات الميديين سنة 550 ق.م، ويعود سبب الهزيمة إلى انهيار النبلاء والقادة الميديين إلى جانب قوروش.

اهتم قوروش بتنظيم وتدريب جنوده، وبخاصة المشاة الرماة الذين كانوا يبدأون المعركة ويصيبون بسهامهم من أعداثهم المقاتل، فإذا ما بدأت صفوف العدو تتخاذل

أو يدب فيها الآرتياك هجم الفرسان من الجناحين فيجهزون على عدوهم. ولا شك أن الفرس تعلموا تلك الطرق من الآشوريين الذين كانوا من أعظم الجنود المخاربين في الشرق⁽¹⁾.

وبعد انتصاره على الميديين، بدأ قوروش سلسلة من الحملات العسكرية لتوسيع مملكته بحيث أصبح اسم إفايم فارس يغطي على كل بلاد إيران الحالية، فسميت ببلاد فارس، ليس هذا فحسب بل توجه نحو آسيا الصغرى وكان هدفه مملكة ليديا الغنية. وبدلاً من عبور جبال أرمينية قاد قوروش جيشه بامتداد الطريق الهادي لجبال طوروس خلال سهل الجزيرة، وبعد أن عم لمردجة جنوب نينوى، زحف غرباً، ماراً بشمال سورية عبر حران، وقام باحتلال كيليكية التي كانت تابعة هي وحران وقتذاك لبابل، كاسراً بذلك وثاق الخلف المعقود مع نابونيد. مما دفع البابليين إلى الانحياز إلى جانب مملكة ليديا المتحالفة مع المصريين حلفائها التقليديين.

لم يكن يوسع أي من الحليفين — المصري أو البابلي — إرسال قوات لتجدة الملك الليدي كرىزوس⁽²⁾، الذي واجه الفرس وحيداً في خريف عام 547 ق.م، قرب نهر الخاليس، ولم تؤد المعركة إلى نتائج حاسمة لكلا الطرفين، ولذلك عاد كرىزوس إلى عاصمته سارديس Sardes، فتبعه قوروش إلى العاصمة وحاصرها، ثم استولى عليها أواخر عام 547 وبداية عام 546 ق.م.

وهكذا اكتسح قوروش مملكة ليديا، واستولى على ثروات لا تحصى من الملك كرىزوس، كانت مكاسبه في العاصمة سارديس، وبعد ذلك تابع قوروش إخضاع المدن الأيونية الواحدة تلو الأخرى، وهكذا استسلمت كل آسيا الصغرى للحكم الفارسي.

¹ - انظر: فخري (أحمد): دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1990م، ص415.

² - كرىزوس هو الملك قارون الذي يضرب به المثل بالغنى واللاء في أمثالنا الشعبية.

وبعد توسع قوروش هذا أصبحت المملكة الكلدانية البابلية محاصرة من الشرق والشمال وفي الغرب بعد سيطرته على الجزيرة الفراتية.

وفي سنة 539/ 538 ق.م، دخل قوروش بابل، بمساعدة الكهنة والتجار والمرايين الذين فتحوا أبواب المدينة أمام الجيش الفارسي، لأنهم كانوا يأملون في توسيع أعمالهم التجارية والمالية في إمبراطورية أوسع من إمبراطوريتهم، فعزل نبوخذ نصر ملك الأسرة الكلدانية البابلية، وأعلن قوروش نفسه ملكاً على بابل، ونشر هذه المناسبة بياناً وصلنا نصه محفوظ حتى اليوم، وفيه يعد بالحفاظ على النظام القائم في بابل، واحترام أدينتها، ودعم تطوير المدينة⁽¹⁾. وهكذا أنهى قوروش آخر الممالك العربية السامية في الشرق القديم.

ومما هو جدير بالذكر أن قوروش أظهر مزيداً من العطف تجاه اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي منذ زمن نبوخذ نصر، وليس من شك في أن هؤلاء اليهود، قد ساعدوا الفرس على احتلال بابل، ورداً للجميل سمح قوروش لهم بالعودة إلى فلسطين وأغدق عليهم العطايا، لذلك عند اليهود قوروش المسيح المخلص لم الذي أنقذهم من الذل والمهانة التي كانوا فيها⁽²⁾.

مكث قوروش شتاء عام 539 ق.م في مدينة بابل ثم غادرها إلى أكتينا "همدان" في ربيع 538 ق.م، تاركاً ابنه قمبيز ممثلاً له في حكم بابل.

اتصف قوروش بالعقل والحزم وبسياسة حكيمة ومقدرة فذة في الإدارة والتنظيم، فكان في الواقع من أعظم الملوك في التاريخ، وقد اشتهر بكرمه وتسامحه حتى مع أعدائه

¹ .. دياكوف (ف)، كوفاليف (س): الحضارات القديمة، ترجمة نسيم اليازجي، سورية، 2000م، ج1، ص200.

غزاليه (مذهب): الدولة البابلية الحديثة، 626- 539 ق.م، دار الاهالي، سورية، 2001م، ص162 وما بعد.

² - انظر الكتاب المقدس، سفر أشعيا، الاصحاح 45، 1-3.

الذين حاربوه، ونستشهد بالكثير من الحوادث الطريفة التي يذكرها المؤرخ الإغريقي هرودوت عن معاملته لكريتوس وللبلدان المفتوحة مثل بابل، وساردس فكان يتحاشى تخريب المدن وقتل السكان⁽¹⁾.

وفي إحدى حملاته البعيدة، في الشمال الشرقي ضد قبائل السكيث والماساجيت الرحل الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحر آرال، قتل قوروش في إحدى المعارك عام 529 ق.م، وبعد فترة قصيرة نقلت جثته إلى بازر كاده⁽²⁾ في الجنوب ودفن في ضريح أعد له في باذر كاده " قرب برسيوليس" التي كانت في بادئ الأمر عاصمة بلاد فارس.



(3)

¹ - للمزيد انظر: هرودوت، التاريخ، الكتاب الأول، ص 70 وما بعدها.

² - بازر كاده: هي العاصمة الجديدة التي أنشأها قوروش وتقع إلى الشمال من مدينة برسيوليس (اصطخر) بتدود 50 ميلاً ويعني اسمها في الفارسية (نخيم الفرس) ومكانها الآن على وجه التحديد الخراب المعروفة باسم شهري مرغاب.

³ - Ghirshman, R, & Herzfeld, Persepolis the Achaemenians Capital,

Tehran, Iran, p22.

- قمبيز " 528 - 522 ق.م.:

خلف قوروش في الحكم ابنه الكبير قمبيز " 528 - 522 ق.م.، وكان والده قد أشركه في الحكم في آخر أيامه، وكان يلقب بملك بابل، وكان قوروش ابن ثان هو "برديا" الذي كان أبوه قد أودع إليه إدارة المقاطعات الشرقية من الإمبراطورية، فعندما تولى قمبيز العرش، دبر أمر اغتيال أخيه الأصغر لأنه رأى فيه خطراً عليه كوالٍ على المقاطعات الشرقية، ومع أن قمبيز اشتهر بغزو مصر لكن الواقع أن أباه هو الذي وضع خطة الغزو وأوكل إلى ابنه أمر هيئة الحملة.

وفي سنة 525 ق.م هاجم قمبيز المدعوم بجيش بري قوي، وأسطول وضعه تحت إمرته الفينيقيون والقبارصة، الجيش المصري في رفح Palusium فلم تقاوت وتدافع الفرق الإغريقية في الجيش المصري الدفاع اللازم، وكانت النتيجة هزيمة الجيش المصري، وتابع الفرس تقدمهم واحتلالهم لمصر بالكامل، بعد أن وقع الفرعون المصري بسمتيك الثالث أسيراً بيد الفرس، فأرسل إلى سوسة. لينضم فيها أسيراً.

سلك قمبيز في بادئ الأمر سياسية الاعتدال تجاه المصريين فاحترم آلهتهم، وعين موظفاً مصرياً كبيراً على إدارة البلاد، وأمر بإجراء بعض الإصلاحات، ثم سار بجيشه نحو الجنوب، واستقر بعض الوقت في طيبة. وهناك فكر في التوسع وأعد الحطوط، وفرر وهو في مصر أن يرسل ثلاث حملات حربية، الأولى للاستيلاء على قرطاجة، والثانية للاستيلاء على واحة سيوه مقر الإله آمون، وعلى الطريق الغربي المؤدي إلى ليبيا، والثالثة للاستيلاء على كوش "الحبشة" وقد قادها بنفسه.

الحملة الأولى فشلت، لأن الفينيقين رفضوا تسير أسطولهم لغزو أبناء جلدتهم وأهلهم القرطاجيين. أما الحملة الثانية والتي قصد منها تأديب كهنة آمون الذين تنبأوا بسوء المصير لقمبيز وفتوحاته.

سارت الحملة من طيبة فوصلت إلى الواحات الخارجة، فأخذت ما يلزمها من مؤن وأدلاء، ثم غادرت باتجاه سيوه. لكن لم يستطع أحد من الجنود الوصول إليها، أو العودة من حيث جاء.

يذكر هرودوت قصة هذه الحملة ويقول: إن عدد جنودها خمسون ألفاً، وربما كان هذا العدد مبالغاً كثيراً فيه، ويزيد قاللاً؛ وأثناء عبورهم الصحراء تعرض الجيش لعاصفة رملية سقطت فوقهم مشكلة كتيباناً رملية فطمروهم، وهكذا اختفوا إلى الأبد⁽¹⁾.

أما الحملة الثالثة فكان نصيبها الفشل أيضاً، وملك أكثر الجيش الذي رافق قمبيز لنقص المؤن، وبعد المسافة، ويذكر هرودوت معاناة الجيش وأكلهم للدواب والحشيش، ولم يتمكن قمبيز من الوصول إلى ما أراد، فعاد مهزوماً نحو الشمال⁽²⁾.

كان فشل الحملات الثلاث ضربة فاسية لقمبيز، وظهرت في مصر بوادر العصيان لأوامره والاستخفاف بحكمه، ف قضى على العصيان والتمرد. وتخلّى عن سياسة التسامح الديني التي تولى بها أبوه، فحرق ديانة المصريين وحرق معابدهم وقتل العجل المقدس أيس في ممفيس، فعدت أعماله بألها غير متزنة، ووصفت المصادر المصرية سلوكه بأنه ضرب من الجنون واضطراب العقل⁽³⁾.

- داريوش "522-485 ق.م"

مات قمبيز بشكل مفاجئ، وهو في طريق عودته من مصر بعد أن تلقى خبراً عن قيام ثورة ضده في فارس، فقد أعلن الكاهن جوماثا أنه أخ للملك كان قد أعلن مفتله، وتمكن الكاهن الناصر من الاستيلاء على العرش، وعندها قام داريوش المنحدر من فرع آخر من الأسرة الأخمينية فتمكن من قتل معتصب العرش الكاهن جوماثا،

¹ - انظر: هرودوت، التاريخ، الكتاب الثالث، ص 229.

² - انظر: هرودوت، المصدر السابق نفسه، ص 229.

³ - باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ص 206.

وأعلن نفسه ملكاً على البلاد اعتباراً من أواخر عام 522 حتى 485 في.م. وأمضى داريوش العامين الأوليين من حكمه في القضاء على الثورات والتمردات التي سادت الإمبراطورية عقب وفاة قمبيز. وتعتبرنا الملك داريوش عن ذلك في نقش طويل ومفصل كُتب بالخط المسماري في ثلاث لغات، الفارسية القديمة، والعلامية، والأكادية، حيث نقش على صخور بمستون.

وجاء فيه: "..... لم يجر أحد على الثغرة يشيء ضد جومانا، الساحر حتى أتيت أنا وتوسلت لأهورا مزدا، فأعاني أهورا مزدا.....، فقلت بمساعدة رجال فلان المدعو جومانا الساحر، وخيرة الرجال من أتباعه..... وحسب مشيئة أهورا مزدا أصبحت ملكاً"⁽¹⁾.

وتحدث نقش بمستون، بالتفصيل كيف تمكن داريوش بكل دهاء وحزم من تثبيت دعائم سلطته، وإنقاذ الإمبراطورية من التفكك، عندما نشبت الثورات المحلية، خاصة في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وكيف أخضع فارس وبلاد بابل إلى حكمه. ".... هذا الذي فمت فيه تمشياً وإرادة أهورا مزدا، خلال سنة واحدة، بعد أن أصبحت ملكاً، بحضت عشار تسعة عشر معركة. وبإرادة أهورا مزدا انتصرت فيها جميعاً وأسرت تسعة ملوك....."⁽²⁾.

عمل داريوش ستة وثلاثين سنة متواصلة في البناء الداخلي والخارجي لهذه الدولة العالمية، التي امتدت من الحدود الليبية في شمال أفريقيا غرباً والساحل الإيجي حتى بحر الهندوس شرقاً، ومن البحر الأسود وبحر قزوين في الشمال، حتى المحيط الهندي في

¹ - مورتكات (انطون): تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، د. ت. ص 371.

² - مورتكات، المرجع السابق، ص 371.

الجنوب، كما سعى داريوش لدرء الأخطار الخارجية عن الإمبراطورية، وحاول إخضاع الدويلات اليونانية، لكن جيشه مني بهزيمة مؤثرة من أثينا في معركة ماراثون " 490 ق.م"، ولم يتمكن داريوش من معاودة هجومه على بلاد اليونان لانشغاله بإخماد الثورات التي نشبت في مصر، ثم وفاته عام 486 ق.م.

وقد وصل التنظيم السياسي للدولة إلى ذروته في زمن داريوش، وقد شمل هذا التنظيم كل نواحي الإدارة من قوانين وضرائب، وخدمة في الجيش، والتجارة والبريد، والمواصلات. وبعد موت داريوش تسلم الحكم ابنه أكسرخس " 486 - 465 ق.م"، الذي قاد حرباً بنفسه ضد مدن الدول في بلاد اليونان التي اتحدت في أثناء الاستعدادات للحرب، وفشل هو الآخر في تحقيق أي انتصار على بلاد اليونان. ومن بعده انتقل الحكم إلى خلفائه الذين قنعوا بما حققه أسلافهم، وركزوا جهودهم في محاولة المحافظة على أبعاد أسلافهم دون العمل الجدي على زيادة هذه الأبعاد، فكانت أهدافهم محدودة وطموحاتهم قليلة¹. فعانت الإمبراطورية " المملكة " من تمزق سياسي أدى إلى صراع داخل الأسرة الحاكمة، فعم الاضطراب مفاصل الدولة، وتعاقت الثورات، وحل التسلط والقهر محل سياسة التسامح، وتنالى على الحكم عدد من الملوك الضعاف، كل ذلك ساعد في انهيار هذه المملكة أمام القوة النامية الجديدة التي ظهرت في العالم الهيليني.

¹ - سلهم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 305..

- الحضارة الآرامية:

- الحياة السياسية والاجتماعية:

- الملك:

كان الملك الفارسي بعظمته وسعة سلطاته يشبه ملوك آشور، وبابل أو فراعنة مصر، فهو ملك الملوك أو الملك العظيم، سلطته مستمدة من الإله آهورا مزدا. وهو لم يكن إلهاً كفرعون مصر، بل هو على الأقل يتمتع بنفوذ الإله على الرعية، يتصرف بأموالهم وأرواحهم كما يشاء، ولا راد لمشيئته، والموت في سبيل مرضاته أعظم شرف يناله الإنسان.

وكان يقوم على حراسته فرقة الحرس الملكي والتي تضم عشرة آلاف جندي يسمون بفرقة الخالدين "لأن عبيدهم كان ثابتيًا فكلما مات أحدهم أو قتل عين حارس آخر مكانه حالاً".

ولم يكن يسمح لأحد من الناس برؤية الملك إلا بإذن خاص. ولا يظهر إلا وهو جالس على عرشه المصنوع من الذهب والفضة، وفي يده صولجانه الذهبي، وعلى رأسه تاج مرصع بالأحجار الكريمة وفي وسطه زنار من الذهب. وكان يمشي وحلفه حاشيته، بعضهم يرفع فوق رأسه مظلة تقيه حر الشمس، وبعضهم الآخر مذبة يدفعون بها الذباب عنه، وكان من حق الملك أن يختار من يخلفه من بين أبنائه، ولكن وراثة العرش كانت تقرر في العادة بالاغتتيال والثورة. غير أن سلطة الملك كانت مقيدة من الوجهة العملية بعبادات وتقاليده كثيرة وبقوة الأشراف وزعماء القبائل والأسر.

وهناك مجلس استشاري يحاص مؤلف من الشيوخ الذين تنتخبهم الأسر الفارسية النبيلة والقبائل الأرية، يقدمون المشورة في الأمور الخطيرة.

فالملك هو المركز الرئيسي في الحكومة والإدارة يساعده وزراء يختارهم من بين أعوانه الفرس، وكانت أوامر الملك ومراسيمه توزع على كل الولايات مهما كانت بعيدة.

عن العاصمة. كما كانت تسجل وتحفظ في دواوين خاصة. ولم تكن اللغة الفارسية القديمة وحدها لغة الدولة، بل كانت الدواوين الملكية تستعمل اللغة الآرامية في المعاملات المختلفة بالولايات.

واللغة الآرامية آنذاك كانت لغة التجارة والسياسة. وكان على موظفي الدواوين أن يترجموا الأوامر الملكية إلى اللغات المختلفة الأخرى، كاليونانية والمصرية، هذا وكان أكثر موظفي الدولة وخاصة في المناصب العليا من الفرس. أما في الدواوين فقد كان للسوريين الحظ الأول. وانصف الملوك الفرس عموماً بالتسامح مع عادات وأديان الشعوب الخاضعة لهم، ووجد لدى الإمبراطورية الفارسية نظام إداري معروف.

تشير إلى ذلك النقوش الموجودة على مقبرة الملك داريوش التي ترجمت أيام غزو الإسكندر الأكبر لبلاد فارس - حسب ما يذكر سترابون -، وقد جاء في هذه النقوش "لقد كنت صديقاً لأصدقائي، وقد تفوقت على غيبي في ركوب الخيل والرمي بالشباب، كما أحدثت الصيد واستطعت أن أعمل كل شيء" (أ).

فالمعروف عن داريوش أنه على الرغم من أنه قهر ملوكاً كثيرين، فإنه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الأصدقاء، ولم تكن مجاملته ضعفاً فقد أطاعه جميع من في إمبراطوريته وكانت إرادته هي العليا.

- تنظيم الدولة "إدارة الولايات":

لم تكن الإدارة الفارسية مركزية ضيقة بالرغم من السلطة العظيمة التي كان يتمتع بها الملك العظيم، فقد وجد الملوك في أثناء فتوحهم أمماً متحضرة ودولاً ذات نظم قديمة، فلم يشاءوا أن يضطهدوا الأمم المغلوبة خشية أن تنفض عنهم، لذلك تركوا لبعض المقاطعات نظمها الحكومية كاملة، كما في سورية ومصر وبلاد الرافدين،

¹ - سليم (أحمد أمين): دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم "العراق، إيران"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص 333.

وقسموا الإمبراطورية إلى عشرين ولاية أو أكثر وعينوا على كل ولاية حاكماً يلقب بالمرزبان⁽¹⁾. وكان المرزبان "الحاكم" يمثل الملك العظيم، يتمتع في ولايته بسلطة لا تقل عن سلطة الملك. وغالباً ما يكون المرزبان من العائلة المالكة أو من عائلة سبق لها أن حكمت في الولاية، ويمكن للحاكم أن يورث الحكم لأبنائه، وعليه أن يوطد الأمن ويحرسه. وقد نحسب الملوك أن يسيء المزاربة استعمال هذه الخبرة، فينقلبوا على الحاكم المركزي، ويعلموا استقلالهم، ولهذا السبب وضع توروش نظاماً حسنه داربوش فيما بعد، ويقضي هذا النظام بتعيين قائد لجيش الولاية يكون تابعاً للملك مباشرة ومستقلاً عن الحاكم. كما كان كاتب الولاية والموظف المسؤول عن المالية مرتبطين بالملك مباشرة، وزيادة في الحيلة كان للملك إدارة للمفتشين وللمحاربات السرية، يرسل منهم مفتشون بقبوهم "عيون الملك وأذنه"، وكان هؤلاء المفتشون يقومون بمحولاتهم مفاجئة ويراقبون أعمال الحاكم "المرزبان"⁽²⁾، ويـزودون الملك بتقارير عن أحوال الرعية. وكان الهدف من كل هذا أن يقف الملك على أحوال الولاية ويضمن على تنفيذ الأوامر التي يصدرها، وعلى هذا فقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية، وفي بعض الأمور كانت الأوامر تصدر إليه مباشرة من الإدارة المركزية⁽³⁾.

¹ - انظر: فحري، المرجع السابق، ص 226 وما بعدها.

² - المرزبان: كلمة مؤلفة من مقطعين مرز وتعني الحد وبان وتعني الحاكم وبالتالي المرزبان هو حامي الحد أو حاكم الولاية، وهو المسترأب باليونانية. فحري (أبو الحسن): فرهنكغ نجهت، فلارسي عربي، مؤسسة جاب وانتشارات بادواره، كتاب، تهران، 1380، ص 658.

³ - سليم، المرجع السابق، ص 338.

وقد اهتم ملوك الفرس بشبكة الطرق، كما قاموا بتنظيم البريد بين الولايات لأسباب اقتصادية وسياسية وحربية، ومما ساعد على نجاح الإمبراطورية في إدارة ممتلكاتها أن الأباطرة أنشأوا بها الكثير من الطرق ونظموا البريد لتيسير الاتصال بين مختلف أنحاءها، وكان اهتمام ملوك فارس بهذه الطرق كبيراً جداً كونها واحدة من الضرورات الإدارية، ومن جهة ثانية ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة وزيادة تداول البضائع والمنتجات بين أنحاء الإمبراطورية.

ومن بين هذه الطرق الطريق التي كانت تربط سوسه بأفسوس في آسية الصغرى، وكانت من الطرق الرئيسة ويبلغ طولها 1677 ميلاً، وقُسمت إلى مائة وإحدى عشرة محطة بريدية بكل منها خيول وموظفون يتولون مهمة نقل أتباع الملك على طول الطريق، وكانت هناك طريق تصل ميسر بابل ثم إيران.

كما نظموا الضرائب المفروضة على كل ولاية وكانت الإتاوة المقررة على كل ولاية مقدراً معيناً من الفضة أو النقد، ثم ضريبة أخرى من محصول تشتهر به الولاية. وكان جمع الضرائب، نقداً أو عيناً من مهام الوالي، وكانت هذه الضرائب تفرض على جميع الولايات ولا يعفى منها إلا ولاية فارس مسقط رأس أسرة الأخمينيين (1).

وكانت الضرائب تجمع بدقة في الإمبراطورية كلها وقد اختلف مقدار الضريبة بين ولايات وأخرى، فكانت ولاية الهند على رأس جميع الولايات في كمية الإتاوة السنوية المفروضة عليها إذ كان عليها أن تدفع إلى خزنة ملك الملوك "الشاهنشاه" مقدار 4680 وزنة (2) فضة سنوياً، وتليها ولاية بلاد الرافدين (بابل وآشور) وكان عليها أن

¹ - سليم، المرجع السابق، ص 338-340.

² - الوزنة ترجمة لكلمة Talent التي يفضل البعض ذكرها كما هي ثالثاً، وكانت الوزنة تساوي 60 مثلاً، والمثقال 60 مثقال، ووزن المئزر من الرطل الإنكليزي أي نحو نصف كيلو غرام. فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص 227.

تدفع مقدار 1000 وزنة، أما ولاية مصر، فكانت المقادير عليها 700 وزنة بالإضافة إلى كمية من القمح ترسلها سنوياً، ونكفي لإطعام 120.000 شخص، أما سورية وفلسطين معاً فكانت الإتاوة المفروضة عليها 360 وزنة، وولايات أسية الصغرى الأربع 1760 وزنة، وكما كانت مصر ترسل الحبوب، كانت بلاد الميدين ترسل كل عام 100.000 رأس من الأغنام، وبلاد أرمينية 30.000 طير.

— الجيش:

كان الجيش عماد السفلة والأداة الكبرى في يد الملك والحكومة الإمبراطورية، يستعملونه في تحقيق مطامعهم، وفي توليد الأمن في الولايات، وكانت الجندية تفرض على كل رجل سليم البنية صحيح الجسم بين سن الخامسة عشرة والخمسين كنما أعلنت الحرب.

وكانت أهم فرق الجيش، فرقة الحرس الملكي، المؤلفة من ألفين من الفرسان ومثلهم من المشاة ومائة النبال، وجلبهم من الأشراف الفرس والميدين، وكانت مهمتهم حراسة الملك، ثم ازداد عددهم حتى أصبحت فرقة العشرة آلاف جندي، الذين يسمون جيش الخالدين، الذين كانوا في حالة استعداد وتسليح دائم، ويمنازون عن عامة الجنود بملابسهم الثمينة، وبالإضافة إلى قوات حراسة الحدود في الولايات، كانت هناك كتائب من الجنود غير النظاميين الذين يقدمهم الأهالي في الأوقات اللازمة، سواء من العاصمة أو من الولايات المختلفة.

وكانت تلك الكتائب تنكلم كل منها بلغاتها المختلفة، وتقاتل بأسلحتها الخاصة، فلم يكن بينهم أي رابطة روحية أو معنوية، وهذا هو السر في عدم مقدرة جيش إيراك على تنفيذ خطة حربية أو تحقيق انسحاب منظم، لذا فإن أول بادرة للهزيمة أو انسحاب قسم من الجيش، كان يقول هذا الجيش أو الكتائب إلى جموع من الغوغاء

عندة النظام. يضاف إلى ذلك أن من الأسباب الجوهرية هزيمة جيش الفرس خلال الحروب اليونانية، أن أسلحة الجيوش الدفاعية لم تكن محكمة(1).

وكان الخيالة والمشاة الفرس يلبسون القلائص الصوفية، وثياباً متعددة، ودروعاً مصنوعة من الصفائح المعدنية، ويحملون الرماح والأقواس والسيوف والثروس. أما الفرق الأجنبية، فكانت تعمل أسلحة خاصة بما اعتادت على حملها واستعمالها. أما المؤن والأسلحة، فكانت تحمل إلى مواقع القتال بواسطة فوافل الإبل، بالإضافة إلى العربات المسلحة، ويصحبهم المنادون والكتبة والحصيان والسراري، ويذكر المؤرخ هيرودوت بأن قوروش في حربه ضد كرىزوس وضع في مقدمة جيشه صفاً من الإبل، ونفرت تحيول الليديين من رائحة الجمال فتضعض شملها وفرت(2).

ويبدو أن الجندية كانت محبوبة ومصدر فخر للناس، وقد كان الجنود يخرجون إلى القتال وسط دوي الموسيقى العسكرية وعتاف الجماهير.

وشغل الأسطول دوراً مهماً في حروب الفرس، وخاصة في حروبهم مع اليونان، فقد بلغ عدد سفن أسطول مصر 1200 سفينة، وكانت سفن فينيقية وصيدا أقوى سفن الأسطول وأضخمها، بالإضافة إلى سفن مدن آسية الصغرى، ومصر.

وكانت السفن التي صنعها لهم الفينيقيون على ثلاثة أنواع: النوع الأول سفن الهجوم، والثاني ناقلات الجنود والخيول، والثالث ناقلات الأمتعة والذخائر وكان النوع الأخير صغير الحجم نسبياً(3).

1 - هيرودوت، المرجع السابق، ص 145.

2 - هيرودوت، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 67.

3 - سلاهم، المرجع السابق، ص 344-346.

- آداب الفرس وعاداتهم وأخلاقهم

تميز الفرس بالصراحة والكرم والمودة، ويراعون آداب المجالس، ولهم عادات لطيفة، فهم يشتهرون بالوفاء، ومن العسير أن نجد فارسياً قد استلجح ليحارب قومه، بعكس حال اليونان، ومن بين عاداتهم حسب هيرودوت والتي ترجع إلى الأيام التي كانوا يجوبون السهول الشمالية على ظهر الخيل، ومنها: أن الرضيع يفي خمسة أيام بعيداً عن أبيه لا يراه، وتتولى النساء تربيته، وأن الأنساء في سن الخامسة وحتى سن العشرين يتعلمون ثلاثة أشياء فقط: ركوب الخيل، والصيد بالفوس، وقبول الحق. أما القتال في المعركة فكان يعد أسمى صفات الرجل، وكان يليه في الأهمية، بناء أسرة كبيرة من الأبناء، ثم يأتي بعد ذلك، تكوين الجندي المقاتل. كما تعلموا الابتعاد عن الكذب، وكره الاستئذان، واحتقار التجارة، وهذا يدل على القوانين الصارمة في أثناء التعليم، بالإضافة إلى تمسكهم بعادات القبائل الرحلى التي تعد الرجال الأفوياء الجسورين.

وبعد تأسيس الإمبراطورية، بدأوا يغيرون بعض عاداتهم، وأخذوا يتذوقون حياة الترف، ومع أنهم كانوا يحبون الطعام والشراب، لكنهم كانوا يتجنبون التخم، ويتحاشون ممارسة شؤونهم الخاصة جهراً أمام غيرهم، فكان يسوؤهم أن يصفق الإنسان أمام الناس. وكان الإكثار من الشراب، لا يقلل من وضوح أحكامهم، كما يستدل من إحدى عاداتهم المعروفة، وكانت تقضى ببحث قراراتهم التي اتخذوها وهم سكارى، والنظر فيها من جديد في صبيحة اليوم التالي، بعد أن يعودوا إلى وتسارهم ورزانتهم¹. وكانوا يعدون النظافة أكبر النعم ويفرضون أشد العقوبات على من يتسببون في نشر الأمراض المعدية.

¹ -- للمزيد انظر: هيرودوت، الكتاب الأول، ص 95، 96، 97، ومابعده.

- الأسرة

كانت الأسرة أقوى النظم الاجتماعية، لذلك نظم الآباء شؤون الزواج لمن يبلغ الحلم من أبنائهم، ويعتقد أن زواج المحارم كان سائداً، فالأخ يتزوج أخته، والاب ابنته، والأم ولدها¹، كما سمح بتعدد الزوجات، لأن المجتمعات الخربية كانت بحاجة ماسة لكثرة الأبناء.

وكان التسري من المتع التي اختص بها الأغنياء، ولم يكن الأشراف (النبلاء) يخرجون للحرب إلا ومعهم سراريهم، وكثر عدد السراي في مقرات الملوك في أواخر عصر الإمبراطورية، ورغم ذلك كان للمرأة مكانة سامية في دين زرادشت، كما هي عادة القدماء، ثم انحطت مكانتها بعد عهد داريوش بحيث لم يكن يسمح لمن بالاختلاط بالرجال علناً، أو بالخروج من يسوقهم إلا في همودج مسجفة، ولم يرد ذكر للنساء قط أو يرسمن في النقوش أو التماثيل العامة في بلاد الفرس القديمة.

وكان الفرس يعدون من سوء الأدب كشف أي جزء من أجزاء الجسم عدا الوجه، ولذلك كان كل جسمهم مغطى من عمامة الرأس إلى تحفي القدمين، فلباسهم سروال مثلث العليات وقميص أبيض من التيل، ومئزر من طيقتين، ذو كمين يغطي اليدين، ومنطقة وسط الجسم، وكانت هذه الملابس تحفظ أجسامهم صيفاً وشتاءً.

ولم تكن ملابس النساء تختلف عن ملابس الرجال إلا بفتحة عند الصدر، وكسان الرجال يعللون لحاهم، ويتركون شعر رأسهم ينساب في غداثر. ومع تزايد الثروة

¹ - يذكر أن زواج المحارم كان ماريماً عند بعض شعوب الشرق القديم، ومنهم الفرس، ويعتقد بعض الباحثين أن ذلك كان من أجل الحفاظ على نقاء الدم، وبعضهم الآخر يقول إنه تأثر العصر الذي كانت فيه السيادة للمرأة حيث كانت هي الكاهنة والأم والآلهة رمز الخصوبة، وهي سيادة وزعيمة القبيلة، فنزوح من محارمها، كي لا يشاركها أحد غريب، أو ينتقص من سيادتها وزعامتها.

في عهد الإمبراطورية أقبل الفرس على استعمال أدوات التجميل رجالاً ونساءً، فاستعملوا الدهون لتجميل الوجه، والأصبغة الملونة للدهن الجفون، لكي يزيادوا بذلك من مسعة العنين، ويرتقها في الظاهر، وقد برع الفرس في عمل الروائح العطرية.

— الحياة الاقتصادية:

— الزراعة:

اهتم الفرس بالزراعة ومجّدت الكتب الدينية الفارسية الأعمال الزراعية، وعادها أهم أعمال البشر وأشرفها، وفضلها أموراً مزدا على غيرها من الأعمال، وكانت بعض الأراضي يزرعها أصحابها المزارعون، وفي بعض الأحيان كانوا يؤلفون جماعات زراعية تعاونية مكونة من عدة أسر، لتسرع بتحملة مساحات واسعة من الأراضي، وبعض آخر من الأراضي يمتلكه الأشراف الإقطاعيون، ويزرعها مستأجروه نظير جزء من إنتاجه، وهناك قسم يزرعه العبيد "الأرقاء" الأجانب "لم يكونوا مسن الفرس" وكانوا يستخدمون المحاريث الخشبية، ذات الأطراف الحديدية التي نجرها الثيران.

وكانوا يحرون الماء من الجبال إلى الحقول بقنوات ري. وكان الشعير والقمح أهم محاصيل الأرض، وأهم عناصر الغذاء عندهم، وقد أدخل الفرس زراعة اليوسم إلى بلاد البحر المتوسط عندما غزوا بلاد اليونان عام 490 ق.م، وفي نفس الوقت تعلم الفرس زراعة الأرز بعد دخولهم للمهند.

— الصناعة "الحرف":

لم يهتم الفرس كثيراً بالحرف "الصناعة"، فقد ارتضوا أن يتركوا للأهم وشعوب الشرق القديم ممارسة الحرف والصناعات اليدوية، واكتفوا بأن تحمل هذه الأمم إليهم منتوجاتها، مع ما يأتيهم مسن الخراج، ولدينا ما يدل على اهتمام الملوك بالصناعة في المدن السورية، ومدن أمية الصغرى، ومسند بلاد الرافدين.

— التجارة:

وطدت الإمبراطورية الفارسية الأمن والسلام في أرجاء البلاد التي خضعت لهم، فساعد ذلك على ازدهار الاقتصادي، وكان لاهتمام ملوك الفرس وبخاصة داريوش بالبريد وفتح الطرق وحمايتها، دور كبير في ازدياد التبادل التجاري بين الولايات، وتنشيطها وانتقل مع التجار الكثير من العسادات والأفكار، واغتنت المدن الواقعة على الطرق التجارية الكبرى، وأسهم إصلاح داريوش المالي، وسك العملة التي سميت بالدارية نسبة إليه، بكثرة واردات الدولة، وامتلات خزائن الدولة بالأموال التي كانت تحصل من الولايات، وكانت الضرائب إجبارية على جميع الولايات ما عدا ولاية فارس لأنها مهد البيت المال.

وقد اهتم ملوك الفرس بشبكة الطرق وتنظيم البريد بين الولايات لأسباب اقتصادية وسياسية وحرية. ومن هذه الطرق التي كانت تذهب من سوسة إلى برسيبوليس فالبلاد الواقعة وراء نهر السند أو إلى باكتريا. والطرق التي كانت تؤدي إلى سورية وآسية الصغرى متبعة وادي الفرات. أما الطريق الملكية من سوسة إلى سارديس فقد كانت طريقاً للتجارة ولتجارات الجيوش بين جنوبي إيران وساحل بحر إيجة.

وقد أمر داريوش بحفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر لائتداد طريق قريب بين بحر المغرب " البحر المتوسط " والبحر الأحمر للوصول إلى بحر عمان والخليج العربي.

ويذكر هيرودوت أن داريوش أمر " سكيلاكس " القيام برحلة أدت إلى اكتشاف بحري لمر السند حتى مصبه على ساحل افقيط الهندي ومنه اتجه غرباً حتى الخليج العربي (1) ففتحت أمام التجار أسواق جديدة، وكانت الأعمال التجارية تترك غالباً لغير الفرس، لليابانيين والفينيقيين، وذلك لأن الفرس كانوا يحتفرون التجارة ويرون أن الأسواق بؤرة الكذب والخداع.

¹ : هيرودوت: المصدر السابق، الكتاب الرابع، ص 309.

أما الأحور والقروض فكانت تؤدى بادئ الأمر سلفاً، وأكثر ما كانت تؤدى به الماشية والحبوب، وعندما قام داربوش بإصلاح مالي عظيم حسن طريقة جباية الضرائب ونظمها وسهل التبادل التجاري في أنحاء الإمبراطورية، وذلك بسكه العملة من الذهب والفضة والتي سميت (بالداريك) (1).

— الحياة الدينية:

شغل الدين حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان منذ القدم وتلبية حاجاته الروحية، يبدأ الإنسان بعبادة كل ما لا يستطيع السيطرة عليه من ظواهر مختلفة، ولم يتعد الإنسان الإيراني في تفكيره وتأمليه عن نظرائه من الشعوب المماثلة في الشرق القديم.

تنوعت المعتقدات الدينية في إيران القديمة وتدل المعلومات القليلة إلى وجود العبادات القديمة المتمثلة بعبادة آلهة الطبيعة على اختلاف أشكالها، وإلى انتشار الزرادشتية وغيرها من العبادات الوثنية، بالإضافة إلى الديانات النوحيدية كاليهودية والمسيحية التي استغادت من سمّة التسامح الديني التي اتبعها الفرس مع أتباعهم.

— المعتقدات القديمة:

عبد الإيرانيون القدماء عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة كآله الشمس (ميترا)، وأناهيتا آلهة الخصب والأرض، كما عبدوا الثور (هوما) الذي مات ثم عاد حياً، حيث وهب الجنس البشري دمه شرباً لبسغ عليه نعمة الخلود. بالإضافة لذلك عبدوا آلهة المطر والسحاب والرياح وغيرها من آلهة الطبيعة التي تساعد في أعمالهم الزراعية، وسموها كلها (دابها) أي الأرواح الخيرة.

¹ — يعتقد أن داربوش تعرف على سك العملة في مدن آسية الأيونية، وخاصة من لديها ثم طور سكها وصور على ظهر النقود الملكت جانهاً على ركبته وممسكاً بقوسه، وتعد هذه القطع من أشهر قطع السكة في العالم القديم.

لم تستمر هذه العبادة كثيراً، إذ سرعان ما أضاف الإيرانيون لألهتهم الخيرة إيمانهم بألهة القبائل. ومع تعدد الآلهة ظهرت التماثيل والأصنام، وبحرور الزمن ظهرت الصلوات والتراثيل، ولأن الشعب غير قادر على حفظ كل التراثيل والتميز بين تراثيل وصلوات كل إله لألهما كيه في العمل، كان لابد من وجود رجال يتصدون لهذه المهمة، وهؤلاء ما نسميهم الكهنة⁽¹⁾.

- عبادة الأجداد:

انتشرت عبادة الأجداد منذ العصر الفارسي فالأحمينيون سمو أنفسهم بهذا الاسم تجليداً لجدهم الأول أحمينوس، وفي العصر الفرثي كان انتصار أرشاق الأول على اليونانيين جعل كل الملوك الفرثيين يتسبون إليه على أنه جدهم الأكبر فأضافوا اسمه إلى بداية أسمائهم، وسموا صوره على نقودهم بأشكال مختلفة ومتنوعة.

وكانت إضافة اسم أشك لأسمائهم عبارة عن معتقد ديني يقوم على عبادة الأجداد، حيث تجلت روحية سيادة الأب واحترامه، فقد احترمت هذه العادة في كل أدوار تاريخ إيران، ويمكن القول إن هذه الظاهرة استمرت أيضاً في اليهود اللاحقة وخاصة في إيران إذ يلاحظ أن الساسانيين أيضاً عطفاء الفرثيين أخذوا اسم دولتهم من اسم جدهم الأول ساسان.

- الميثراوية:

تشير معظم الدلائل إلى أصول ميثرا الهندو آرية، فقد خرجت عبادة ميثرا متأثرة كثيراً بعلم النجوم الكلداني، فكانت الشمس دائماً رمزاً للنور، وميثرا هو إله النور

1- مظهر، المرجع السابق، ص 264 - ص 265.

بشكل عام، والشمس مصداقاً وأصل له، وتعود معرفة الإله ميشرا إلى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حيث ذكر في الوثائق الفارسية القديمة^(١).

وكان الآريون يعبدون الشمس ويحترمونها أكثر من أي معبود آخر؛ لأنها تعد مركز النور والحياة للإنسان والحيوان، واعتقدوا أن الشمس وحرارتها تطهر الأجسام من دنس الخطيئة فتسجدخل النعيم مظهرة، لذلك لم يدفنوا موتاهم بل كانوا يتركون الميت فوق أبراج تسمى (أبراج الصحة) ووجهه إلى الشمس. لم تقتصر عبادة الشمس (ميشرا) على الآريين من شعوب الشرق، فقد عبدتها كل الشعوب التي اعتمدت على الزراعة، وذلك لدور الشمس في التأثير على المحصول وإنباته، ونفضه، ومن هنا يمكن القول إن عبادة الشمس أو ميشرا قديمة قدم المعرفة بالزراعة، وهذا يدل على أنها سبقت الزرادشتية وعبدت في بلاد النهرين في فترة أقدم من الفترة التي عيدها فيها الآريين، ولذلك ربما انتقلت عبادة ميشرا عبر بلاد الرافدين إلى الآريون في إيران.

وتوضح مبادئ الزرادشتية أن الله كلف الشمس بإزالة الشرور، وهكذا كانت الشمس رمزاً لأهورا مزدا، ومحتلها على الأرض النار المقدسة.

وكان للإيرانيين آلهة كثيرة؛ وكان ميشرا أحد أهم الآلهة، وبعد ظهور الزرادشتية كان ميشرا فيها واحداً من الملائكة، وقوة من نور تحارب إلى جانب أهورا مزدا. كما يُذكر ميشرا كإله للقسم^(٢).

تظهر تسميات ميشرا المختلفة كثرة المهام التي تنسب إليه، وبالتالي تدل على المكانة الكبيرة التي حصل عليها في المجتمع الإيراني القديم، ويبدو أنه صاحب المكانة

^١ .. للتزيد حول ميشرا، انظر: الموسوعة العربية، المجلد 20، مادة ميشرا، ص 184.

زيهفر (ر.س): الزرادشتية "النهر من الغروب"، نقله إلى العربية وقدم له مهيل زكار، دار التكوين، دمشق، 2005م، ص 114-128.

^٢ - زيهفر، المرجع السابق، ص 126. قدياني: المرجع السابق، ص 175-176.

الأولى بين الآلهة لديهم، ولذلك كثرت مهامه فكان للعدل والحرب والنور، والقسم والمدافاة وغيرها، ولذلك شاعت بين الشرقيين في حقبة مختلفة الأسماء المشتقة من ميثرا، كميثراداتس.

وكان الآريون الميثرايون والزرادشتيون يحتفلون بعيد ميثرا تكريماً له، وكان الملك بلمس تاجاً مرصعاً على أنه يمثل ميثرا على الأرض، ويصادف العيد يوم الاعتدال الخريفي، ويسمى أيضاً بعيد المهر جان "أي عيد ميثرا"⁽¹⁾.

وربما يدل دخول بعض العقائد الميثراوية في الديانة المسيحية إلى استمرار عبادة ميثرا في القرون التالية للمسيحية، وعندما وجدت المسيحية إمكانية تنصير أتباع ميثرا كانت عملية إدخال المعتقدات الميثراوية العامل الهام لتنصير الميثرايين، فوجدت هذه العقائد التي لا تمس جوهر المسيحية بشيء.

وعبر ميثرا حدود إيران ليصبح من أهم آلهة الرومان! وكثيراً ما ذكر ميثرا في الأفستا، والأدب الزرادشتي الحديث؛ كما أن الأفستا تكرر له ترقية بأكملها، وتجدر الإشارة أيضاً إلى الميثراكانا، وهو احتفال سنوي كبير يقام في الشهر السابع من التقويم الزرادشتي، مكرس للإله ميثرا

واتششرت عبادة ميثرا في الأماكن التي غزاها الإمبراطور؛ ووصلت، بشكل خاص، إلى وادي الفرات حيث استقرت لفترة طويلة؛ حتى إن كثيراً من الكتاب اليونان والرومان تحدثوا عن هذا الإله كإله آشوري⁽²⁾.

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 240-241. قدياني، المرجع السابق، ص 175-176. كرميستن، المرجع السابق، ص 21.

² - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 240-241.

Mutafian, Claud, Atlas Historique de L'armenie, Paris, 2001, P3.

— المعتقدات الآرية:

قامت المعتقدات الآرية في العصور القديمة على عبادة قوى الطبيعة؛ أي إن القبائل الآرية كانت في مطلع نشوئها تعبد ظواهر الطبيعة سواء النافعة منها أو الضارة، كالنساء والتراب والنار والمطر مسن جهة، والرعد والبرق والصواعق والحيوانات من جهة ثانية، فتعبد الظواهر النافعة لتستقدر عظمها وخيراتها، وتعبد الضارة لتأمين شرها.

وكانت القبائل الآرية تزعم أن للظواهر الطبيعية روحاً وإدراكاً ومشاعر وأحاسيس. وتطور هذا الاعتقاد فيما بعد حيث وجد إله ورب لكل ظاهرة من الظواهر، فعبدوا آلهة وأرباب الموجودات بدلاً عن الموجودات نفسها، فهناك رب للنار وآخر للهواء وثالث للماء، ورب للرعد ورب للصواعق، وهكذا؛ أي إن الآلهة كانت تنصور في هيئة أرواح وأشباح، وقسمت إلى طائفتين: الأولى أرواح الخير، والثانية أرواح الشر.

لقد كان اعتقاد الآريين قديماً عبارة عن عبادة قوى الطبيعة والظواهر والأجرام السماوية كانت آلهة الطبيعة الرئيسية تتمتع منذ جهود غابرة بمزايا خلقية واجتماعية⁽¹⁾. واستمر الأمر في عهد الفريين، ويدل على ذلك منحوتاتهم التي كانت على شكل شمس أو قمر أو ما شابه ذلك.

— الديانة الزرادشتية:

الزرادشتية هي دين زرادشت الذي بدأ يدعو له في منتصف القرن السادس ق.م تقريباً في شمال غرب إيران، وكان اسمه زرتشت ويعني صاحب الحمل الأصفر، واسم أبيه بوروشنسب، أي صاحب الفرس رمادي اللون، أما أمه فاسمها دوغدوا أي حالية

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 241-243، الطهري، المرجع السابق، ص 170-172.

البقر الأبيض، وهو يتحدر من عائلة اسمها سبيتمة أي الأبيض، وهذه الأسماء مجموعها توحى بحساسة قريبة من حياة الرعي.

وكان زرادشت موحداً لله، وأطلق على أتباعه اسم الجوس، فالجوس هم المصدقون بنسوة زرادشت⁽¹⁾، وكتابهم المقدس الأستا. وعندما دعا زرادشت قومه للتوحيد سمي الرب (الله) أهورا مزدا منحه أسمى أوصاف السمو والألوهية الحققة⁽²⁾. بعد ذلك ظهر إله الشر في تعاليم زرادشت عندما حدد للعالمين أصلين: أحدهما للخير وسماه أهورا مزدا، وآخر للشر وسماه أهريمن⁽³⁾.

وتجلى بساطة الديانة الأصلية التي بشر بها زرادشت في غياب المياكل والمعابد والمذابح، فلقد منع زرادشت تشييد أماكن خاصة للعبادة لأن الله موجود في كل مكان ويمكن التوجه إليه بالصلاة في أي مكان، كما منع صنع الصور والمنحوتات لأهورا مزدا، فكانت الصلوات تقام في البيسوت أو في أماكن مخصصة للعبادة في الهواء الطلق ومزودة بموقد للنار المقدسة، الرمز الأساسي للزرادشتية⁽⁴⁾.

وبذلك ظهرت لأول مرة معابد النار في إيران، وشيئاً فشيئاً أخذت نار المعبد تكتسب قدسية خاصة بما بعد أن كانت مجرد رمز للألوهية.

¹ - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجول، بيروت، 1985م، ج1، ص 182. الطباطبائي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م، ص358. جوان، المرجع السابق، ص394.

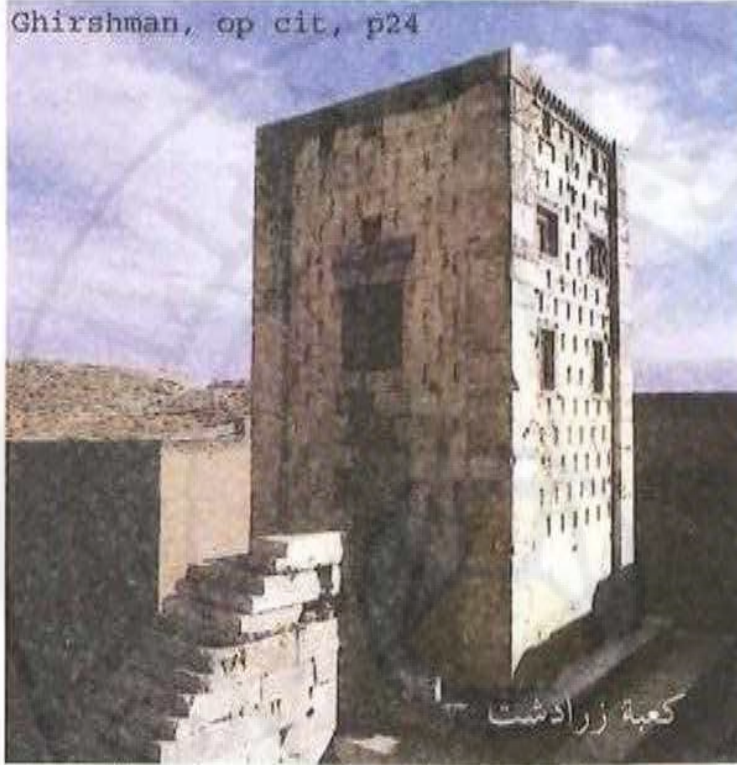
² - عبد القادر (حامد): زرادشت الحكيم أبي قدامس الإيرانيين، مكتبة نفيسة مصر، الفجالة، القاهرة، ط1، 1956م، ص91 - ص92.

³ - Noss, J. B, Man's Religions, London, 1974, p 336.

⁴ - Campbell, op, cit, p189. Noss, op, cit, p 336.

وقد قاد نشوء معابد النار إلى إحداث تغييرات عميقة في الديانة الزرادشتية. فبعد البساطة التي ميزت الممارسات الدينية في السابق انتشرت المعابد الدينية الضخمة، ونشأت طبقة جديدة من الكهنة المتفرغين لطقوس النار، وقد عُرِفَت هذه الطبقة من كهنة النار تاريخياً باسم ماجي Magoi، وبال يونانية Μάγοι وبال عربية "مجوس".

Ghirshman, op cit, p24



ويعد الأستا كتاب الزرادشتية المقدس، ويشمل ألف فصل يضمها واحد وعشرون كتاباً، كل كتاب منها ورقة. ثم ألحق به كتاب الزند أي تفسير الشريعة، ويسمى مجموع الكتابين زند-أستا، كما أضيفت له تعديلات شملت تأليف في

الطب والفلك والفلسفة، بالإضافة إلى تأثيرات فكرية يونانية وهندية، وبذلك غدت الأوستا موسوعة كبيرة لكافة علوم العصر⁽¹⁾.

وتشمل على مجموعة من الأناشيد والأقاصيص والأدعية والوصفات والطفوس الدينية، والتقواعد الخلقية، ولغة الكتاب في بعض مواضعه ذات روعة تثير في النفس النشوة، وفي بعض أقسام الكتاب فقرات من أصل بابلي قديم، كالفقرات التي تصف خلق الدنيا، وتسلسل الناس من أسويين، وإنشاء جنة على ظهر الأرض، وغضب الخالق على خلقه، واعتزامه أن يسلط عليهم طوفاناً يهلكهم جميعاً إلا طائفة منهم. ولكن الصيغة الفارسية العامة دارجة في كثير من شواهد الكتاب.

والفكرة السائدة فيه هي ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع بدوم التي عشر ألف عام بين الإله أهورامزدا والشيطان أهريمان.

فالإله أهورامزدا عند الإبرانيين، هو إله النور والحق والطهر والصحة، وهو السيد الحكيم خالق الكون، بما فيه من مادة وروح. أما أهريمان، فهو روح الشر والظلمة ويمثل الموت والمرض والرهبة والجهل، والليل والجدب والعقم، وكل ما يقع في العالم من مفاسد وأمراض وأوبئة ناتج عن الأرواح الشريرة والشياطين الذي يرأسهم أهريمان، الذي يقوم عرشه في ظلمة العالم السفلي، وعدد هؤلاء الشياطين لا تحابة له، وهم يظهرون في كل صورة من صور الشر، ويتنازعون دائماً مع الكائنات الخيرة التي تلحق بهم المزيمة، ولكنها لا تقضي عليهم قضاءً مبرماً.

وليس العالم بما فيه من خطايا ومتناقضات سوى ميدان صراع بين الخير والشر، ونتيجة الحرب بين أهورامزدا وأهريمان، ولكن سيتم النصر النهائي لأهورامزدا بعد أن يمر العالم بأربعة عهود، يسبقها فيها على التوالي أهورامزدا وأهريمان.

¹ - الملحق (عيد الرحيم): العبادات في الأديان السماوية، دار الأوتار، دمشق، ط1، 2001م، ص46.

يمكن أهورامزدا من حبس أهرمان في الظلمة، ولكنه تخلص بعد ذلك فدخل إلى العالم وأوجد الفوضى، وملاً الحياة والأراضي بالأرواح الشريرة، وأفسد النيران بإضافة الدخان إليها، وسلط على البشر جيشاً من الأوبئة والأمراض، والبرق هو سلاح إله السماء لمحاربة الشياطين، ولذا عدت النار رمزاً للطهارة والحياة.

وطلب زرادشت من الإنسان أن يجعل هدفه في الحياة، مكافحة الأرواح الشريرة بأن لا ينقاد إلى غوايتها، وأن يحافظ على الطهارة والنظافة لئلا يترك سبيلاً إلى تسلطها عليه، ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الإطلاق، فعلى الإنسان قبل كل شيء أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة.

ولم تكن فارس الزرادشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام، بل كانوا ينشؤون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور، أو في قلب المدن، وكانوا يوفدون النار فوقها تكريماً لأهورامزدا. وكان الإيرانيون يعدون النار المقدسة وهي في نظرهم أكثر العناصر طهارة، كنها حياة وحركة تزيل الظلمة وتطرد الشياطين، فضلاً عن أنها رمز إله النور.

وكل أسرة كانت تعمل على أن تظل نار دارها متقدة دائماً، لأن انطفاء النار معناه هوس الأسرة واضمحلالها. وكان ملوك الفرس لا يسبغون إلى حملة أو حرب أو رحلة إلا وتقدم مواكبهم المشاعل المقدسة، ومحارب النار. وكانت بيوت النار المقدسة تشيد على حافة صخرية مرتفعة، يصعد إليها بدرج حجري، ويقوم الكهنة بإيقاد النار داخل البيت أو على سطحه.

وكان الإيرانيون يقدمون إلى الشمس والنار وأهورامزدا القرابين من الخبز والفاكهة والعطور، والضأن والحمل والخليل وذكور الوعول، ولم يكن ينال الآلهة من هذه القرابين إلا رائحتها، أما ما يؤكل منها فكان يبقى للكهنة والمتعبدين، لأن الآلهة ليست في حاجة إلى أكثر من روح الضحية، ويمكن أن يستعوض الفقراء عن القرابين بالأدعية

والصلوات، وكانت وظيفة الكهنة مقتصورة في الدرجة الأولى على حراسة بيوت النار، والسهر على عدم انطفائها، كما كانوا يقومون بالطقوس الدينية بتقديم الضحايا والقربان. وهذه إحدى تراثهم زرادشت الثرنيمة 46 التي يناجي بها ربه فيقول:

(1)

"إلى أي أرض يمكنني الهروب؟ إلى أين تتجه خطواتي؟
وأنا مبعّد عن العائلة المقبلة،
لا أحد قبلاً من القرية التي إليها أنتمي،
ولا من حكام البلد الأشرار،
كيف إذن أيها الرب سأحوز عطفك؟

(2)

إنني أعظم أيها الرب الحكيم، لماذا أنا بلا حول:
قطيعي قليل وليس لي غير بضعة رجال..
إليك أرفع أحزاني التفت إليها أيها الرب.
ولتضمن لي العون الذي يمنحه الصديق إلى صديق،
امتلاكك "العقل الخبير"، كنعليم "الحق".

(3)

متى أيها الحكيم ستظهر مشيئة المتخلصين الآتين..
وإشرافات الأيام عندما..
سيؤيد العالم "الحق" لعلال المحاكمة العظمى؟.

لمن سيأتي العون بواسطة "العقل الخير".
ولي أيها الرب لأنني المختار للوحي من لدناك.

(4)

الشرير ذو الأفعال المخزية البغضة..
يمنع مؤيدي الحق من رعاية القطيع.
في المناطق والبلاد.
إن من يسلبه السيطرة أو الحياة أيها الحكيم.
أيا كان هو الذي سيسير حثيثاً.
على دروب العقيدة.

(5)

وأي إمرئ في يده القوة أو نبالة التكريس..
أو يعيش طبقاً للأحكام التي قدرتها العهود.
عليه أن يقبض على الغريب الآتي إليه.
إن كان بالفعل رجل حق، يمكنه التعرف على الشرير.
إذا ما أعلن ندمه أمام عائلته..
عسى أيها الرب أن تحفظه من إهدار الدم.

(6)

لكن إن لم يلب نداء (التوبة).
فسوف يعود إلى مخلوقات الشر... هذا،
الذي ينظر إليه الرجل الشرير باعتباره الأفضل.

إنه لمن الحق أن يحب الحق...
منذ أن خلقت أيها الرب أول الضمائر.

(7)

من أيها الرب الحكيم سببعت كحما لمن كان منلي،
إذا ما أراد الشرير أن يلحق بي الضرر؟
من؟ غير نارك وعقلك أيها الرب،
الذي متأني أفعاله بالحق الكامل التام.
لقد أعلنت هذا السر إلى مكنون ضميري.

(8)

أيا من كان هذا الذي يسعى إلى إيلاء ممتلكاتي الحية،
عسى ألا يلحق بي ضرر جراء أفعاله..
عسى أن ترتد أعماله عليه بالكراهية أيها الحكيم.
لتأخذه من الحياة الطيبة إلى الحياة الرديئة.

(9)

(مستمع)

من هو الرجل الغيور الذي علمني أولاً
أن أمتلك كأعظم القوى.
كرب عادل مقلس في أفعاله.

(زرادشت)

ما قيل لك قيل لك كحق

وما قيل إلى الحق خالق الماشية.
قد طلب مني بواسطة العفل الخير

أها من كان رجلاً أو امرأة أيها الرب الحكيم
سبمنتني ما تعرفه وهو أفضل ما في هذا العالم..
سبشهد بحازة الحق والسيادة والعفل الخير.
لجميع هؤلاء الذين ساقنهم بعبادتك..
مع كل هؤلاء ساعير البرزخ.

الذين يقدمون التضحيات والأمراء المشعوذون
قد أخضعوا البشر لتبر سيادتهم.
ليدمروا الوجود بواسطة أعمال الشر.
سوف يلقون العذاب بأرواحهم وضمائرهم.
عندما ياتون إلى البرزخ
وإلى الأبد سيتركون في مقر الشر..

من بين من يستحقون المديح أحفاد وملائة.
"قربانا الطوراني"

رجال ولدوا من خلال الحق الذي يؤدي إلى ازدهار.
الأشياء الحية بحماس التقوى،

سيضمهم الرب الحكيم إلى العقل الخير.

وبعضدهم وقت انجازة.

أي امرئ من بين البشر نال رضا "مبتاما زرادشت".

بمساندته فإنه مستحق أن يسمع.

إليه سيعطي الرب الحكيم الوجود.

وسيزيد كعقل خير ممتلكاته الحية.

ولأنه مع الحق سيعتبره صديقك المخلص.

لك وللحق.

(الرب الحكيم)

أيها زرادشت،:

من الرجل الحق الذي يكون صديقك الحميم.

لأجل السر العظيم..

الذي يرغب في سماعه؟

إنه الأمير "فشتاسبا" في لحظة الاختبار الحاسم..

هذا الذي ستجعله معك في مقر واحد..

أيها الرب الحكيم.

لسوف أناديه بكلمات العقل الخير،

لأجلك "سبتاما" سليل "هيكاسبيا".
أعلن أنك ستميز طاهراً من بين المدنسين
بهذه الأفعال التي تتفق مع التعاليم الأولى للغرب..
لقد أمدت نفسك بالحق..

وأنت يا "فراشو شترا أفوجفا" وهؤلاء
الأنصار الذين نود كلانا لهم ما يشتهون
امض قدماً على حيث التقوى متحدة بالحق.
حيث يسكن الرب الحكيم وسط النعيم.

هناك سأعلن فقط فضائلك لا عيوبك..
يا "جامسبا أفوجفا" ..

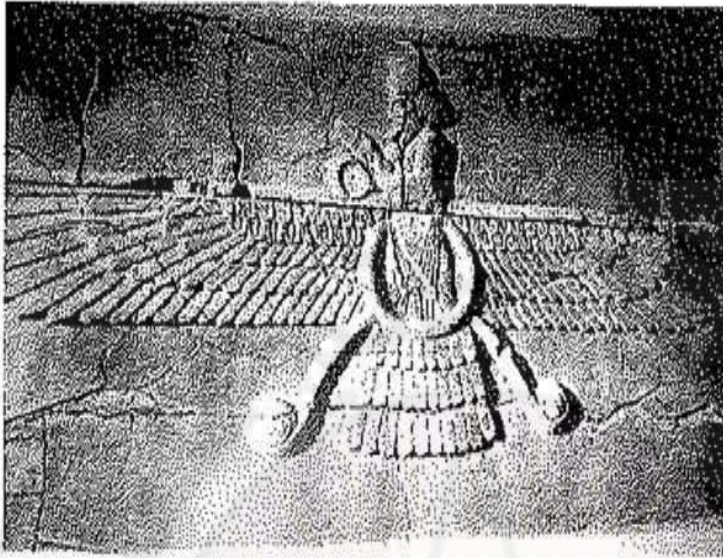
إن صلواتك وطاعتك المتفانية
إلى الرب الحكيم الذي سيفرز..
بواسطة الحق مساعدة الحبيب
الظاهر من الدنس..

ومن كان معي بواسطة العقل الحير..
إليه أقدم الوعد..
الذي اشتاق إليه أنا نفسي كل الاشتياق..

لكن القهر سيكون نصيب الذي يسعى إلى اضطرهاده.
أيها الرب الحكيم.. إني أناضل لأتبي رغبتك من خلال الحق.
هذا هو قراري بإرادتي وعقلي.

وهذا الذي يكون معي الذي مع زرادشت..
طبقاً للحق سوف يعبر
إلى ما هو البعث الأعظم بمشيئة الرب،
وعندما سيكسب الحياة الأبدية ستقدم له كمكافأة..
بقرتين ولودتين وثور وكل ما يشتهي عقله..
هذا ما كشفته لي أيها الرب الحكيم أنت خير من يعلم^١

^١ - عطية (فيليب): تراثيم زرادشت من كتاب الأوستا المقدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص 77-83.



(أ)

– الموت والدفن

بما أن الموت يدل على تغلب الأرواح الشريرة، فإن ملامسة الميت تنافي النظافة وتفسد الطهارة، ولعلا تملوث النار أو الأرض يحظر دفن الأموات أو حرقهم، لذا كان الإيرانيون يتركون موتاهم في مكان مرتفع لتفترسها الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة أو الكلاب، لكن هذه العادة تبدلت في عهد قوروش وداريوش وصار الفرس يدفنون موتاهم.

وكان لديهم تصور بأن أرواح الموتى جميعاً لابد أن تختار طريقاً أو فتحة أو جسراً تصفى فيها، تختارها الأرواح الطيبة، فتصل في جانبها الثاني إلى مسكن البقاء حيث تعيش هناك مع أهولامزدا، سعيده أهد الدهر.

¹ - مورة الآلهة الهورا مزدا، شقوطة في قصر داريوش في بيرسيبوليس، زهشير، المرجع السابق، ص 12.

أما الروح الخبيثة فلا تستطيع أن تختار الطريق أو الجسر، فتسقط في درك الجحيم المظلم حيث تعذب الأرواح المذنبية إلى أبد الآبدين. ولما يقترب العالم من قيامه ويحل يوم الحساب الأخير، تقسم مملكة أهورامزدا، ويهلك أمريمان هو وجميع قوى الشر هلاكاً لا قيام من بعده، ويومئذ تبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة في عالم خال من الشرور والظلام والألام.

والحق إن الإنسان حسب تعاليم زرادشت، ليس مجرد أداة تتحرك بغير إرادتها في هذا العالم، بل كان له إرادة حرة، لأن أهورا مزدا كان يريد لبني الإنسان أن يتمتعوا بكامل حقوقهم على أساس اختيار طريق الثور أو طريق الكذب. وتقول الأفسنة أن على الإنسان واجبات ثلاثة: "أن يجعل العدو صديقاً، وأن يجعل الخبيث طيباً، وأن يجعل الجاهل علماً". وحض دين زرادشت على الثقوى، ثم على الشرف والأمانة وحرم أخذ الربا وجعل الكفر رأس الخطيئة.

لكن دين زرادشت الذي كانت أحكامه الأساسية ترقى إلى تذيب الأخلاق والتمسك بالخير والعمل، لم يكن يتناسب مع عقول العامة الذين لم يفهموا حقيقة المقصود من التنازع بين الخير والشر في الطبيعة. فأخذوا الأشياء على ظاهرها، وصاروا يعبدون قوى الطبيعة المختلفة ذائقاً كأنها مستقلة مثل ميثرا إله الشمس، وأناهيتا إلهة الإنبات والخصب، ونافست هذه الآلهة أهورامزدا ليس في فارس بل انتقل ميثرا إلى جميع أنحاء الدولة الرومانية⁽¹⁾.

— الفن الأحميني

يعتقد الكثير من الباحثين أن الفن الأحميني كان مزيجاً من فنون شعوب مختلفة كانت قد شكلت الدولة الأحمينية العالمية مثل أورارتو، بابل، آشور، ميديا، بل وحتى البلدان البعيدة مثل اليونان وبنيفيا ومصر وغيرها، وهذه الفنون المختلفة امتزجت مع

¹ - للمزيد حول الزرادشتية انظر: بروس، المرجع السابق. زيهنر، المرجع السابق.

الروح الإيرانية اللطيفة والفن القومي وخلقت ظاهرة بلغت من الروعة بحيث أصبحت تليق
بإمبراطورية كبيرة امتدت من شمال أفريقيا وحتى سيبيريا ومن الدانوب حتى الهند. وكانت
الخصوصية المهمة لهذا الفن تتمثل في أنه حافظ أيضاً على حرية عمل الفنانين في البلدان التابعة لها.
وكانت الخصوصية الأخرى للفن الأخميني، أنه لم يكن من عالم الآلهة، أو دنيا الموتى خلافاً لفن الكثير
من الشعوب الأخرى ومنها اليونان ومصر، بل كان يمثل فن الشعوب الحية التي كانت الإمبراطورية
الأخمينية تضمها. وقد كانت هذه الخصائص تربط كجسر بين شرق العالم المتحضر وغربه.
ومن الخصائص المعمارية لهذا العصر تشييد الأبنية على المنصات الحجرية، ويمكن تتبع هذه
الخصوصية من تخت سليمان وحتى تخت جمشيد. وفي بازرگاده التي تعتبر أول عاصمة أخمينية وبنيت
في عصر قوروش الكبير، كما بني قبر لقوروش نفسه بالإضافة إلى عدد من القاعات المعبدة وعدد من
القصور الكبيرة والصغيرة ومن الآثار المنبثقة من الأبنية الدينية بعض بيوت النار، وقبر قوروش الذي بني
على منصة من ست طبقات على شكل غرفة، منفردة ذات غطاء يشبه الإيوان أو التابوت، وقد بنيت
كلها بالواح حجرية كبيرة تشبه الرخام، إلا أن هذا البناء الذي يبلغ مجموع ارتفاعه 11 متراً يعد
بداية رائعة للعمارة الأخمينية.

وفي عهد الإمبراطورية الأخمينية، عمل الملوك على حشد الفنانين والمعماريين والنحاتين من
ولايات الإمبراطورية المختلفة، التي كانت تحت الحكم الفارسي، واستفادوا منهم في بناء وتزيين
قصورهم، معتقدين بأن هذه العناصر الفنية المختلفة سوف تحقق لهم العالمية، وتوحد جهود العالم
للمتمدن الموحد وإمكاناته، ويؤيد ذلك ما وجد في أثر عمراني هو قصر الأبادانا الذي شيد في عهد
داريوش في مدينة سوسه، فيذكر نقش تذكاري يعود إلى أيام داريوش فيه وصف لقصر سوسه هذا.

"جلب خشب الأرز من جبل بدعي لبنان، نقله الآشوريون إلى بابل، الكاريون والآيونيون " الإغريق" نقلوه من بابل إلى سوسة، خشب باكيا جلب من قندهار وكرمان، وجلب الذهب الذي استخدم هنا من سرديس وبكتريا، ومن بلاد الصغد جلبت الحجارة وأني باللازورد والعقيق، وحيء بالفيروز من خوارزم، وبالفضة وخشب الأبنوس من مصر. والتزيينات التي زُينت بها الجدران جلبت من أيونية، أما العاج فقد حُمل من أثيوبية والسند وأرخوزيا، ونقلت الأعمدة الحجرية التي رفعت هنا من أبرادو في عيلام. وكان النحاتون الذين نحتوا الحجارة أيونيين وسارديين من سرديس، أما الجواهر جيون والصباغ فكانوا من الميديين والمصريين، وكان صناع الحجر من بابل، أما مزخرفو الجدران فكانوا من الميديين والمصريين"¹.

واهتم الفرس بالزخرفة التي تشكل العنصر المميز للفن الإيراني في العصر الأخميني والعصور التالية له، بالإضافة إلى فن النحت ونماثيل الأشخاص، والتي تدل على العظمة والقوة.

- العمارة الفارسية:

يمكن القول، إن الفرس اهتموا بالعمارة المدنية كالقصور والأبنية على حساب العمارة الدينية؛ لأن الفرس لم يهتموا بإقامة منشآت دينية كبرى، ونعد القصور الملكية التي شيدت في برسبوليس وسوسة وبازركاده، من أهم النماذج التي روعيت فيها عند بنائها، الاعتبارات التالية:

"لها بنيت على مرتفع أو مصطبة اصطناعية.

¹ - R. G. Kent, Old Persian, New Haven Ier, ed, 1650, 2nd 1953, p143-144.

فرزات، المرجع السابق، 103-104.

- بنيت جدرانها من الطوب، وفي أحيان كثيرة كانت بشكل ألواح منحوتة من الحجر أو الطوب الملون.

- ظهرت البوابات التي تجميعها أشكال كبيرة من الثيران ذات الرؤوس الآدمية.

- ظهر الإله أهورامزدا، كما ظهر آشور سابقاً، في رسم له ذقن في قرص مجنح.

- مدخل القصور كانت مزينة بحليات فرعونية، كما دخلت زهرة اللوتس في التزيين، وربما كان بتأثير الفنانين المصريين.

- ظهرت الأعمدة بقواعدها الأيونية وتيجانها المزنجة، ويعزى وجود الأعمدة بكثرة في العمارة الفارسية، إلى تأثير العمال والفنانين الإغريق واليونانيين من حوض بحر إيجه، حيث جلبت اليد العاملة من هناك.

ويرى بعض الباحثين أن القصور الأخمينية، اتبعت وتأثرت في تخطيطها وبنائها بالعمارة الرافدية الآشورية، ويؤيد ذلك ما كتبه داريوش على أحد الأبنية في سوسه. "إن الإله العظيم أهورامزدا الذي خلق هذه الأرض والذي جعل من داريوش ملكاً واحداً للجميع سيداً واحداً، أنا داريوش الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلاد، ملك هذه الأرض، وكل ما فعلته كان يوحى أهورامزدا. إن قصر سوسه الذي بنيته، وإن زعفرته جاءت من بعيد، وإن شعب بابل هو الذي أقام الأساس..."¹.

هذا هو الإنجاز الذي حققه داريوش خلال حكمه، الاعتراف بأن كل ما فعله، كان بإرادة أهورامزدا إله زرادشت، وبغض الوقت يذكر للشعوب الأخرى دورها في فن العمارة الفارسي، الذي كان مزيجاً يعبر عن التناغم وتلاقح الثقافات والفنون بين الشعوب التي شكلت الإمبراطورية الفارسية.

¹ - للمزيد انظر: عارف (عائدة سليمان): مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972، ص 99.

- النحت والتزيين

اعتنى الفرس بالنحت وتزيين قصورهم وقبورهم، فالأبواب والحدائق المبنية من الحجر الكلسي، كانت مزودة بالنقوش البارزة البديعة، وبعضها يمثل الملك في حالة صراعه مع الوحوش الضارية، أو ثقله فوق عرشه وبين يديه الأسرى، فضلاً عن الثيوان الضخمة المنحثة ذات الوجوه البشرية التي تزين مدخل الأبواب، وفي كل ذلك يتضح تأثير بابل وآشور سواء في اختيار المواضيع أو في معالجتها، ويظهر الرمز الديني الوحيد في النحت الفارسي الإله أهورامزدا، في شكل قرص الشمس أو إطار منحن، يشبه تماماً الإله آشور.

ويبدو الرمز الإلهي فوق رأس الملك، كما هي الحال في نينوى وبرسيبوليس أضف إلى ذلك، أن الفرس أخذوا عن الآشوريين تكوين الحجر ومطايه بالمينا، وأضافوا إليه النقوش البارزة فوقه. ولعل أجمل وأبدع آثار هذه النقوش الملونة على الحجر هما الطنقان اللذان وجدنا في سوسة ونقلنا إلى متحف اللوفر، ويمثل أحدهما أسوداً والآخر رماة من الجيش الفارسي.

كما عثر المنقبون في سوسة على "نقش الرماة" ولعلهم "الخالدون" الأمناء حراس الملك. ويبدو لناظر حسب ما يقول ول ديورانت: أن هؤلاء الرماة ذوي الطلعة المهيبة، قد تزينوا لحضور حفلة في القصر، وليسوا خارجين لقتال أو حرب، فجلايبهم ذات ألوان زاهية، وشعورهم ولحاهم مجعدة، وهم يسكنون بأيديهم في قوة وتكبر رماحهم، رمز مناصبهم الرسمية.

ولم تكن فنون النحت والتزيين والتصوير في فارس مستقلة، بل كانت تابعة لفن العمارة، وكذلك كانت الكثرة الغالبة من التماثيل من صنع فنانين جيء بهم من آشور وبابل وبلاد اليونان.

ومن الفنون الأخرى عند الفرس، النقوش على النقود، وعلى الأولي الفضية والذهبية، مثل الأقداح والكؤوس والسروج المرصعة، بالإضافة إلى أدوات الزينة، لأن اقتنائها كان محبباً لدى الفرس. كما اهتم الفرس بالجواهر من تيجان وأقراط وخلائع، وأحجار كريمة، وحتى الرجال أنفسهم كانوا يباهون بحليهم يزينون بها أعناقهم وأذانهم وأذرعهم، ما تبقى من هذه الجواهر والأدوات المرصعة، يدل على براعة الصاغة الماهرين في العصر الأحميني.

وكانت المنسوجات اليدوية والسجاد والبسط في إيران في العصر الأحميني تتمتع بشهرة عالمية، ويوجد ذلك اكتشاف قطع من البسط وأقدم سجادة يدوية ذات عقد وهُدب على أثر التنقيبات الأثرية في قبور بازيريك الجمدة في منطقة الطاي، وتبلغ مساحة هذه السجادة 183×200 سنتيمتراً وتتميز بتصميم جميل ونقوش ونجوم رباعية، ويتم الاحتفاظ بها في متحف الأرميتاج في سان بطرسبورغ^(١).

^١ - سمسار (محمد حسن): إيران، الموسوعة الإسلامية الكبرى، المشراف العام: السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، 1989، الجزء 10، ص 630 - 628.

- الفصل الرابع

- مرحلة الحكم المقدوني "اليوناني".

- الفرثيون.

- الحضارة الفرثية.

- الحياة السياسية الاجتماعية.

- الطبقات الاجتماعية.

- الملوك.

- ولي العهد.

- دور الملكة.

- النبلاء.

- الفلاحون والعبيد.

- الفلاحون.

- العبيد.

- الجيش.

- الجيش الفرثي.

- الفن الفرثي.

- الحياة الاقتصادية.

- الزراعة.

- الري.

- أشكال الزراعة وأنواعها.

- الضرائب.
- تربية الحيوان.
- الحرف.
- أهم الحرف .
- المنحار .
- سلك النقود .
- الأسلحة.
- الأواني المقلية.
- أدوات الزينة.
- حرفة الزجاج .
- النجارة .
- مواد التجارة.
- العلاقات التجارية للفرثيين.
- مع الصين.
- مع الرومان.
- طرق التجارة.
- طريق التجارة البري (طريق الحرير).
- طريق التجارة البحري (طريق التوابل).

- مرحلة الحكم المقدوني "اليوناني".

كان الإسكندر المقدوني قد وُثِرَ عن أبيه فيليب الثاني ملكة مقدونية، ورغبته في توحيد بلاد اليونان وقيادتها في حرب قومية ضد الفرس، وقد أتم الإسكندر مهمة استعادة وحدة بلاد اليونان بعد ثورتها في وجهه غضب مقتل والده، وتحرك في ربيع عام "334 ق.م" باتجاه آسيا الصغرى على رأس جيش لا يزيد عن خمسة وثلاثين ألفاً، لكنه مجهز ومدرب كأحسن ما نكون جيوش ذلك العصر، وحقق الإسكندر نصره الأول في معركة جرانيكوس Granikos قرب الدردنيل، حيث التقى الإسكندر على ضفة نهر جرانيكوس جيشاً فارسياً يضم أغلب ولايات آسيا الصغرى مثل فروجيه ولودية، وأيونية، وكبادوكية، بقيادة ممنون الرودوسي، وبعد هزيمتهم أخضع الإسكندر أغلب مدن آسيا الصغرى، ثم تقدم إلى شمالي سورية لمواجهة داريوش الثالث⁽¹⁾ نفسه في موقعة أيسوس "Issos" 333 ق.م، وفيها حقق الإسكندر نصره الثاني، واحتل سورية ثم مصر التي غادرها باتجاه شمال العراق حيث كان الملك الفارسي قد حشد جيوشه بالقرب من أربيل، وفي هذه الموقعة التي عُرفت باسم "جناز جيل" وفيها سحق الإسكندر الجيش الفارسي سنة 331 ق.م، وفر داريوش الثالث باتجاه الشرق، وفي زمن قليل سقطت بابل والعواصم الفارسية سومه وبرسبوليس، وبازرغاده.

وفام الإسكندر بعد ذلك بنعقب آثار الملك الفارسي الفار، ومشى نحو أكبتانا "همدان"، ولكن أحد الضباط الفرس قتل الملك الفارسي داريوش لإنهاء هذه الحرب.

¹ - بلغت بعض الروايات القديمة كمادتها في تعداد جيش داريوش حيث وصلت إلى رقم 100,000 مقاتل، وهو رقم نقده المؤرخون المعاصرون على أساس أن هذا الجيش نفسه لم يكن من القرار عم جبال الأمانوس في ليلة واحدة... ومع ذلك يعتقد أن الجيش الفارسي كان أكثر عدداً من جيش الإسكندر ولكن ليس بكثير. انظر: العابد (مفيد): سورية في عصر السلوقيين، دار شمال، دمشق، 1993م، ص 23، هامش رقم 1.

فأعلن الإسكندر نفسه ملكاً على الفرس، وأخذ يكتسب عطفهم ومحبتهم، بمعاملته الحسنة، وتزوج أميرة فارسية، وأدخل الفرس في جيشه، وقد أثرت عليه عادات الفرس وأخلاقهم فأصبح متكبراً واستسلم إلى الخمر والشهوات.

وهكذا سعى الإسكندر إلى تأسيس إمبراطورية كبرى وجمع في كيان سياسي واحد كل الشعوب التي أخضعها، فقد احتفظ بالتنظيمات الفارسية السابقة فوضع إلى جانب الحاكم "المرزبان"، قائداً يساعده أو مراقباً مالياً، وأبقى الإسكندر كثيراً من الأمراء الوطنيين في مقاطعاتهم شريطة أن يدفعوا الجزية، كما أنه أبقى على النظام المالي المتبع عند الفرس، غير أنه وزع كثيراً من الأراضي على أصدقائه وأعوانه، وقد أشرك الإسكندر الفرس في الإدارة والجيش، وشجع الزواج بين اليونانيين والفرس، وقد أدت هذه السياسة إلى التقارب بين الإغريق والفرس، واستوطن كثير من اليونانيين البلاد الفارسية، وأدى هذا التمازج بين ثقافة وحضارة الشرق مع ثقافة وحضارة الإغريق إلى قيام حضارة جديدة هي الحضارة الهلنستية⁽¹⁾.

وبعد وفاة الإسكندر المفاجئة عام 323 ق.م وهو في الثالثة والثلاثين من عمره اشتد الصراع بين قادته حول من يخلف الإسكندر، وانتهى هذا الصراع إلى انقسام الإمبراطورية إلى ثلاث ممالك:

- المملكة المقدونية في بلاد اليونان وبحكمها أنتيغونوس.
- المملكة البطلمية في مصر وبحكمها بطليموس.
- المملكة السلوقية في آسيا الصغرى وسورية والحضبة الإيرانية وبحكمها سلوقس.

¹ - للمزيد عن الإسكندر وحملته نحو الشرق انظر: سارة (تحليل): تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، دمشق،

2008م، ص 43 وما بعد. العابد، سورية في عصر السلوقيين، ص 17 وما بعد.

لقد ورث السلوقيون أكبر أقسام إمبراطورية الإسكندر، وتشمل كل إمبراطورية الفرس القديمة، وقد قضى الملوك السلوقيون حياتهم في التنقل من مكان إلى آخر لأجل توطيد الأمن في هذه الإمبراطورية الواسعة، كما سعى هؤلاء الملوك إلى نشر الحضارة الإغريقية، في ربوع هذه الإمبراطورية، عن طريق إنشاء العديد من المدن لتكون مراكز إشعاع لهذه الحضارة.

وبالرغم من كل الجهود التي بذلوها، لم يتمكنوا أن يحافظوا على دولتهم، فقد انفرط عقدتها سريعاً، ففي آسيا الوسطى تشكلت دولة "هيلينية - إيرانية" في باكثرية امتدت حتى شمال الهند، وفي شرق إيران بدأ الفريوني بالاستقلال كمملكة منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وهكذا تقلصت حدود الدولة السلوقية.



٢- الفرثيون:

لا يعرف على وجه التحديق أصل الفرثيين الأوائل، وتشير أرباؤهم وعاداتهم وبقايا لغتهم إلى أنهم كانوا من القبائل الهندية " الهندو - أوربية"، وأنهم ينتمون إلى القبيلة المسماة باري أو برني، وهؤلاء بدو من مجموعة قبائل إسكينية واسعة اسمها داهي، Dahae، كانت تعيش في السهوب الواقعة بين بحر قزوين وبحر آرال، واشتهرت بالفرسية والحرب.

وبعد أقدم ذكر لهم إلى القرن السابع قبل الميلاد، حيث ذكرت الحوليات الآشورية إرسال حملة توغلت إلى الجنوب من بحر قزوين، حيث عادت بالأسرى من بلاد تسمى برنوكا، وهذا هو إنانيم بارثوا أو فرثيا، الذي نسب الفرثيون إليه، حيث انتشروا في منطقة حراسان المجاورة لبلادهم، وبالإضافة إلى ذلك ورد اسم بلادهم في نقوش الملك داريوش باسم بارثافا Parthava أو بارثوا Porthwa كمقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية الأخمينية⁽¹⁾.

وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تمكن الفرثيون من التخلص من السيطرة الساقية، وأنشأوا حكماً محلياً بزعماء أرشاك، زعيم إحدى قبائلهم، الذي أسس سلالة ملكية حاكمة عرفت باسم الإرساكية، حكمت إيران ما يقرب من خمسة قرون " 249 ق.م حتى 224م".

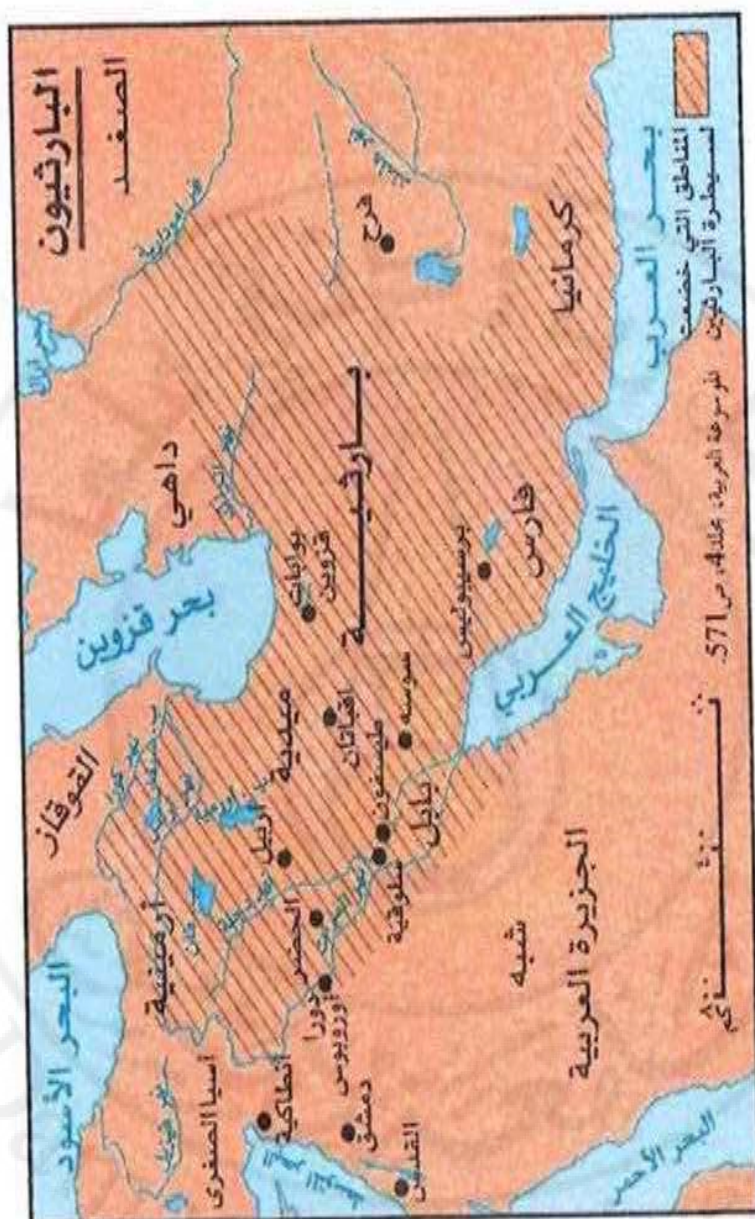
وفي عهد خلفائه استمر الصراع مع السلوقيين سجالاً بين الطرفين، وبلغت المملكة أقصى اتساعها منذ سيطر الفرثيون على كل الولايات الغربية من إيران حتى وصلوا لحد الفرات، كما امتد نفوذهم إلى أرمينية شمالاً ونقل الفرثيون عاصمتهم من

¹ - للمزيد عن الفرثيين، انظر: العلان (أرود): المملكة الفرثية (الإيرانية) منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، دمشق، 2008م، ص 24-25 وما بعدها.

هيكاتيوم بوليس في الشرق إلى أكينا " همدان"، وبعدها أسسوا مدينة طيسفون الشهيرة على دجلة. وتمثل لنا هذه العواصم مراحل توسع الفرتيين إلى الغرب، وأصبحت هذه المملكة في اتساعها وقوتها مرهوبة، لا تعاد لها بين دول العالم إلا روما في غرب المتوسط، وتمكن الفرتيون من السيطرة على الطريق النجارية العظمى عبر قارة آسيا من الصين والهند إلى البحر المتوسط، وهي الطريق التي اشتهرت بطريق الحرير أو طريق تجارة التوابل البرية. وبعد سيطرة روما على حوض المتوسط، انقسم المشرق القديم بين القوتين المسيطرتين على المنطقة، روما من جهة، وفرتيا من جهة أخرى، اللتين تواجعتا على امتداد جبهة طويلة كان الفرات واجهتها الاستراتيجية.

وشهد القرن الأول والثاني الميلادي صراعاً عنيفاً بين الفرتيين والرومان، ولم تستطع الحملات الرومانية التي قادها الأباطرة مثل " تراخان وسيفيريوس" عبر الفرات ومناطق الجزيرة الفراتية وأرمينية أن تغير من ميزان القوى بين الدولتين على هذه الجبهة، رغم بعض النجاحات المحدودة، لأن الفرتيين تمكنوا قوفاً عسكرياً كبيرة تجلّت في جيوشهم الضخمة التي كانت تضم فرقاً وكتائب من رماة السهام ومن الفرسان الخفاف والثقالب المدرعين بالزرد والحديد.

وهكذا فشل الرومان بعد محاولات دامت قرابة قرنين ونصف في جعل إيران تابعة لهم، ولا يمكن تجاهل أثر هذه الحروب على المملكة الفرتية، حيث كانت من العوامل التي أدت إلى سقوطها. واعتبراً يمكننا القول: إن المشكلة الفرتية شغلت دوراً مهماً في التطور التاريخي والحضاري للهضبة الإيرانية، فأسهمت في الحفاظ على الشخصية الحضارية للمنطقة، وحدثت من مساعي الرومان في السيطرة عليها، وتليها بطابع حضارهم، كما أسهمت في التطور اللاحق لإيران الذي حدث خلال حكم الأسرة الساسانية.



الحياة السياسية والاجتماعية

أولاً — البنية الاجتماعية:

تألف المجتمع الفرثي من الأريين، وبي على أساس اقتصادي رعوي من الوحدات التالية:

- 1- ثمان أو دمان، وهي أسر أو قبائل، وتعد أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع الفرثي، وتشكل إما من عائلة واحدة مع فروعها المنتشرة على مكان واحد، أو من عدة عائلات منتشرة على مكان واحد. وهذا يدل على أن تشكل الثمان لا يقتصر على رابطة محددة تربط بين الأفراد الذين يكونونها كرابطة الدم مثلاً؛ إذ من الممكن أن تتكون الثمان من عدة عائلات، ولكن الشرط هو المكان، فإسماً كانت العناصر التي تعيش على مكان واحد تتحد فيما بينها وتشكل الوحدة الاجتماعية.
- 2- ويس: وتتكون من عدة فروع وعائلات، (ثمان أو دمان)، وكل ويس مستقلة تماماً ويمكن أن يعبر عنها باسم القرية.
- 3- زنتو: وتتكون من مجموعة من الويس، والزنتو كوحدة اجتماعية أكبر من الويس، ويمكن أن يعبر عنها بأنها المدينة.
- 4- دهيو: وتتكون من اثنين أو ثلاث من الزنتو، وهي أكبر وحدة اجتماعية في العهد الفرثي، وكانت مستقلة في مختلف أمورها، والزنتو عادة تتبع لها، ويمكن أن تعد الدهيو مقاطعسة أو ولاية بارثية؛ لأن تسيطر الدهيو على الأخرى كان يأخذ شكل الحروب والزيارات، أو شكل الطرق السياسية السلمية.

تبرهن الذهبو أن الفرثيين شكلوا دويلات كثيرة، إن جاز اعتبار كل ولاية دويلة مستقلة تتبع اسماً ملك الملوك، فليس هناك أية قرية أو مدينة تهاجم مدينة أخرى، كما أن من يهاجم الآخر يجب أن يكون لديه جيش وحكومة ورئيس دولة، ولهذا يمكن أن نعد الذهبو ولاية، ومن مجموع الذهبو تشكلت المملكة الفرثية؛ ولأن كل حاكم للذهبو سُمي نفسه ملكاً لذلك وجب على ملك جميع الذهبو أن يسمى نفسه ملك الملوك⁽¹⁾. وكان للعائلات السبع الفرثية دور كبير في هذه المرحلة من التاريخ حيث شكلت كل واحدة من هؤلاء أمة تحيط بها كالأمة الملوك، وإن تسمية ملوك التي أطلقت عليهم لم تأت من فراغ لأن هؤلاء كانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به الملك، من قوة وجيش وأموال.

يعتقد أن هذه الأمة التي أحاطت هؤلاء وتشكلت الدويلات الخاصة بهم، كانت الدافع للمؤرخين العرب الذين أطلقوا اسم ملوك الطوائف على هذه المرحلة من تاريخ الحضبة الإيرانية، ولعلهم قصدوا بملك الطائفة حاكم المقاطعة المستقلة في إدارة شؤونها، والناطقة الملك الملوك الفرثي.

ورثت هذه الأسر السبع ملكية الأراضي الواسعة، وامتلاك القوة النظامية، أو الجيش، ومن المرجح أن حكام المقاطعات امتلكوا نفوذ العائلات السبع أيضاً، وكان لكل الطرفين دور مهم في انتخاب ملك الملوك⁽²⁾.

ولم يحافظ هؤلاء الولاة "الملوك" على ولائهم الدائم للملك، فكمثالاً ما شاركوا في خلع الملك عندما رفضوا سياسته، وحكمه للبلاد، ومن هؤلاء قادة الجيش في الري، وجرخان وميستان.

¹ - رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 652، شعباني، المرجع السابق، ص 101-102.

² - رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 652.

وجرت عادة الملوك للحفاظ على هدوء أتباعهم، والتخلص من الفوضى والاضطرابات التي قد يثيرونها، أن يأخذ الملك أبناءهم الذكور (أبناء العائلات المالكة والنبلاء وحكام الولايات) كرهائن لضمان ولاء آبائهم، حتى لا يشكّلوا خطراً على العرش الملكي، وكان ذلك إجراءً وقائياً لعلاج الحوادث قبل وقوعها. وعلى الرغم من ذلك، قامت مجموعة من التمردات ساعدت عليها سعة المملكة الفرثية ونراحي أطرافها، وفقدانها للمركزية التي تجعل منها وحدة سياسية متماسكة⁽¹⁾.

وبالتنقل إلى حياة الملوك التابعين للملك، فقد كان هؤلاء نماذج مصغرة عن الملك، فامتلكوا كل عناصر القوة والامتيازات الخاصة، كالمرافقة والخدم والجيش الخاص⁽²⁾. وغير مثال على ذلك سورينا الذي لا يعد شخصاً عادياً؛ فهو الرجل الثاني في المملكة، وكان لديه ألف جمل لحمل متاعه، ومثا عربية لخطباته، وألف رجل خراسته، كما كان لديه على الأقل عشرة آلاف خيال، بالإضافة إلى خدمه وحاشيته. وهو من حارب كراسوس وأعاد الشرف للعائلة المالكة⁽³⁾. وكان منصب حكام الولايات أعلى منصب في المملكة الفرثية بعد الملك، وذلك لتمتع هؤلاء بحرية كاملة في إدارة ولاياتهم. وكان الفرثيون ذوي طبع محسن، ومستعدين دائماً لأي عمل في البلاد أو خارج نطاقها، ومن طباعهم أهم قليلو الكلام، وبالتالي يغطي الصمت لبحاثاتهم، وكذلك

⁽¹⁾ Rawlinson, op, cit, Volume III, p122..

⁽²⁾ - شعباني، المرجع السابق، ص 81-104.

Wolski, J, L'aristocratie fonciere et l'organisation de l'armee parthe, Klio 63, 1981, pp56-60.

⁽³⁾ Rawlinson, op, cit, Volume III, pp99-101..

إخفافاتهم، وما امتازوا به أيضاً طاعة أمرائهم، ليس بسبب التواضع بل بسبب الخوف⁽¹⁾.
ويتربع على قمة الهرم الاجتماعي قبيلة الفرثيين، ولا يحق لأحد من غير أبنائها أن يعتلي عرش
المملكة الفرثية، وكذلك أخذ أبناء هذه القبيلة عروش الممالك التابعة والمخاضعة. وكانت هناك مرتبة
دقيقة لعرش المنطقة حسب أهميتها. كما كانت سلطة الملك المطلقة نظرياً مفيدة عملياً بطائفة من
الوجهات والقبود التقليدية⁽²⁾.

تأتي بعد قبيلة الفرثيين، قبيلة الغزاة الأبارنة، المنتمين لقبيلة باري، أي إما جزء من القبيلة التي
يتسمى إليها الفرثيون، وهم الموصوفون بالفروسية، وهذه بدورها تقسم إلى قسمين الأول يضم الوجهاء
والعسكريين، من أبناء شيوخ العشائر وأفعاذ الأبارنة، وتحتكر هذه الفئة السلطة السياسية والعسكرية
في المملكة، ويقر ذلك القانون أو على الأقل الأعراف الشائعة لديهم؛ ويشمل الثاني بقية أفراد القبيلة.
ويشكل الوجهاء نواة الجيش في المملكة الفرثية، فهم الفرسان حملة السلاح الثقيل، وكان
أساس منطقتهم وأهميتهم، بالإضافة إلى دورهم العسكري، امتلاكهم للمساحات الواسعة من
الأراضي، ومن بينهم برزت العائلات السبع الكبيرة، ولا تختلف سلطتهم في تلك الأراضي عن سلطة
الملوك.

بالإضافة لذلك فقد تمتع هؤلاء الوجهاء بسلطة كبيرة على أبناء عشائرتهم، وعامة أبناء أفعاذ
الأبارنة، ومن هنا جاء الاعتقاد أن الأحرار قليلون والعبيد كثير، ذلك

¹ - Justin, Op,cit, Book, XLI

² - بونفارد - ليفين: المرجع السابق، ص 423. فدياني (عراس): تاريخ فرهنگ وتمدن ایران، در دوره سلوکیان
و اشکانیان، انتشارات فرهنگ مکتوب، کتابخانه ملی ایران، تهران، چاپ اول، 1383، ص 168-169.

أن الوجهاء فقط عدوا من وجهة نظر المؤرخين اليونان خاصة أحراراً، أما البقية فهم عبيد. إن هذه الحالة المزدوجة تعكس خاصية المجتمع القرني، بوصفه مجتمعاً تركت الغسرات أثراً شديداً في بنيتة الاجتماعية، فالخيانة الذين هم من الغزاة يحتلّون عن السواد الأعظم للشعب المحلي المغلوب، وفي الوقت نفسه يتبع هؤلاء إلى الوجهاء، فهم يوضعهم هذا يمثلون الفئة المهمة، ومن هنا شغلوا دوراً كبيراً في جيش الدولة، حيث شكلوا أغلبية، أي جمهور الخيانة الخفيفة ورماة السهام. وكانت بقية أفراد الشعب منظمين في طوائف ويتمتعون بحقوق خاصة، ويديرون شؤونهم الاقتصادية، ومن المحتمل أنهم سموا عبيداً نظراً لخصومتهم للبارثيين، حسب التصور المتأخر للعالم القديم القائل إن أموال وحياة المغلوب تعود بالكامل للغالب.

ثانياً: الطبقات الاجتماعية:

قام المجتمع القرني بمجموعه على أسس فئوي، وشكل القاعدة الأساسية لطبقة الأحرار الملوك المحليون، والنبلاء، والفرسان وعائلاتهم. ووُجد في المدن فروع صغيرة للنبلاء، والتجار، وفروع واسعة وكثيرة لذوي المهن، أما المقاطعات والقرى المرتبطة بالأرض فقد عمل فيها الفلاحون وحكمت مسن قبل الممالك، وكذلك وُجد العبيد، فمن هم هؤلاء العبيد؟ ومن أين جاؤوا ما داموا ليسوا من الشعب الأصلي للمملكة؟¹

لقد نظر القرثيون إلى الشعوب المغلوبة على أنها عبيد²، ومن هنا وجد هذا العدد الضخم للعبيد في المملكة القرثية، وهم في الحقيقة ليسوا إلا الأحرار الذين احتل القرثيون بلادهم. وهذا يعلل أيضاً سبب تمنع العبيد بمكانة جيدة في المملكة القرثية.

¹ - موسوعة المعرفة الإيرانية، القسم القديم، كلية الحقوق، مرتبطة بمؤسسة وبستا اراء، ص 210.

وسيطر الفرثيون على مناطق واسعة في الغرب حيث كان يعيش فيها الآراميون الذين يعودون إلى أصول عربية سامية، على ضفاف الأنهار إلى جانب البابليين وانتشروا غرباً في البادية السورية حيث أماكن العرب الذين سيطروا على مناطق العيور من غرب الفرات إلى شرقه.

أما اليونانيون فقد غلبت أماكن سكنتهم في مدن مستعمراتهم التي بدأت بالظهور في المنطقة منذ غزوات الإسكندر، وكان هذه المدن في بداية العهد الفرثي أهميتها، حتى أُشير إلى سكاتها على أنهم فئة من سكان المجتمع الفرثي⁽¹⁾. ولم يتعرض الفرثيون لهم بل عملوا على كسب صداقتهم، ومن هنا لقب بعض ملوك الفرثيين بأنهم أصدقاء اليونان، فهذا ميثراداتيس الثاني، يحمل لقب صديق اليونان "Phil-Hellene" وينقشه على عملته⁽²⁾.

يبدو أن الفرثيين سعوا بكل جهودهم للعمل على التوفيق بين العناصر التي شكلها مجتمعهم، وعملوا على توفير كل احتياجاتهم، وإلا لماذا يقيم هؤلاء في مجتمع لا يوفر لهم أسباب الراحة، والتعاون؟ أو في مجتمع يضطهدهم، وهناك من يوفر لهم الراحة والأمان كالإمبراطورية الرومانية مثلاً؟ إن الحياة الاجتماعية معقدة جداً، ولا بد من الخوض في تفاصيلها، لأجل توضيحها.

¹ - Sellwood, David, Parthian Coins, in Yarshater, E. (ed.) The Cambridge History of Iran, The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge, 1983, Vol 3, pp282-292.

² ... فدياق، المرجع السابق، ص 175.

Ghirshman, op, cit, p246, Rawlinson, op, cit, Volume III, p59. Sellwood, op, cit, Vol 3, pp 282-292.

- الملك

يشغل الملك المركز الأول في المجتمع، ويتمتع بقدسية كبيرة، ويكرم بتعظيم اسمه بعد الموت، ويعد تقديس واحترام شخصية الملك إشارة من إشارات احترامه، وهذا بدوره احترام للفهم والمبادئ الأخلاقية الاجتماعية الأرية. وتغيرت مكانة الملك في نظر الأتباع والموالين له، نتيجة للتأثر بالاجتماعات المختلفة، فعند تسميم الملك واحدة من الظواهر المنتشرة في العصر الفرثي، وخاصة بعد الحروب مع الرومان، ودخول الجوارح الرومانيات للبلاد الفرثي، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما فعلته الجارية الرومية موزا Musa؛ حيث قتلت الملك فراتيس الرابع بالسهم، ليصبح ابنها ملك الملوك.

وتمتع الملك بسلطات كبيرة فهو يستطيع محاكمة أي شخص في مملكته، ولا يستطيع أحد أن يسأل الملك، عن ذلك حتى في المجالس المختصة كمجلس مغستان مثلاً، ومثال ذلك ما فعله فراتيس الرابع حيث قتل نحو ثلاثين من أخوته مستفيداً من قوته كمملك. ومن بين المهام الكثيرة للملك جلوسه للقضاء، كما كان للملك عيون وأذان منتشرة في كل أرجاء البلاد مهمتهم إرسال الأخبار للملك.

وكان لباس الملك ثميناً وجميلاً، ويصل أحياناً إلى أطراف الركبة، وعادة يلبس الملك عباءة طويلة، وتصل هذه العباءة إلى أسفل القدم، وكانت تغطي وتلف كامل الجسد، ويلبس الملك تحتها ستره وسروالاً من الحرير أو الصوف، أما رأس الملك فقد إزدان بإكليل يغطي كامل الرأس في أغلب الأحيان، كما يلبس تاجاً مرصعاً باللاقي والجواهرات، وأحياناً يضع الملك على رأسه خوذة، كما يزين رقبته باشين أو بثلاثة سلاسل من العقود، ولم يكتف الملك بكل هذا بل وصلت الرتبة إلى أذنيه بحيث زينها بالأقراط، ومما تجدر الإشارة إليه أن العباة لم تكن من سمات العصر الفرثي، فقد

ارتداها الميديون من قبل، كما أن الخوذة كانت نتيجة تأثير قبائل السكيت في المجتمع الفرثي، وليست من مبتكراته⁽¹⁾.

وسكن الملك في قصر قسمت غرفه إلى قسمين الأول للرجال والثاني للنساء، وكانت أروقته محمولة على أعمدة مزدانة أجزاء منها بالفضة، والأجزاء الأخرى بالأقمشة المطرزة بالذهب، وبعض الأجزاء وُضعت بالذهب الخالص، بالإضافة إلى ذلك ازدانت الجدران بالصور. وحملت تلك الموضوعات نماذج لانتصارات الملوك الأخمينيين على اليونان، وصور الطبيعة والأثمار والأشجار. إن هذه الموضوعات تمثل قدرة الحضارة الفرثية على استيعاب القديم والجديد من حولها، فتأثرت باليونان واستفادت منهم، كما أنها بينت اهتمام الفرثيين بالطبيعة، وتعلقهم بها.

وبالانتقال إلى ألقاب الملك فقد لقب الملك في بداية المملكة الفرثية بالملك الفرثي، ثم نعت بالملك الكبير، وفي عهد ميرداداتيس الأول تبدل اللقب إلى ملك الملوك، حيث نقش اللقب الجديد على المسكوكات الفرثية، بعد أن كان مقتصرًا على الملوك الأخمينيين، أما ملوك آشور ومساء والملوك اليونانيون، فلم تكن هذه الصفة من صفاتهم⁽²⁾.

وبالإضافة إلى ذلك لقب الملوك الفرثيون بألقاب أخرى مثل ملك الآريين، وأعو الشمس والقمر، كما وجد لقب الخالق أو الرب، ومن الألقاب الأخرى التي وصف بها الملوك الفرثيون، العادل والرحيم والحسن.

تتمثل هذه الصفات بصفات الآلهة التي يعبدونها الفرثيون، فهل نظر الفرثيون إلى الملك على أنه الإله؟ أم هل كان الملك الوسيط بين الآلهة والبشر؟

¹ - 60 p, Volume III, cit, op, Rawlinson, 61 p, cit, Curtiss.

² - 58 p, Volume III, cit, op, Rawlinson.

من المحتمل أن هذه الصفات حملت معنىً دينياً أوسع من ذلك، وهو الإيمان بوجود إله خالق للجميع، ويمثله الملك على الأرض، ومن هنا نجاز له أن يتصف بصفات، وذلك للحصول على رهبة أكثر في نفوس أتباعه الذين كانوا يخشون غضب الرب عليهم، ويسعون لكسب رضاه بذلك الغالي والتفيس له، ومن هنا أيضاً كان الاعتداء على شخص الملك من المحرمات.

أما زوجات الملك فقد كان للملك نساء أكثر غير الملكة⁽¹⁾، فصفة الملكة كانت للزوجة الأولى فقط، أما بقية نساء الملك فكانت غير دائسات ومفصولات عن بعضهن بعضاً، كما خصص لكل واحدة منهن مكان خاص بهما، وهكذا حفظ المملوك حقوق الملكة والنساء، وضنوا عدم تدخلهن في شؤون عملهم، وكل ذلك لحماية غير مطلقة لعفة البلاط الفرثي من الصعوبات التي قد تسببها مساوس النساء، وبذلك كان الفرثيون موفقين أكثر من أسلافهم الأخمينيين وخلفائهم الساسانيين مما ساعد على بقاء واستمرار الحكومة الفرثية.

- ولي العهد:

جرت العادة في العهد الفرثي أن يكون الابن الأكبر ولياً للعهد، ولكن لم ينجح هذا النهج؛ إذ كان ذكاء واستعداد بعض الأبناء الآخرين وعلاقتهم بأبائهم تدفع الأب ليعزى ولي العهد من الابن الأول إلى الآخرين، وكان الملك يتقوى من أبنائه من يحبه أكثر ويمنحه لقب ملك في حياته، بالإضافة لذلك قد يشكل حب الملك لامرأته الثانية عقبة في وصول الأبناء للحكم، فيتخشب أبوه الأصغر ولياً للعهد. وكان التمرد على هذه القواعد واحداً من أسباب المنازعات؛ إذ ما إن يموت الملك حتى يتوسل ولي

¹ - Justin, op.cit. Book, XII. Marcellinus, Ammianus Marcellinus History, translated by J. Rolfe, Harvard University Press, Cambridge, 1963, 23,6.

العهد الأول إلى إحدى الدول المجاورة، وبأبي مجيش من خارج البلاد، وبسفك الدماء الكثيرة حتى يتزوج نفسه ملكاً.

وكان مجلس الشورى الحكومي مغستان "megistanes" يذل قصارى جهده لتعيين ولي العهد، وللتوفيق بين القواعد الفرثية ورغبات الملك، ولا يوافقون الملك على مخالفة القواعد الفرثية إلا بضرورة. ويركز ذلك ما حدث في عهد فراتيس الأول، الذي كان لديه مجموعة أبناء، ولأنه يريد أن لا تقع الدولة الفرثية في يد شاب قليل الخبرة والتجربة، انتخب أُنحاه ميثراداتيس الأول للمملكة، وعندما اقتنع أعضاء المجلس بذلك وافقوا الملك في رغبته⁽¹⁾.

- دور الملكة:

كان الملك ينتخب الملكة من بين نساء الفرثيين، وفي أغلب الأحيان من بين بنات الملوك الفرثيين، وكانت أكثر النساء احتراماً زوجة الملك ونساء ملوك المملكة، أما باقي النساء فكانت محظيات، أو مغنيات، أو مطربات، وفي وقت الحرب تبقى الملكة في المنزل، ويرافق الباقون الجيش. وكان الملوك يحبون رشاقة وجمال المطربات والمغنيات؛ لدرجة أن بعضهن وصلن لمنصب الملكة. وكانت النساء عامة مفصولات عن الرجال، ولا يجلسن في مجالس الرجال، وكان الملوك الفرثيون على خلاف الملوك الأخمينيين؛ إذ لم يسمحوا للنساء بالتدخل في شؤونهم، ولكن لكل قاعدة شواذ فهذه موزا؛ أم فراتيس الخامس تعد مثلاً واضحاً عن تدخل النساء في شؤون البلاد.

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 86.

- النبلاء:

تمتع النبلاء الفرتيون بعظمة كبيرة، فهم ليسوا فقط ملوكاً تابعين بل هم ملوك بنية مستقلين، وملكيتههم وراثية، وشكلوا مجلس مغستان الذي كان غير قابل للإلغاء، وكان من بين اختصاصاتهم انتخاب الملك حسب الأصول، ولا يستطيع الملك أن يتحدى عليهم بسبب قوتهم، لذلك سعى دائماً للعمل على احترامهم وإرضائهم. فكان هؤلاء أصحاب الامتيازات الكثيرة التي مكنتهم في بعض الأحيان من السيطرة على الملك⁽¹⁾.

وشغل النبلاء مكانة مهمة، ووجب على الملك احترام امتيازاتهم، وتكونوا من عدة عائلات نبيلة، وامتلكوا أصوات الانتخاب في المجالس الملكية، وامتازت عائلة سورينا من بين جميع العائلات النبيلة الأخرى بحق تنصيب الملك.

بالإضافة لذلك وقف النبلاء على رأس قوة كبيرة إذ امتلكوا الأراضي، وكان عليهم تجهيز الجيوش وقت الحرب، مما دعم امتيازاتهم، وعلى رغم ذلك كان الملك على استعداد دائم للسيطرة عليهم، من خلال استعداد بعضهم ضد البعض الآخر، وبالتالي العكس صحيح فإذا تعاون النبلاء ضد الملك تمكنوا من عزله وتنحيته عن العرش.

وكانت طبقة النبلاء الفرتيين أكثر استقلالية بكثير من السلالات السالفة كالأخمينيين مثلاً، فقد مارس النبلاء سيطرة حقيقية على الملك في بعض الأحيان. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك عدة فروق بين النبلاء فنبلاء المرتبة الأولى كانوا إلى جانب الملك، كرتبة مشير للملك، وكان هذا المنصب وراثياً لعائلة بعينها، وهي العائلة

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 190. - بنش (أحمد تاج): تاريخ مختصر تمدن و فرهنگ ایران قبل از اسلام،

کتابخانه ملی ایران، تهران، چاپ اول، 1381، ص 239. تعدادیان، المرجع السابق، جلد دوم، ص 1299 -

1300. قديان، المرجع السابق، ص 168. Rawlinson, op. cit, Volume III, p57.

التي تأتي ثروتها بالدرجة الثانية بعد الملك. ويستطيع رأس هذه العائلة أن يجند عشرة آلاف جندي وعبد لخدمة الملك.

أما المرتبة الثانية من النبلاء فهم النبلاء الذين يعيشون في ممتلكاتهم وأراضيهم، ولكن عند الحرب يجنّدون القائمين عليها لخدمة الحرب والملك، ويقفون على رأس أتباعهم، وكان من بين هؤلاء الحكام، أعضاء المجلس الملكي، وكانت ثروة هذا الصنف عظيمة جداً، ولكن أقل من ثروة الملك والمرتبة الأولى من النبلاء.

إن في ذلك إشارة واضحة إلى أن للقيمة المادية درجة كبيرة في تحديد مكانة النبيل، فكلما زادت ثروته، أصبح من المقربين أكثر إلى الملك. ومن هنا لابد أن النبلاء سعوا بكل ما أوتوا من قوة لزيادة ممتلكاتهم، وبالتالي زيادة مكانتهم ومكتسباتهم.

وفي الحرب كان النبلاء قادة الفرق العسكرية، وكانت الحرب محبة لهم لأنها تزيد في ثروتهم وأموالهم نتيجة مكافأة الملك لهم، وكل ذلك كان يزيد من نفوذ هؤلاء حتى إنهم كانوا ينافسون الملوك الضعاف في قوتهم ونفوذهم⁽¹⁾. وفي وقت السلم، كان هؤلاء يحضرون مع أبائهم في موكب الملك، لتنفيذ رغباته، ويزداد تنفيذ هذه الرغبات بزيادة قوة ونفوذ هؤلاء النبلاء. وعادة كان الملك يأخذ أبناء النبلاء رهائن كعربون وفاء من آبائهم، أو يضعهم عنده أو يرسلهم إلى أباطرة الرومان.

ويعتقد أن النزاع بين النبلاء كان واحداً من الأسباب التي ساعدت في القضاء على المملكة الفرثية، فالحروب الداخلية ساعدت على الانقسامات، وهدرت إمكانات المملكة، التي كان من المفترض أن توظف لصالح القضاء على الطامعين في البلاد، كما أنها ساعدت على إضعاف مختلف الأطراف المتنازعة، وبالتالي سمحت لبعض النبلاء الأقوياء بالتمرد، والتأثير على مصير الدولة، ومثال ذلك عمرد أردشير الساساني، الذي

¹ - شعباني، المرجع السابق، ص 98. قدياني، المرجع السابق، ص 168. 169.

استغل الضعف الداخلي والتهديد الخارجي، فحقق انتصاراً على المملكة القرنية، وأعلن قيام سلالة حاكمة جديدة.

- الفلاحون والعبيد:

- الفلاحون:

شكل الفلاحون طبقة اجتماعية متميزة في المجتمع القرني، ذلك أنهم ارتبطوا بالأرض وعمل الفلاحون بالزراعة وكانت على أشكال متعددة، فمنهم من زرع في أراضي الملاك الكبار، ومنهم من استأجر الأرض على أن يدفع للمالك ما يعادل ثلثي إنتاج أرضه أو يقدم له في نهاية الموسم ثلثي الإنتاج. وكانت الملكية الفردية في هذا المجال تشمل الأراضي الزراعية والعقارات والحيوانات والعبيد والمواد الزراعية والمعادن. وكانت ملكية الأرض تشمل ما عليها من أدوات ومن عليها من عبيد، حيث كان هؤلاء ينتقلون مع الأرض يباعون ورهناء¹، وسمح للفلاحين بالانتقال من مكان إلى آخر كبقية شأوراء، ولكن إذا امتنعوا عن العمل بالزراعة فعليهم التعويض للمالك.

وعملت المرأة في القرى والأرياف إلى جانب الرجل، وخاصة المزارعين منهم، وارتدى الفلاحون لباساً نيلياً من القنب، على شكل بنطال وقميص طويل، وكانوا يطوي الشعر واللحية، وبالمقابل ارتدت نساؤهم الثياب الفضفاضة والطويلة. وشكل الفلاحون والعاملون في الأرض الجزء الرئيسي من الجيش، لذلك وجب على الملك أن ينهي الحرب بسرعة لكي يعود هؤلاء إلى أعمالهم.

King, L.W, and Hall, H.R, History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia, -
And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger,
London, 2005, Vellum 1, pp 450-455.

وعان الفلاحون في المملكة الفرثية من كثرة فرض الضرائب ونعسف جباها، بالإضافة إلى العقوبات التي كانت تفرض بحق من لا يدفع ما وجب عليه من الضرائب، كما عانوا من أعمال السخرة التي فرضت عليهم وعلى عائلاتهم، وكانت هذه الأعمال تتعلق بطبيعة أعمالهم الزراعية، كشق الأفنية، وتنظيفها، والعمل على صيانتها بشكل دوري، بالإضافة إلى العمل في أراضي الملك والمعابد⁽¹⁾.

— العبيد :

هم الطيف السدنيا والأخيرة ، وهم ملك لأسبادهم ، ووصلوا إلى هذا الأمر إما عن طريق الأسر في الحروب أو الشراء، ولقد أنيط بهم تنفيذ الأعمال الشاقة والمهن الوضيعة. واختلف وضع العبيد في المملكة الفرثية عن وضعهم في أغلب المجتمعات القديمة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن طبقة العبيد في المملكة الفرثية كانت تتكون من سكان البلاد الوطنيين بالإضافة إلى القليل من الأجانب. وكان العرف في المملكة الفرثية أن الأطفال الذين يولدون من حارية السيد يعتقدون بقوة القانون هم وأمههم بعد وفاة أبيهم. أما الأطفال الذين يولدون من أبوين رقيقين فيصبحون مثلهم.

هذا عن الرق بالولادة، أما عن الرق لأسباب أخرى غير الولادة فقد عدت الحرب أهم هذه الأسباب. فالأسير يصبح عبداً لمن أسره من الجيش المنتصر.

وفيما يتعلق بالجندي الذي يقع أسيراً خارج البلاد، ومن ثم يصبح عبداً لسيد أجنبي، فإذا عاد هذا الجندي إلى وطنه بعد اختدائه، فإنه يعود حراً بشرط أن يقدم فدية إلى من افتداه.

¹ - King, Hall, op,cit, vol 2, pp 150-155,173.

Marcellinus, op, cit, 23.6.

أما بالنسبة للحالات عتق العبد، فقد كان يجوز للسيد بإرادته أن يعتق عبده وذلك بموجب عقد خاص أو أمام القضاء. ومع ذلك يشير بعض الباحثين إلى أن المعنى يظل مرتبطاً ببعض الالتزامات تجاه سيده القديم خلال حياته. ومن جهة أخرى فإنه يجوز للعبد أن يشتري حريته بماله، ما دام قادراً على امتلاك الأموال، ويحق له أن يستدين من غيره لشراء حريته، على أن يسدد دينه لدائنه بعد ذلك. ومما يحدو الإشارة إليه وجود العبيد البارعين في فنون ركوب الخيل والرمي بالقوس.

لم يعمل العبيد بالأراضي الزراعية كما هو مألوف في الشرق القديم، بل كانت أكثر أعمالهم الخدمة في المنازل، وفليل منهم من عمل في الأرض، كما شاركوا في الجيش. وقد استخدم الفرييون أساليباً حسناً في التعامل مع العبيد، ويشهد على ذلك نقوش تحت جمشيد¹ التي اعتلت بالإشارات لدفع رواتب العبيد الفانمين على العمل في المين، وهذا يدل على تحسن وضع العبيد في المملكة الفريية مقارنة بالدولة اليونانية.

لأثنت الجيش:

== الجيش الفريي:

أثبتت الحروب اليونانية - الفارسية، أن القوات خفيفة السلاح لا يمكنها الصمود في وجه القوات الثقيلة والمدربة، وخاصة عند تقسيم هذه الجيوش إلى كتائب، ولكن من جهة أخرى يمكن لسلاح الفرسان الخفيف أن يثير الفوضى والاضطراب في صفوف فرسان السلاح الثقيل، عندما يهاجم النشاط الضعيفة فيه، وهذا هو الأسلوب الذي

¹ - تحت جمشيد: هي مدينة برسيوليس، تقع على مسافة 60 كم شمال شرقي مدينة إيراز، كانت عاصمة الأخمينيين و مركز حكمهم احتلها الإسكندر مطلع عام 330 ق.م. (إسماعيل فاروق): برسيوليس، الموسوعة العربية، دمشق، ط 1، 2004م، جلد 4، ص 861-862.

استخدمه الفرثيون في المعارك ضد اليونان. وكان مجالاً للتعرف إلى وسائل واستراتيجية الحروب الجديدة.

ولتحقيق ذلك عمل الفرثيون على تأسيس جيش قوي؛ يعتمد بالدرجة الأولى على الفرسان، إلى جانب إبقاء التنظيم اليوناني للمشاة، مما مكن الفرثيين من تحقيق معظم انتصاراتهم.

وقد تطور تنظيم جيش المشاة في عهد ميثراداتيس الثاني، حيث تخلى عن التكتيك اليوناني، واستخدم من جديد الطرق القديمة، حيث شكل سلاح الفرسان القوة الأصلية في المعركة. ولكن الأمر الأكثر أهمية هو افتقار المملكة الفرثية إلى الجيش النظامي — إن جاز التعبير — فقد قام الجيش الفرثي على أساس حاميات البلدان والحصون، بالإضافة إلى القسم المخصص لحماية الملك، وجيش رؤساء العشائر، وجند ملاك الأراضي.

ومن هنا كان الجيش الفرثي مشروطاً بجنود ملاكي الأراضي، فكلما دعت الحاجة للجنود كان الملك ينادي ملاك الأراضي، ورؤساء العشائر لجمع ما يترتب عليهم جمعه من الجنود، وكان على ملاك الأراضي أن يجهزوا جنودهم بالأسلحة والمعدات، ثم يحضروهم في الوقت المعين إلى المكان المحدد، وعندما يكون عدد الجيش قليلاً كان الملك يكمله من الجنود المأجورين (المرتزقة). ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن هذا الجيش كان يتبع أوامر قادته المحليين أكثر من أوامر الملك، الأمر الذي أثر على الجيش وعلى تنفيذ مهامه⁽¹⁾.

¹ Ball, op, cit, p14, Debevoise, op,cit, n, 38, p78. Rawlinson, op, cit, - Volume III, p256. Isidore of Charax, Parthian Stations, an Account of the Overland Trade Route, Between the Levant and India, in the First Century B.C, the Greek Text with a Translation and Commentary, by Wilfred. H, Schoff, Transcribed from the Original London Edition, 1914, Parallel, Passages From the Chinese Annals, Quoted from Hirth, China and the

وكان لدى الفرثيين جيش من المشاة ولكن المحصنة مهتتمهم في تقديم الغذاء والعلاج للمصابين، وتلبية خدمات سلاح الفرسان، وحماية وحراسة المعسكر الملكي.

كما أن الحرب في المناطق الجبلية والوعرة من المهام التي أوكلت إلى المشاة؛ حيث تصعب حركة الفرسان، وتقل أهمية مشاركتهم، كما كان لهم مهام أخرى، في المناطق السهلية، وإلا من أين جاء رماة الرماح الفرثيون المشهورون؟ من غير المعقول أن يكون سلاح الفرسان كل شيء، ومن المرجح أن المشاة شكلوا ركناً أساسياً في الجيش الفرثي، وإن قللت المصادر التاريخية المتوافرة من أهمية هؤلاء.

وقسم سلاح الفرسان إلى قسمين: قسم ذوي الأسلحة الثقيلة، وقسم ذوي الأسلحة الخفيفة. كان الأول مجهزة للحرب المواجهة مع العدو، ولديه أسلحة حماية ودفاع، وكانت أسلحة الدفاع عبارة عن درع طويل متصل إلى الركبة، وقبعة من الحديد، أو الفولاذ توضع على الرأس، وبسطال جلدي واسع يصل إلى أسفل القدم، ولم تقتصر دروع الحماية على الفرسان بل طالعت حيولهم أيضاً⁽¹⁾.

وكانت أسلحة الحرب حرية طويلة ومننية وفوساً وسيفاً، أما مهارتهم فكانوا بارعين في الرمي، وقد تنبه الفرثيون للحرب في المناطق الجبلية، وفي المناطق السهلية والمترامية الأطراف حيث برعوا في كل هذه الأنواع.

Roman Orient, Shih-chieh written about 91 B.C, p123. Plutarch, op, cit, p 46.

⁽¹⁾ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 199. بحث، المرجع السابق، ص 274-275. قديان، المرجع السابق، ص 163..

وأما جيش الفرسان ذو السلاح الخفيف فلم يكن لديه فيلة ولا درع، وكانت أسلحة الحرب منصورة بالأكواس والرماح، بالإضافة إلى السيف وعناصر رماة السهام؛ وجهاز هذا الفرع ليكون خفيف الحمل وسريعاً ورشيحاً، خاصة في الكر والفر. إذ لم يكن هناك عناصر في هذا الجيش مسلحة بأسلحة أخرى، خاصة أن الفرثيين لم يستخدموا العربات الحربية في الجيش، وعليه طالت أسلحة الحماية والحرب عناصر جيش الفرسان بفرعيه.

كما حافظ الفرثيون على خفة حركة فرسانهم وسرعتها، لذلك ليس من مصلحتهم تزويدهم بالفارس بلباس أو سلاح يعيق حركته، ويدعم هذا الرأي أسلوبهم القائم على الكر والفر. وأظهرت التجربة أن سلاح الفرسان الخفيف المسلح بقوس ورمح وسهم وسيف، كان مناسباً جداً للمناوشات، لسهولة الحركة، أما في المعارك القريبة، فكان هناك سلاح الفرسان الثقيل المزود بأسلحة الحماية التي تساعد على الوقاية من الضربات القوية⁽¹⁾.

وتفادى الفرثيون نقص سلاح الفرسان الذي كان من أهم مشكلات أسلافهم الأخمينيين من خلال حمل كميات كبيرة من السهام لاستخدامها في المعركة، عندما تنفذ الذخيرة التي يحملها الفرسان، وخاصة النبال لأن الأساس في معارك الفرثيين كان رمي النبال الكثيرة على العدو لإرباكه، ومن ثم مهاجمته بالرماح لتحقيق النصر. وكان لمثل هذا التكتيك أثر كبير؛ إذ سرعان ما تنفذ نبال العدو بسرعة ويفنى الفرثيون في ما من من هذا الموقف المتفطر.

بالإضافة لذلك كان الجيش الفرثي مدعوماً بالجمال، الحيوان الذي يمكن أن يتحمل نفسه المحارب ودرعه، وساعد ارتفاعه على الرمي من مكان مرتفع كما ساعد

¹ Rawlinson, op, cit, Volume III, pp257-258.

على إصابة الهدف، وإعاقة أهداف العدو، ناهيك عن القدرة الكبيرة للحمل على التحمل.

وكانت وسيلة الفرثيين في الحرب مضايقة العدو، وذلك من خلال الكر والفر، واستخدموا طريقة تكتيكية أكثر فاعلية تقوم على مبدأ المباغتة حيث يتظاهرون بالتراجع ثم يطوقون العدو المتقدم خلفهم ويوقعون به الهزيمة. لكن هذه الطريقة لم تكن مناسبة للبلدان والحصون والمدن، كما أن هذا النوع من السلاح والتكتيك الحربي لا يحتمل حملات طويلة خاصة في الشتاء؛ لأنهم ينفقون إلى أدوات الحصار⁽¹⁾.

– الحياة الدينية:

تنوعت المعتقدات الدينية في الفترة الفرثية وتدل المعلومات القليلة إلى استمرار وجود العبادات القديمة، المتمثلة بعبادة آلهة الطبيعة على اختلاف أشكالها، وإلى انتشار الزرادشتية، بالإضافة إلى المسيحية التي استفادت من سمة التسامح الديني التي اتبعها الفرثيون مع أتباعهم، لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي وجود تماثيل للآلهة، ولأفراد العائلة المالكة.

وبدل ذلك إلى انتشار المعتقدات الآرية القديمة وعبادة الأجداد وعبادة ميثرا وكل هذه العقائد كانت سائدة في العصر الأخميني السابق، وتُظهر تسميات ميثرا المختلفة كثرة المهام التي تنسب إليه، فكان للغدول والحرب والنور، والقسم والمدلواة وغيرها، ولذلك شاعت الأسماء المشتقة من ميثرا، كمثيراداتس وفي هذا دليل واضح على المكانة الكبيرة لميثرا في المجتمع الفرثي⁽²⁾.

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 199-201. قدياني، المرجع السابق، ص 187. Rawlinson, op, cit, Volume III, pp258-259.

² - زيهنير، المرجع السابق، ص 126-128.

- الزرادشتية:

استمر انتشار الدين الزرادشتي في العصر الفرثي، وزادت أهميته بشكل كبير وما يبدل على استمرارته وازدهاره ظهور معابد النار ولأول مرة في إيران وذلك لأن مبادئ الزرادشتية قبل العصر الفرثي كانت تنص على أن الله موجود في كل مكان ويمكن التوجه إليه بالصلاة في أي مكان، فكانت الصلوات تقام في البيوت أو في أماكن مخصصة للعبادة في الهواء الطلق ومزودة بموقد للنار المقدسة، الرمز الأساسي للزرادشتية. ومن المعابد الفرثية المكتشفة معبدان في سلوقية دجلة، ومعبد دورا أوروبوس Doura - Europos بالإضافة إلى ثلاثة معابد في البوركاء، ومعبد في نيور وآخر في الحضر⁽¹⁾.

ولمنع رجال الدين الزرادشتيون في الفترة الفرثية إمكانية جيدة، بالرغم من وجود ديانة مختلفة في المملكة الفرثية، حيث تمنع أتباعها بحرية المعتقد، وممارسة طقوسهم دون خوف، غير أن ذلك لا ينفي أن بعض الملوك الفرثيين كان على الدين الزرادشتي، وشجعوا بناء المعابد لعبادة النار، والحفاظ عليها متقدة.

ولم تحت الزرادشتية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد، بعناية خاصة من الحكام الملكي الفرثي. ومن ناحية أخرى، أوجد الفرثيون مرحلة انتقالية نتجت من التعدد، والتعايش المتساوي والمنسجم بين الثقافات الإيرانية واليونانية. وكان هذا الدور الأساسي للإيرانيين في المشهد السياسي لغرب آسيا.

وتبين هذه التطورات التي طرأت على الزرادشتية، تقدمها على كل المعتقدات الأخسري الموجودة في المملكة الفرثية، وسعيها للانفراد، كما تدل على انتشار المسيحية

¹ - إسماعيل البارثيون، مجلد 4، ص 571-572.

التي أخذت تغلق رجال الدين الزرادشتي، الذين بدؤوا يفكرون بتحديد انتشار المسيحية في بلادهم.

- البوذية:

نشأت هذه الديانة في الهند في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد على يد بوذا الذي يعتقد أنه عاش بين (563-483 ق.م)، وانطلقت من هناك إلى المناطق المجاورة. وتتلخص مبادئها بالتناسخ، والروحانية فلم تتعرض البوذية للألوهية لا بالنفي ولا بالتأكيد، وكانت فكرتها علقية صرفة لا تهتم بالشعائر أو الطقوس الدينية، وعليه لم يدع بوذا الألوهية، ولم يوجد أية آلهة في عقيدته⁽¹⁾.

ولم يتعرض الفريثيون للبوذيين، ولم يكن هؤلاء دور ذو شأن في الحياة الاجتماعية الفريثية مقارنة بمعتقي اليهودية أو المسيحية، وقد استفادوا من التسامح الديني الذي اتبعه الملوك الفريثيون في حكم أتباعهم، فمارسوا معتقداتهم بعيداً عن تهديد الدولة، ونظراً لقلة عددهم لم يكن وجودهم يزعج أتباع أية طائفة أخرى، لذلك اتسم وجودهم بالهدوء العام والابتعاد عن التدخل في شؤون البلاد.

ربما كان للمبادئ التي نادى بها البوذية دور في عدم ظهور هؤلاء على مسرح الحياة السياسية أو الاجتماعية، فبوذا نفسه لم يدع الألوهية، ولم يناضل لنشر عقيدته، بل كل ما سعى له هو إقناع أتباعه بمبادئه الداعية إلى السمو بالروح الإنسانية بعيداً عن المال والثروة والجاه، فلا فرق بين شخص وآخر على أساس الثروة، أو النسب، بل يكمن الفرق بالموهبة والقدرة على العمل.

- المسيحية:

¹ - حميد، المرجع السابق، ص 193-198.

إن الفترة الفرثية جزء مهم من التاريخ الإيراني، امتازت بميزات خاصة. قليلاً ما نجدها في الفترات الأخرى؛ إذ تمتعت الطوائف الدينية بحرية ممارسة الشعائر الدينية، فانتشرت المعتقدات كالزرادشتية، واليهودية، والمسيحية، وغيرها، وتمتع أتباعها بممارسة حرة لمعتقداتهم.

و ترافق انتشار المسيحية ضمن الأراضي الفرثية مع الجهود التبشيرية للمسيحيين في المناطق الأخرى للعالم⁽¹⁾. وحتى لحظة اكتسابها موقعها الخاص كدين شترم، كانت صورة المسيحية مبهمّة في المملكة الفرثية وكذلك في العالم الروماني.

ولم يعامل الدين الجديد من قبل الإمبراطورية الرومانية والمملكة الفرثية، كدين مستنقل، ولم تتمتع المسيحية في مرحلتها الأولى بصلاحيّة تأسيس فرقة دينية كطائفة جديدة ضمن مجتمع جديد، وكان الوضع الاجتماعي للمسيحيين في الإمبراطورية الرومانية سيئاً، بينما كان وضعهم مختلفاً في المملكة الفرثية.

وتلعب المعلومات عن انتشار المسيحية بين السكان الإيرانيين في القرون الأولى. وكان على المسيحية أن تراعي أماكن انتشارها، يدفعها لذلك الموقف الروماني الراض لانتشارها بين الرومان، والطبيعة الجغرافية والسياسية للمملكة الفرثية، حيث تمتعت بعض المناطق باستقلال شبه كامل، ناهيك عن عدم تدخل الملوك الفرثيين في الشؤون الدينية.

وحملت مدينة أديسا أولى الإشارات حول وجود المسيحية في هذه المنطقة. وكانت مناطق أديابن وخسرون ومناطق الفرات مركز الانتشار المسيحي في المنطقة

¹ .. Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971 -rcp 1989, pp 163-165.

الإيرانية⁽¹⁾ حيث كانت هذه المناطق سبب النزاع بين الرومان والفرسيين، نظراً لأهمية المنطقة الكبيرة للتجارة والمعاملات الاقتصادية في ذلك الوقت، ومكنت الأهمية الإستراتيجية لموقع أديسسا وأرييل السفيرة على نقل البضائع من الشرق إلى الغرب وبالعكس.

وأدرك المسيحيون ضرورة تركيز جهودهم للتبشير بدينهم في المراكز الحضرية المهمة، نهضة عندما لمسوا تأثير قوة الدين في المناطق الحيوية⁽²⁾ وعملوا على كسب الأنصار بطريقة سرية تامة.

لا توضح مصادر القرون الأولى بعد الميلاد هذه المسألة لكن نصوص سير القديسين للعصر الساساني تقدم صورة جيدة من الممارسات التي تتعلق بجذب الأعضاء الجدد، فقد تضمنت عميدة الدين المسيحي كل شكل إنساني، وكانت سمعة التسامع للدين الجديد فيما يتعلق بالأديان السابقة تعطي دفعا لزيادة شعبيتها وجاذبيتها للأعضاء الجدد.

وتزداد المسيحيون في المملكة الفرثية تدريجياً، وكان عليهم أن ينحملوا الموقف السلبي للأديان الأخرى، وخصوصاً رجال الدين الزرادشتي، وعلى رغم أن التأثير السياسي للكهنة لم يكن عظيمًا، فقد كان يتزايد بشكل تدريجي، أضف لذلك شعور المسيحيين الأوائسل باضطهاد الإمبراطورية الرومانية. وعلى رغم صعوبة انتشار المسيحية في المملكة الفرثية، غير أن الحالة كانت أصعب في الإمبراطورية الرومانية، لذلك ساهم

1 Labourt, Le Christianisme dans l'Empire Perse sous la dynastie Sassanide, « 1 Paris, 1904, p 18.

2 Bosworth, The Coming of Islam to Afghanistan, Islam in Asia 1, South - 2 Asia, ed. Y. Friedman, Jerusalem 1984, pp 7-8.

الحكم الفرني بسياسته الدينية المتساهلة قليلاً في ازدهار وتطور الطوائف المسيحية على أرضه⁽¹⁾. وعلى أية حال فإن المعلومات حول انتشار المسيحية في هذه الفترة المبكرة نادرة، وكسان اعتناق الملك أبقار الثامن Abar ملك أديسا للدين المسيحي العامل الأساسي الذي جعل أديسا المركز المسيحي الأكثر أهمية في منطقة النعوم الفرنية الرومانية.

وتشير الدلائل إلى أن طوائف بلاد النهرين أسست بشكل منظم منذ السنين الأولى للقرن الثاني الميلادي⁽²⁾، لكن هذا لا يعني أن المسيحيين كانوا كثيرين في ذلك الوقت، لكن الموقف الإيجابي المتسامح للمملكة الفرنية سمح بازدياد عدد المسيحيين؛ فأسسوا الأسقفية التي أعطت صفة رسمية لوجودهم وأصبحت الوسيلة النظامية للاتصال بالسفطات الفرنية الرسمية.

وابعاً - اليهودية:

انتشرت اليهودية أيضاً في المملكة الفرنية، وخاصة في الجزء الغربي منها، حيث سكنوا في مناطق النعوم كشمال بابل والجزيرة وفي سوريا وساقية دجلة، بالإضافة إلى جماعات أخرى سكنت في ميديا وفارس.

¹ - Kidd, B. J., A History of the Church to 461 A.D., at the Clarendon Press, Oxford, 1922, vol I, 477.

² - Bundy, Davidm The Life of Abercius New York and London, Garland Publishing, 1999, PP 243-256.

وتعود بدايات وصولهم إلى هذه المناطق إلى زمن السبي الآشوري لبعض سكان مملكة إسرائيل
زمن سرجون الثاني (722-705 ق.م)¹، حيث عملوا بالزراعة والتجارة، وغيرها من الحرف
المعروفة آنذاك، غير أن اشتغالهم بالزراعة فاق كل أعمالهم، وذلك لأن مراكز استغلالهم تقع في
مناطق خصبة كثيرة المياه، لذلك زرعوا الحبوب كالقمح والشعير، والبقول والخضار والأشجار المثمرة
كالنخيل والرمان. كما عملوا على تربية المواشي والطيور الداجنة وصيد الأسماك.

ولم يقتصر عمل الجماعات اليهودية على الزراعة فعملوا بالحرف حيث أعادوا الآلات السبي
نلزمهم في العمل الزراعي، مما ساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية، ومن الحرف التي أجادوها حرفة
تصنيع الطمر من النمر، وكانوا يشربونه ويتاجرون به. ومن الحرف الأخرى صناعة القفاف والجرار،
والحرف الخشبية كالأبواب والأثاث. والمعدنية كالفلوس والمخاريت والمناجل. بالإضافة إلى حرفة
تشكيل الحلي من الذهب والفضة والجواهر وذلك على شكل أساور وعقود وخواتم وغيرها.

وشغلت التجارة مكانة بين الأعمال التي مارسها هؤلاء، فوجدت مصنوعاتهم الخشبية والمعدنية
والذهبية مكاناً لها في الأسواق، وكذلك كان لوجودهم في مناطق الترحوم دور في ممارسة التجارة.

ومنذ القرن الأول الميلادي نظموا أنفسهم ضمن جماعات، واعترف الملك بهم كجماعة لها
شيء من الاستقلال. وكان لديهم مسؤول يدير شؤونهم وينظم أمورهم، فعليه جمع الضرائب التي تبين
الوضع القانوني لهم كأتباع للمملكة الفرنية².

¹ - درادكه (صالح): العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1،
1992م، ص54. سرجون الثاني: هو شاروكين ملك آشور، عثر على بقايا قصره في دور شاروكين (بحورساباد

الحديثة). غربال المرجع السابق، ج1، ص977.

² - كريستسن، المرجع السابق، ص24-25.

- الفن الفرثي

مع سقوط الأخمينيين وانتصار الإسكندر المقدوني، تعرض الفن الإيراني للانتكاس في البدء، ثم انتهى إلى فن يمكن أن نسميه الفن اليوناني الإيراني. وبذل هذا الفن على نطاق كبير بالنسبة إلى الفن الأخميني. ونحن نلمس هذا الوضع حتى مجيء ميثراداتس الثاني (123-87 ق.م) الذي أقام المملكة الفرثية محولاً إياها إلى قوة علمية كبرى. ونحن نواجه في هذه الفترة الزمنية ثلاثة أساليب فنية في إيران: 1. الفن المقلد عن اليونان، 2. الفن اليوناني - الإيراني، 3. الفن الإيراني. ورغم أن الفن الإيراني تراجع إلى أساليب أكثر بدائية، ولكنه اقترن مع بعض الجهود والتحول، وانبعثت الحياة من جديد في الفن الإيراني دون الامتزاج بالعناصر الأجنبية. وتعد العودة إلى صناعة الوجوه الكاملة والتي وجدت مرة أخرى استخداماً واسعاً وشاملاً في الفن الفرثي، النموذج الواضح لهذه الحركة الفنية التي عمدت جذورها في الفن الإيراني القديم، ولا يمكن بأي شكل نسبه إلى الفن اليوناني. ويمكن من خلال هذه الرؤية دراسة جميع فروع الفن الفرثي. ففي بناء المدن، تحول بناؤها إلى التصاميم الدائرية الشكل أي التصميم الرسمي لبناء المدن على الطريقة الفرثية. وقد كان للاعتبارات الدفاعية دور أساسي في هذا التصميم.

ونجد أول مظاهر الفن المعماري الفرثي في نسا أول عاصمة للفرثيين (أو «أشك آباد» على مسافة بضعة كيلومترات من مدينة «عشق آباد» الجديدة العاصمة الحالية لجمهورية تركمنستان، حيث جرت تنقياتها الأثرية على يد علماء الآثار الروس. فرغم أن قصر نسا الملكي تأثر من حيث التزيينات إلى حد ما بالفن اليوناني (مثل تماثيل أجداد الملوك الفرثيين والتي لُحِثت من الطين، واكتسبت منزلة إلهية على الأسلوب اليوناني)، ولكن البناء نفسه يشتمل على تصميم ذي أربعة أواوين حول فناء وهو

التصميم الذي بدأ من تسا القرنية وما يزال يعرف باعتباره التصميم الرسمي والتقليدي لإيران، وانتشر حتى إلى خارج إيران وبلاد ما بين النهرين.

إن انتشار الآثار المعمارية الفارسية التي تبدأ في الشرق من آي حاتم وسرخ كتل ونساء تشمل في داخل إيران اليوم بفياها مدينة صد دروازه (دامغان)، كوه خواجه (سيستان)، برده نشاند (خوزستان) ومعبد آناهيتا (كنكاور)، وتستمر حتى قصر آشور (العراق) وبلميرا (سورية)، من جهة، واقتصر التنقيبات الأثرية على المدن الأشكانية من جهة أخرى، كل ذلك لا يرتقي بمعلوماتنا إلى الحد المطلوب فيما يتعلق بالعصر الفارسي الذي امتد إلى ما يقرب من 500 سنة. وتشمل المواد الإنشائية في هذا العصر بشكل رئيس اللبن، الحجر، الحجر غير المنحوت والمنحوت. ومن خصوصيات هذا العصر استخدام ملاط الجص وشيوع الطبقات الحلالية والألوان وخاصة الألوان الثلاثة التي يكون فيها قوس الأيون المركزي أكبر من الأيونات الجانبية. ومن العناصر الإيرانية الخالصة الأخرى تزيين الواجهة الخارجية وخاصة في الأبنية المشيدة من الحجر المنحوت - كما نرى في الخطر - ، مع الأقنعة الحجرية المنحوتة التي تظهر الوجه حتى الذقن.

وقد شاع استخدام التزيينات المحصورة لأول مرة في الفنون المرتبطة بالعمارة، في قصور الفرس في بلاد ما بين النهرين ، وبلغ غاية الدقة في أبنية كوه خواجه في سيستان. وأما التزيين الآخر الذي كان شائعاً في العمارة الفارسية فهو النقوش الجدارية وما يشهد على انتشار هذا الفن في العمارة الفارسية نقوش جدران قصر كوه خواجه والطقوس الدينية في معبد الآلهة التدمريين في دورا وقصر آشور. ونلاحظ اتباع الأساليب الأخمينية في التماثيل المنحوتة والنقوش الحجرية على الجبال. وتكشف دراسة النقوش الحجرية لميردادانس الثاني في بيستون ونقوش سروك وشوش، عن تأثير المذهب الفارسي على التماثيل والنقوش الحجرية في تدمر ومروود داغ ودورا.

ومما يلفت النظر أن الفنون الفرتين المتمثلين في النقوش الجدارية والنقوش البارزة في القسم الغربي من المملكة الفرتية مثل حوران وتدمر، بقيا على حالهما في المراحل التي أخذ فيها الفن الروماني ينتشر في منطقة إقليم المتوسط ولكن الأطراف من ذلك أن الفن اليوناني والروماني فتح في القرنين الأول والثاني أهم أبوابه على النقوش الشرقية الفرتية ويمكن رؤية استمراريتها حتى العصر الساساني. وقد كانت النتيجة أن السلوقيين الذين ورثوا فسماً كبيراً من الإمبراطورية الأخمينية، سمعوا كثيراً كي يحلوا الحضارة والثقافة اليونانية في مملكتهم محل الحضارة الإيرانية، إلا أن مقاومة الإيرانيين القومية أفشلت مساعيهم حتى خلال الفترة التي كانوا يحكمون فيها أجزاء من إيران. ومن الأدلة الواضحة على هذا الفشل ظهور فن نسا الجديد في شرق إيران وفن كوجاجن وغرود داغ في الغرب⁽¹⁾.

– الحياة الاقتصادية

– الزراعة:

تشكل الأراضي الزراعية الركن الأساسي لتوزيع السكان في الحضبة الإيرانية وقد امتدت هذه الأراضي على أجزاء مختلفة منها كالسهول المحيطة بساحل بحر قزوين الذي يمتد في شريط ضيق بين جبال البورز والبحر، وتنتشر هنا أيضاً الغابات، وتعد هذه المنطقة الأكثر أمطاراً في المنطقة. وهناك سهل خوزستان، بالإضافة إلى سهول الرافدين الممتدة بين وادي دجلة والفرات وحولهما، وهي الأكثر ملاءمة للنشاط الاقتصادي. وسيطر الفرتيون على هذه المنطقة وانتشروا فيها ومارسوا نشاطهم البشري فيها، لما يزيد عن أربعة قرون.

¹ - محسن (محمد حسن)، إيران، الموسوعة الإسلامية الكبرى، المشرف العام السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى، طهران، 1989، الجزء 10، ص 631 - 632.

وكان لتوافر المياه والتربة الخصبة في بعض أراضي المملكة دوراً في ازدهار الزراعة، ومن الصعب تحديد أشكال الملكية الزراعية في فارس أمام ندرة المصادر وصمت بعضها الآخر عن هذه الناحية، لكن من المرجح أنها كانت على عدة أنواع منها أملاك العائلة المالكة، والنبلاء، والأحرار. وقد وزعت الأراضي وفق ثلاثة محاور هي: أراضي الملك، وأراضي المعابد، وأراضي الأحرار⁽¹⁾. وكانت الحرية الاقتصادية في الأعمال الزراعية محدودة نسبياً، والأملاك الشخصية محصورة وغير قابلة للتوسع. ويعود سبب انحسار الملكية الفردية، إلى نظام الضرائب الجائر، وإلى نفوذ كبار الملاكين الذين ازدادت قوتهم بفضل دعم الملك لهم، فضغطوا على صغار الملاكين، الذين اضطروا لرفع الحيف عنهم أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملاك الكبير، ليحموهم من تعسف جباة الضرائب⁽²⁾. وقد عمل الفرس على تنظيم الأراضي الزراعية حيث حسبت بدقة وأعيد توزيعها، فأخذ أفضل الأجزاء الملك، والمعابد، وأقيمت عليها أماكن سكن النخبة العسكرية والموظفين الحكوميين ومشرفي المعابد، وأفراد العائلة الملكية، وكان التعليل المقتنع لمثل هذا التصرف أن الملك عد نفسه المالك الوحيد لكل الأراضي معارضاً بذلك كل الدلائل التي تشير إلى ملكية أرض ما لشخص ما.

¹ - Dandamaev, M, and Lukonin, V. G, The Culture and Social Institutions of Ancient Iran, Cambridge, p130.

² - النجاشي (سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص19.

وكان لقلة التغيرات المناخية أثر كبير في ازدهار الزراعة وتنوع منتجاتها، وتدجين أنواع مختلفة من الحيوانات، بالإضافة لذلك ساعد الاستقرار السياسي على نموها وتقدمها، كما ساعد على زيادة عدد السكان⁽¹⁾.

وقام الملك ورجال الدين باستئجار العمال والفلاحين للعمل في أراضيهم، وكان هذا الاستئجار على نوعين: الأول يتم في فترة الحصاد فقط، والثاني يقوم على العمل طوال العام⁽²⁾. أما ذوو الملكية الخاصة فقد اعتمدوا بشكل رئيسي على قدراتهم مع عائلاتهم، واستعانوا بالعباد في بعض الأحيان، واستئجار العمال اقتصر لديهم على فترات الحصاد.

بالإضافة إلى عمل الأحرار على الأراضي التابعة للوجها، والملك، عمل العبيد أيضاً على هذه الأرض، ولكنهم لم يشكلوا القوة الأساسية للإنتاج الزراعي، بل أسهموا فقط في قسم قليل منه. وكان العمل الزراعي من أفضل الأعمال، وخاصة أن الديانة الزرادشتية حضت عليه، وجعلته منفصلاً، ويدل على ذلك ما ورد في الديانة الزرادشتية من تعاليم تدل على أهمية الزراعة في حياة الإنسان الفارسي⁽³⁾.

¹ - Adams, R. M, Heartland of Cities, Surveys of Ancient Settlement and Land Use on the Central Floodplain of the Euphrates, Chicago, 1981, pp 205-209.

² - Driver, G. R, and Miles, J. C, The Babylonian Laws, Oxford, 1968, Vol 2, Paragraphs L-V, pp 100-112, Hallock, R. T, Persepolis Fortification Tablets, Chicago, 1969, pp88-90.

³ - كابدبا (س): تعاليم زرادشت وفلسفة الديانة الزرادشتية، ترجمة وتقديم خالد جعفر، نُصِّلت للطباعة والنشر، حلب، سورية، ط 1، 2004م، ص 87.

- الري:

اهتم الفرس بالري فقاموا ببناء العديد من الأقنية لجر المياه إلى المناطق الزراعية قليلة المياه، وبشهد على ذلك بقايا تلك الأقنية التي حفروها تحت الأرض لجر المياه من المناطق المرتفعة إلى المناطق السهلية المنخفضة، والهدف من ذلك كان زيادة مساحة الأراضي الزراعية بتوفير المياه التي تعد عصب العمل الزراعي.

أما ملكية هذه القنوات فتعود إما للملك أو للمعبد، وأحياناً لبعض المتنفذين، وقاموا ببناء السدود على الأنهار الموجودة في بلادهم، فكانوا يفتحون السدود في وقت الفيضان، وعند نهاية الفيضان يغلقونها، وربما كان ذلك للحفاظ على منسوب المياه في النهر، الذي ربما استخدم لغابات أخرى غير الزراعة. وكانت أعمال حفر الأقنية وبناء السدود منوطة بمجموعات من السكان وتحت إشراف الحكام لتأمين مياه الشرب للمدن أو لتأمين المياه للزراعة⁽¹⁾، وعلى رغم كل هذه الأعمال سادت الفوضى في الحياة الزراعية بين حين وآخر، بسبب الحروب وعدم الاستقرار السياسي.

- أشكال الزراعة وأنواعها

زرع الفرسون أراضيهم على شكلين: الأول هو الزراعة البعلية، ومثلها زراعة القمح والشعير، والثاني: هو الزراعة المروية ومنها زراعة الأرز والخضروات. وسقيت من الينابيع والأنهار والقنوات، وكانت الزراعة الشكل الاقتصادي السائد في أغلبية أراضي المملكة، حتى أهل المدن عملوا في الزراعة مما يدفع للقول: إن المدن الإيرانية تغذت طابعاً زراعياً.

¹ - Tafazzoli, A, A List of Trades and Crafts in the Sassanian Period, Tehran, -

1974, pp 191-96

أما أنواع المزروعات فقد زرع الفريثيون القمح والشعير والأرز والفواكه والخضروات،
فتضمنت المحاصيل الحبوب كالدخن، والعدس، والحمص، والعلف كالبرسيم، والنباتات الصناعية
كالكيان، والقنب، والقطن، والأشجار المثمرة كالعنب، والتين، والبنديق، بالإضافة إلى الخضار، أما
المشمس وأشجار الزيتون ربما قلما نسبيا في فترة متأخرة⁽¹⁾.

وشكلت الخضروات والفواكه مصدراً رئيسياً للغذاء في إيران حيث زرع الفريثيون البصل
والخيار والتفاح والرمان والمشمس. ومما يؤكد هذا الاتجاه وجود أماكن لتصنيع الخل والنبع، حيث
استهلكت هذه الأشياء إلى جانب الشعير في الغذاء اليومي⁽²⁾.

– الضرائب:

لقد تشابه النظام الضريبي عند اليونانيين والفريثيين، ومن المرجح أن الفريثيين تأثروا بنظام
اليونانيين الضريبي ووجدوه مناسباً لبلادهم فاعتمدوه.

ومن الضرائب التي وجدت في فارس ضريبة انتقال الملكية الزراعية من شخص إلى آخر.
وضريبة على عائدات الأرض، وما تغله من محاصيل، وكانت موارد الفريثيين من عائدات الأراضي
الزراعية كبيرة جداً، وكذلك فرضوا ضريبة الرأس وهي ضريبة شخصية؛ ولا تعرف نسبتها ولا نوعية
الحاضرين لها، كما أنها اتخذت عدة تسميات، لكنها بالنتيجة تعطي المعنى نفسه كضريبة النفوس أو
الأشخاص أو الرأس⁽³⁾.

أما عن كيفية جمع الضرائب السابقة، فكان عن طريق الجباة المكلفين بمختلف الولايات وورد
في أحد النقوش ذكر لجبايين كانا يتلقيان تعليمات ملكية، ولا شك

¹ - رضائي، Geschichte Iran، جلد ششم، ص 601. سايكس، المرجع السابق، جلد أول، ص 456.

² - Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

³ - دياكونوف، لغشيتس، المرجع السابق، ص 106، 111.

أما موظفان مذكوران، وإضافة إلى هؤلاء الموظفين الملكيين كانت الجباية أيضاً بوساطة متعهدين. وكانوا يكلّفون الجباة بمراقبة الإنتاج، وتحديد حصص الدولة والمعبّد، وذلك حفاظاً على حقوق كل من الفلاحين والدولة، وعليه كان معظم الجباة يعنون من طرف رجال الدين، وراعوا حالة المحاصيل السنوية، فخفضت الضرائب في السنوات العجاف، وزادت في السنوات الخيرة. وكانت جباية الضرائب عن طريق الموظفين الملكيين أفضل بكثير من نظام التعهد، فالموظف الملكي كان من جانب رجال الدين، وهذا ما يخفف العبء الواقع على الفلاح، أما نظام التعهد فيقوم على أن يدفع أحد المتنفذين الضرائب للدولة، ويقوم هو بجبايتها، وهذا بدوره يؤدي لوضع الضريبة التي يريد المتنفذ، وبالتالي تتضاعف الضريبة ويكون الفلاح ضحيتها؛ لأن المتنفذ يحصل الضريبة التي دفعها، والأموال التي يريد جمعها.

ومن بين الضرائب قسم من الإنتاج الذي تنتجه الأرض، وتراوح قيمتها بين العشر والعشر ونصف، وذلك حسب خصوبة الأراضي، وهذه الطريقة لم يُعَفَّ أحد من الضريبة⁽¹⁾. وإذا أضفنا للسنوات العجاف إجحاف مأموري الضرائب في جبايتها، يلاحظ أن ذلك يشكل ضغطاً إضافياً على الفلاحين خاصة، وزاد الأمر سوءاً لعدم تمكن المزارع من الحصول على حصته من الإنتاج، قبل أن يأخذ الملك حصته. كل ذلك أدى لعدم اكتراث الفلاح بالعمل أمام عدم زيادة الدخل. وعندما وصل الماسانيون للحكم لمسوا المشكلة، وعملوا على وضع حل مناسب لها، كإصلاح نظام الضرائب.

¹ - دأنش بژوه، المصدر السابق، ص 328. ذكر الفردوسي إن الضريبة كانت قبل عهد قباد الأول تصل إلى الثلث والرابع. الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123.

٣- تربية الحيوان:

ربى الفريوني الأغنام والماعز والأبقار والخنازير والخيول والجمال، والدواجن والأسماك أيضاً، ولم تكن تربية المواشي محصورة بالوجهاء من المجتمع الفريوني بل يمكن من تربيتها الأحرار أيضاً. وما يجدر ذكره هنا هو أن الثروة الحيوانية كانت تؤلف أساساً مهماً في الحياة الاقتصادية عدا أهميتها في الشؤون الزراعية والمواصلات. ولكن مع ذلك لم يكن لمنتجاتها دور رئيسي في نظام الغذاء. ولا تقتصر أهمية الحيوانات الأليفة (الثيران، والخراف، والدجاج، والبط، والإوز، والنعام)، على الغذاء من خلال توفير اللحم، والحليب، حيث استهلك الفريوني لحم الخراف أكثر من غيره، بل قدمت مواداً أولية للحرف كمواد لتصنيع المنسوجات^(١). وقد تركزت تربية الماشية في المروج وعلى السفوح الجبلية، وأحياناً كانت تربي في حظائر، وتتغذى على العلف، كالحبوب. وقد شغلت تربية الخيول حيزاً كبيراً من اهتمامهم؛ حيث ربوها في المنطقة الشمالية الشرقية، نظراً لطبيعة البلاد المساعدة على ذلك، وتوارثوا تربيتها عن الآباء والأجداد، وذلك بفضل الخدمات الكثيرة التي تقدمها لهم، سواء في الحرب والحمل والنقل والصيد والزراعة والدفاع.

٤- الحرف

ازدهرت الحرف إلى جانب الزراعة والتجارة، بفضل الاستقرار الذي ساد في البلاد، بالإضافة إلى الرخاء الذي عمَّ كُلَّ جوانب الحياة. وإزاء قلة المعلومات الخاصة بالحرف في فارس، فليس بالإمكان توضيح النظم التي قامت عليها الحرف، إلا من خلال العموميات التي نقلتها بعض المصادر، وما وجدته البعثات التنقيبية الأثرية التي

^١ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 256. محمديان، المرجع السابق، ج 2، ص 1184.

أحرقت في بعض المناطق الخاضعة لهم، والتي يثبت قيام العديد من الحرف وازدهارها، كما يثبت تنوع هذه الحرف ومدى تطورها.

ويمكن تقسيم الحرف في فارس إلى قسمين: الأول؛ ما يمكن تسميته بالحرف الثقيلة كحرفة التعدين، والثاني؛ الحرف الخفيفة التي تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية، و يندرج في بنودها الحرف الغذائية والنسيجية وغيرها.

كنتيجة حتمية لسعة البلاد، وتعدد مراكزها، بالتالي، حاجة سكان هذه المراكز والمناطق المحيطة بها إلى بعض المنتجات الحرفية الخفيفة، واستبعاد استيراد هذه المنتجات، ولو كان استيراداً داخلياً لصعوبة هذه العملية نتيجة ترامي هذه المراكز والأصقاع، فقد كان من الصعب على الدولة أن تمارس سيطرة معينة على الحرف، باستثناء بعض الحرف التي كانت تختص بها منطقة بعينها دون غيرها مثل حرفة الأواني الزجاجية، حيث أوجد القطاع الملكي ورشات كبيرة للإنتاج، في فارس وبابل.

كلى ذلك يدفع للاعتقاد أن الدولة لم تشجع بعض الحرف وتحمي بعضها من منافسة البضائع المستوردة فقط، بل سمحت لمعظم الحرف الخفيفة أن تكون حرة في معظم مراكز المملكة، ولكن تحت رقابتها ضماناً لحقها في تحصيل الضرائب الواجب أدائها على أرباب الورشات والحرف.

- أهم الحرف:

تنوعت الحرف في فارس، اعتمد بعضها على المنتجات الزراعية كالحرف الغذائية والنسيج، في حين اعتمد بعضها الآخر على المعادن كالأسلحة والأواني المثلوية ومواد الزينة، ناهيك عن استخدام الفخار على نطاق واسع في أرجاء البلاد.

وقد أنتجت بلاد إيران الذهب، والفضة، والنحاس، والجواهر النادرة، والمواد الثمينة، ونسج صنّاع إيران نسيج السندس الحريري والأقمشة الصوفية والسجاد وغيرها، إذ كان السجاد البابلّي من أهم المواد التي رغبت الصين باستيرادها من إيران¹.

ومما ساعد على ازدهار الصناعة أنه كان من عادة الفرس عند استيلائهم على مدينة ما، أن يحملوا معهم مهرة الصّناع والحرفيين إلى بلادهم، حيث يسكن هؤلاء في مواقع مخصصة لهم، مما أسهم في تطوير بعض الصناعات كصناعة الخزف والزجاج والحرير وغيرها².

— الفخار:

استخدم الإنسان الفخار منذ أقدم العصور وصنع منه أدواته المختلفة، وقد تميز كل مجتمع بنوع خاص من هذه الحرفة، واختلفت في النوعية، والزخرفة والشكل وطريقة الصنع.

والفخار مادة غير قابلة للتحلل كالخشب والمنسوجات والجلد، ومن هنا يتلبّس دوره في الكشف عن التسلسل التاريخي للحضارات، بالإضافة لذلك يعدّ وسيلة لمعرفة علاقة المجتمعات بعضها ببعض، عن طريق انتشاره ومدى تأثيره بأساليب المناطق المجاورة.

ومن الثابت تاريخياً أن الفرس كغيرهم من الأمم استخدموه نظراً لتوافر المواد الأولية اللازمة له، وإن تفاوتت جودته ونوعيته فهذا يعود إلى الخبرة والمعرفة، وكذلك يعكس درجة تحضر المجتمع.

¹ - كريستنسن، المرجع السابق، ص 115-117.

² - كريستنسن، المرجع السابق، ص 115. جعفر عيسى، المرجع السابق، ص 409. هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ج 1، ص 34-35.

وكان طبعياً أن يترتب على الاهتمام بحرفة النسيج، والحلل، والألبان، تنشيط حرفة الأواني الفخارية لتعبئتها وحفظها. لذلك فإلى جانب مراكز هذه الحرف القديمة التي لم تكف بإنتاج ما ألفته من أنواع الأنية الفخارية المختلفة نشأت مراكز جديدة لصناعتها.

وتنوعت أشكال وألوان الفخار المستخدم في تلك الفترة فظهر الفخار الأحمر الذي وجد في التنقيبات التي أجريت في نساء، وظهرت أنواع أخرى مزوجة بمواد أخرى غير الطين الفخاري، كالرمل مثلاً وبعض القش، وربما كان ذلك لزيادة متانتها، وبالإضافة إلى ذلك فقد برزت على شكل الأنية الفخارية بعض الحواف الخاصة، وذلك لكي تساعد على سكب ما تحتويه من مواد غذائية.

— سك النقود

سكت النقود في فارس من المعادن على اختلاف أنواعها فوجدت النقود النحاسية والفضية والذهبية، فكانت سلسلة إنتاج العملات المعدنية، والمبدليات المصنوعة من الذهب والفضة، التي وجدت في الحفريات الأثرية لمدينة الري وتعود للفترة الفارسية. ونقش عليها صورة الملك، والآلهة وأحياناً وجدت عليها صور للآلهة اليونانية، التي ربما يعود سببها إلى أن الفارسيين على سك النقود كانوا من اليونان.

وسميت وحدة النفود الفارسية الدراهما وهي كلمة يونانية الأصل، وكان وزن الدراهما لديهم يعادل أكثر من أربعة غرامات، وكان على فئتين أربعة غرامات والغرام الواحد⁽¹⁾. وبعد أن سك ميثراداتيس الأول النقود ورسم عليه صورته، أمر بسك نقود جديدة كتب على أحد وجهيها باليونانية كلمة محب الهلانيين، وعلى الوجه الآخر

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 151. إيراني، إيران باستان، جلد سوم، ص 2675. إيراني، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ص 217.

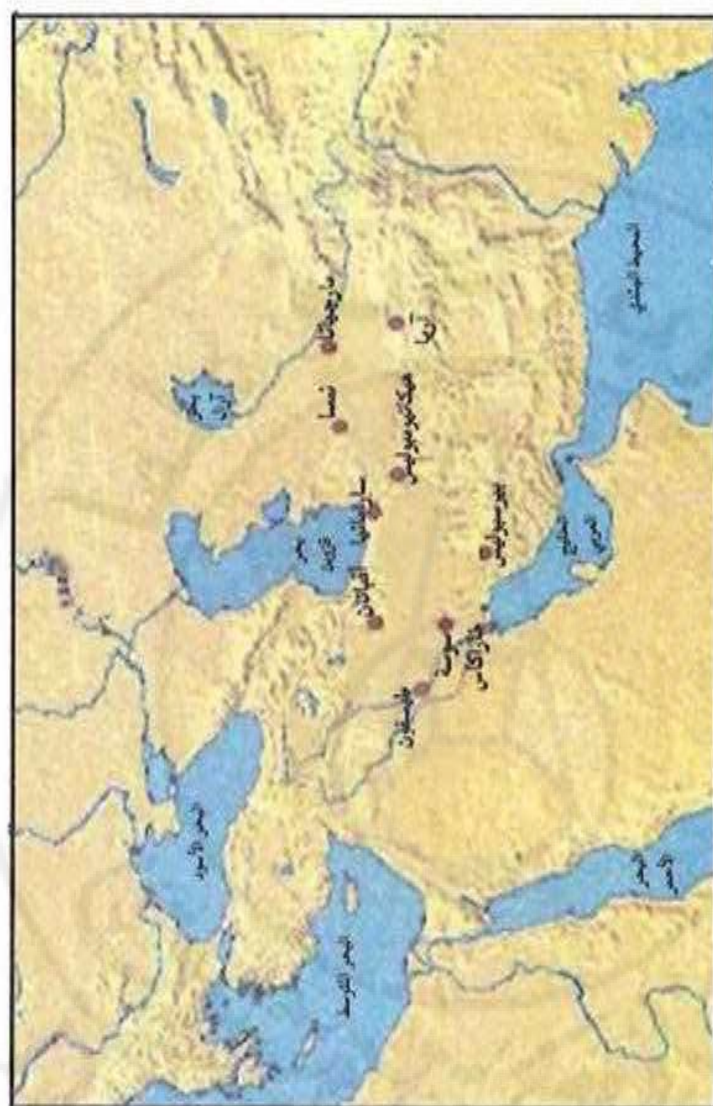
نقش أحد الآلهة اليونانية، وبعد عهد ميثراداتيس الأول وجدت رسومات وكتابات مختلفة على النقود الفرثية، كملك الفرثيين العظيم، أو الكبير. والملك العادل وغير ذلك من ألقاب.

ومن العبارات التي نقشت على النقود العائدة لعهد أرتابانوس الأول العبارة التالية "أرشاك الملك الكبير، محب المهلبيين"، وفي عهد ميثراداتيس الثاني نجد لقب "الملك العادل، والكبير والمشهور، وصانع الخير"¹.

كما ظهر الناتج على النقود كالنقود العائدة لميثراداتيس الثاني، ووجد الكثير من النقود في الحفريات الأثرية لبلاد ما بين النهرين والري، وهي ذات نقوش مختلفة.

وقد وجدت دور لسك النقود في مختلف المدن الفرثية كأقباتان، وطيسفون وغيرهما. ويدل انتشار مراكز سك النقود على استقلالية الولايات اقتصادياً كما يدل على اعتماد النقود كأساس التعامل الاقتصادي. وتعد النقود من أفضل الوسائل لمعرفة تسلسل الملوك، ومعرفة ألقابهم، وذلك لأنها صنعت من مواد مقاومة للتلف.

¹ - اللهى (حبيب الله آيت): تاريخ هنر، مركز مطالعات فرهنگی - بین المللی، سازمان فرهنگی وارتباطات اسلامی، انتشارات بین المللی الهدی، تهران، ج 1، ص 1380، ص 120. بحث، المرجع السابق، ص 261.



مراكز ملك القود في المملكة القروية

<http://www.gutenberg.org/files/16166/>.

من الأسلحة:

مما لا شك فيه أن حرف إنتاج الأسلحة وخاصة الثقيلة منها، وما تتطلبه من حرف تعدينية تستلزم بذل الكثير من المال والجهد من أجل تحقيق تقدم ملموس في تطويرها، تجعل من المستبعد قيام حرفرة لصناعة الأسلحة الثقيلة، لكن يمكن ترجيح فكرة قيام الدولة أو الملك بإنشاء ورششات لإنتاج هذا النوع من المنتجات.

استخدم الإيرانيون خلال عصورهم التاريخية المختلفة، أنواعاً مختلفة من الأسلحة والدروع في المعارك والحروب، أو في الحالات العادية. وقد أثبتت التنقيبات الأثرية في المناطق الشمالية؛ وكذلك التنقيبات في المنطقة الجنوبية الغربية وجود عدد كبير وتشكيلة واسعة من الأسلحة البرونزية كالخنساجر والسيوف، وبعض قطع الدروع.

وتشير الدلائل إلى استخدام هذه الأسلحة منذ العصر الأحميني إذ عثر على سيوف وخنساجر تعود لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، فهناك خنجر مقوس، وخنجر ذو حدين وسكين ذو حد واحد، وأيضاً الرماح وغيرها من الأسلحة التي استخدمت آنذاك، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأسلحة كانت مزينة بالرسوم، وبعضها موشى بالذهب أو الفضة، وحمل بعضها زينة كالكرة، وأيضاً عثر على ما يسمى الصولجان؛ على هيئة العصا أو الكرة، كما برزت صولجانان إنسانية أو حيوانية الرأس. بالإضافة إلى ذلك عثر على الكثير من القوس والدروع المختلفة التي استخدمت لحماية الإنسان وصنعت من الفولاذ.

وقد قسمت الدروع إلى عدة أقسام منها لليد، والذراع، والخذة، والساق، وحامي الركبة، وحامي الساق، وغيرها من أجزاء الدروع التي وجدت في تلك الفترة، ناهيك عن الأقواس وخاصة المركبة التي شملت هي الأخرى عدة أجزاء كالخشب والوتر. ولم تقتصر الدروع على الفرسان بل امتدت لتطال الخيول أيضاً حيث صنعت دروع خاصة لهم لتقيهم السهام والرماح.

وزينت هذه الأسلحة بالشعارات والرسوم، فهناك شعار للأسد وللشمس وللثور، ومن المرجح أن كل شعار من هذه الشعارات قد حمل معنى معيناً. ولم تصنع كل تلك الأسلحة من الحديد بل وجدت أسلحة من المعادن الثمينة، كالختاجر الفضية والذهبية⁽¹⁾.

— الأواني المزلية.

شكلت الأواني المعدنية نسبة من الأواني التي استخدمها الفرس في حياتهم اليومية، كالقدور والأطباق، والسكاكين، ومقابض الأواني والأفداح، وكانت هذه الأواني بمعظمها تصنع من البرونز و النحاس والحديد. كما ساد استخدام الأواني الفخارية التي كانت على درجات متفاوتة، منها المصنوع بمهارة عالية والمزين برسوم جميلة، ومنها البسيط، كما تنوعت أنواعها فكانت على شكل فسفور وأطباق، وحرار.

وبالإضافة إلى ذلك وجدت الأواني التي تصنع من الذهب والفضة، وكانت للطبقة الغنية مسن المجتمع، وعلى رغم عدم العثور على بعض المتاحات منها لكن هذا ليس دليلاً على عدم وجودها⁽²⁾.

— أدوات الزينة:

شغلت أدوات الزينة حيزاً جيداً في فارس، وإن كانت عملية التزيين مقتصورة في معظم الحضارات على النساء، فقد امتدت لتشمل الرجال والنساء معاً، فوجدت الزينة للنساء وخاصة تلك التي تعني بحمال العنق والأذنين والرأس فطوقت النساء أعناقهن بالعقود الجميلة وزينت آذانهن بالأقراط.

¹ - اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص 204 - 205.

² - التميم، المرجع السابق، ص 172.

ولم تقتصر الزينة على البشر بل امتدت لتطال البيوت التي زينت بتحف فنية تستحق كل التقدير، فقد عثر على بعض الكؤوس بأحجام مختلفة، وتتمتع بتقنية فائقة الدقة في الصياغة؛ الأمر الذي يدل على تقنية كبيرة وذوق رفيع.

- حرفة الزجاج :

الزجاج من الحرف المنتشرة في المراكز الحضارية، وقد أكدت الحفريات وجود القطع الزجاجية في المراكز التي أجريت فيها التنقيبات، وقد شكل الزجاج مادة جيدة وجميلة للحلي، فأوجدوا منها الأساور والأقراط، والخواتم، والحرز وغيرها من مواد الزينة التي كانت تصنع خصيصاً للنساء.

وكان لبابل شهرة خاصة في حرفة الزجاج منذ أمد بعيد وانتعشت أكثر، وظهرت مراكز جديدة لهذه الحرفة، إلى جانب مراكزها القديمة، فصُنعت أنواع جديدة من الأنية الزجاجية، ونستدل على ذلك بما وجد من بقايا أثرية في طيسفون، وذلك خلال التنقيبات التي كشفت أدوات المطبخ التي استخدمت آنذاك.

وكان أحد هذه الأنواع يمتاز بأن كؤوسه وأطباقه موشاة بالفضة، ونعلم الشيء القليل عن نشاط فناني النقش على الزجاج، هذا الفن الذي يعد استمراراً لتقاليد الفنانين الإيرانيين المشهورين في العالم القديم، وكان لهم أثر في تطور فن النقش.

ومن المحتمل أن مركز عمل هؤلاء الفنانين كان سورية وأرمينية أو باكتريا، حيث وجدت منتجات معينة من فن النقش على الزجاج، فقد وجدت بعض الكؤوس الفضية والذهبية في سيبريا، مستوردة من إيران⁽¹⁾.

¹ Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p 539- ..

وقد زخرت معظم المصنوعات الزجاجية بزخارف تنم على ذوق رفيع، ومعرفة دقيقة بهذه الحرفة. وهكذا حققت هذه الحرفة خطوات كبيرة من التقدم، وزودت العالم بالسلع الممتازة وبشكل عام يمكن القول، إن المؤسسات الحرفية قد وصلت إلى درجة من الاتساع والتطور لم نعهد لها من قبل.

— التجارة:

شكلت التجارة مصدراً مهماً من مصادر الدخل في إيران القديمة، وكان لها علاقات تجارية مع بلاد الهند والصين في الشرق، ومع الرومان في الغرب. وأدى الموقع المتوسط للمهضبة الإيرانية بين الرومان في الغرب، والصين و الهند في الشرق، إلى تبوؤها دوراً رئيسياً في التجارة وتبادل المنتجات، وهذا ما جعل منها مركزاً تجارياً مهماً، دفع بالدول المجاورة إلى كسب ودها، والحفاظ على علاقات حسنة معها. وكان للعداء المتوارث بين الإيرانيين الراغبين بالتوسع غرباً واليونان والرومان الراغبين بالتوسع شرقاً، دور في دفع الجانبين للعمل إما لاستغلال الطرف الآخر، أو للحد من الأرباح التي يجنيها، لذلك حاول الرومان الوصول إلى الشرق دون وساطة الفرس.

— مواد التجارة:

كان الحرير من البضائع التجارية الصينية الأكثر أهمية، إضافة إلى الجلود، كما كانت بضائع الهند على أهمية كبيرة، فحاء منها العطر والفلفل والمعادن والصباغ والمستحضرات الطبية. وكانت خيوط الحرير تمثل مورداً مهماً من موارد الثروة، حيث تسمحت أصناف متعددة ومتنوعة من الحرير الطبيعي الجميل الملون. وبقيت شعوب الشرق الأقصى

تحتكر صناعة الحرير وتصدره لتحتج الأرباح الطائلة من تجارتها، حتى نعرفت الشعوب الأخرى إلى طرق للوصول إليه في مرحلة متأخرة من التاريخ⁽¹⁾.

وتميز الحرير بلونه الأبيض الضارب إلى الصفرة، وخصائصه المتميزة العديدة من نعومة ومتانة وشفافية جذابة وجميلة، ولكل ذلك حرص الأغنياء على شرائه للظهور به بمظهر الترف والفن والجمال.

استخدم الحرير في صناعة الملابس الحريرية التي كانت مطلوبة في روما، منذ القرن الأول الميلادي ليس فقط للنساء بل للرجال أيضاً، حيث ارتدوها للظهور بمظهر العظمة والجلال وإنسالة شعور التقدير والإعجاب في نفوس الآخرين وقد استخدم منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، في الصين. وكانت ندرة الحرير وارتفاع ثمنه يحول دون حياكة الملابس من الحرير الصافي، فلجأ الخالكون إلى مزجه بخيوط أخرى أكثر توافراً وأرخص ثمناً كالخيوط الكتانية على سبيل المثال، وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى إعادة استخدام الخيوط الحريرية أكثر من مرة. وكانت التجارة مع الصين من أهم العوامل التي ساعدت على تطور حرفة النسيج⁽²⁾.

لم تقتصر التجارة على الحرير فقط، بل كانت هناك مواد تجارية أخرى إلى جانبه في التبادل التجاري كالأحجار الكريمة ومنها البشپ، أو اللجات، الذي كان يوجد

¹ - دهاكونوف، المرجع السابق، ص 96-97. قبل (أرنست)، ندمر وطريق الحرير، ترجمة إيمان سندهان، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول ندمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42، ص 94.

² - عياطة (محمد وسيد)، علاقات ندمر الخارجية تجارياً ودينياً، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول ندمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42، ص 164-165.

بكثرة في الحافة الغربية لاضفاف حوض نهر تاريم، وكذلك الأصداف والودع، التي كان مصدرها على الأرجح من الاتصال بملاححي المحيط الهندي، عبر جزر ملديف.

واستورد الحرير من الصين، وكان اليشب من غوطان، والسجاد من كشمير وفارس، والعاج والماس من الهند، كما استوردوا من الشرق القرفة والفلفل وجلود النمر والعنبر والبحور والأحجار الكريمة والرقيق، وصدروا إليه الأبنوس والزجاج والفخار والعطور والذهب والأقمشة.

إن مقارنة الصادرات والواردات تبين بشكل واضح أنها اقتصرت على البضائع غالية الثمن، وخفيفة الحمل، وكذلك البضائع النادرة في المناطق المنقوطة إليها، فحملوا للشرق ما يحتاجه، ونقلوا للغرب التوابل والحرير وزينة الشرق.

وكان الطلب على البخور واللبان والعطوب مسبباً لازدهار تجارتها بين الغرب والشرق، ونظراً لحاجة الكنيسة المتزايدة إليه في الطقوس الدينية، فكانت أحماله تتجمع في جنوب شبه الجزيرة العربية، عند موقع تمنع Thomna، لنتجه شمالاً نحو البتراء حيث تنفرع إلى فرعين الأول يتجه شرقاً إلى ندمر، والثاني غرباً إلى غزة على ساحل المتوسط، أما اللبان فقد استخدم في الطب بشكل كبير.

وفي هذا دلالة واضحة على المكانة الكبيرة التي استحوذت عليها المعتقدات الدينية، ودلالة غير مباشرة على تطور الطب في تلك المرحلة، وتنوع مواد العلاج.

وكان من الطبيعي أن تحظى تجارة المنسوجات بأهمية بالغة وذلك بسبب سهولة نقلها من جهة، وخفة وزنها والحاجة الملحة لها من جهة أخرى، فمن غير المستغرب أن تحتل هذه التجارة مركزاً ريادياً عبر مسافات شاسعة امتدت من الصين إلى فارس، حيث قام الفرس بنقل المنسوجات إلى مراكز التجارة في الغرب مثل دورا أوروبوس وتدمر. كما شكّلت المنسوجات المثلثة بالذهب والفضة، والأقمشة والألبسة الحريرية، وريش الطيور والمصنوعات والجلود، جزءاً رئيسياً من صادرات إيران، بالإضافة إلى الباقوت الإيراني.

ومرجان البحر الأحمر. وبدأ يظهر تمايز بين التجار أنفسهم، فهناك التاجر الذي يُصدّر والتاجر السدي يعمل في السوق الداخلية، مما ساعد على زيادة عدد السامسة.

وكان التبادل التجاري مرتبطاً بالظروف الداخلية للفرس، والإمبراطورية الرومانية، وكذلك دولة الصين، وكانت الحروب أكثر العوامل تأثيراً عليها، فقد أدت لإضعاف وتيرة التبادل التجاري، وذلك لأن الجيوش تسلك الطرق التجارية نفسها، لذلك ضعفت عمليات التبادل التجاري في فترات الاضطرابات، والثورات الداخلية التي شهدتها الدول القائمة على طرق التجارة¹.

وقد دفع تطور التجارة الملوك إلى زيادة بناء الطرق والتوسع فيها، كما توسعوا في بناء الخانات، والمستودعات، وخزانات المياه. كل ذلك فرض وجود أشخاص للقيام بعمل هذه الأعمال، كما فرض رقابة شديدة على المخططات التجارية الحدودية والموانئ البحرية، كما أسهم في إيجاد مراكز تجارية في المناطق البعيدة، فغدت سواحل البحر الأسود مراكز لاستقرار التجار وتبادل البضائع.

- العلاقات التجارية للفرثيين:

- مع الصين:

نظراً لأهمية تجارة الحرير سعى الصينيون إلى العمل والتوسع نحو المناطق الشمالية التي يكثر فيها شجر التوت ودودة القز، وذلك للحصول على الحرير ونسجها

¹ - رضائي، مسكنه تاريخ إيران، جلد ششم، ص 609. فرزات، المرجع السابق، العدد 39 - (40)، ص 102-103. شعث (شوقي)، طريق البحور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوسائل التنويع الدولية حول ندمر وطريق الحرير، المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42، ص 152. عبد الوهاب (لطفى يحيى)، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، 1990م، ص 111.

وتصديرها، بالإضافة إلى ذلك، رغبهم بالدفاع عن هذه الأماكن وإقامة التحصينات حولها لمنع انتقالها إلى الآخرين.

وبعد أن سيطر الصينيون على شمال البلاد بدؤوا بالتوسع خارج حدودهم، فتوسعوا نحو الغرب وأخضعوا مملكة كوتشا (كوشان)، وسيطروا على ممرات هضبة بامير التي اعترف أمرؤها بالسيطرة الصينية على بلادهم، وبذلك أصبح الصينيون على تماس مباشر مع الفريسيين، وأصبحوا أكثر قرباً من الغرب الروماني، حيث أرسلوا مبعوثاً مهمة دبلوماسية إلى الرومان لإقامة علاقات تجارية معها في الوقت نفسه كانت روما تتلمس طرقاً للوصول للشرق.

وكانت العلاقات الرومانية مع الصين حسنة لدرجة أن إمبراطور الرومان لم يجر إرسال مبعوثيه إلى الصين، ولكن ما الذي منعه من إرسالهم؟ إذا كان إمبراطور الرومان لا يستطيع أن يحقق أمنيتهم، فهذا يدل على وجود أسباب جوهرية لمثل هذا المنع؟ نعم لقد كان الفريسيون يشكلون عقبة أساسية في تطور العلاقات التجارية الصينية الرومانية، إذ سعوا دوماً للسيطرة على طرق التجارة والاستثمار بتجارة الحرير (إن حاز التعبير¹).

وكان منيراً أن يتطلع الصينيون للاتصال بحضارة البحر الأبيض المتوسط، ولكن على ما يبدو ساءرت الفريسيين الشكوك حول تحالف يمكن أن يحصرهم ضمن فكي كمنشة إذا ما تم أي اتصال دبلوماسي بين الصين التي أصبحت على حدودهم الشرقية، والرومان الذين كانوا يواجهونهم على الجهة الغربية، ولهذا بدؤوا قصارى جهودهم لمنع دخول أي وسيط آخر سواهم على طرق الحرير البرية.

وأقام التجار الفرس علاقات تجارية مهمة مع الصين في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وتميزت تلك العلاقات بالسفارات التجارية القادمة من فارس والمحملة بالهدايا

¹ - أبو عساف (علي)، طرق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص لطريق الحرير - طريق الحرير، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39 - 40، ص 77.

النسبة، إلى البلاط الملكي الصيني. وبالمقارنة مع العلاقات التجارية الفارسية الهندية، التي لم تكن على سوية واحدة كالعلاقات مع الصين، فقد حافظ القرثيون على عبور الطرق التجارية البحرية، عبر الخليج العربي والطرق البرية عبر بلخ، حيث وصل هذان الطرفان إلى مصب نهر السند.

لقد استغلوا موقع بلادهم المتوسط بين الرومان والصين، فتاجروا بالحرير الصيني القادم من الشرق، والبلور الروماني، والكنان، والمنسوجات الذهبية، والفضية، والأواني الفخارية الموجهة إلى الشرق، وبذلك جنوا الكثير من الأموال والذهب، حيث لزم على طرق التجارة التي تربط الشرق بالغرب المرور عبر الأراضي القرثية، وهذا ما مكنتهم من السيطرة والتحكم بالتجارة.

وهكذا كان القرثيون صلة الوصل بين الشرق والغرب، ولم تكن فوقهم هي السبب؛ بل كان لموقع بلادهم المتوسط بين الطرفين دور بارز في سيطرتهم على التجارة، كذلك فإن امتداد بلادهم إلى الجنوب نحو المحيط الهندي جعل إمكانية تجاوزهم أمراً صعب المنال، ولذلك كانوا الوسطاء بفعل موقع بلادهم.

وسعى الفرس دوماً للبقاء على دور الوسيط بين الشرق والغرب، وذلك لضمان استغلال الطرفين، وجعلهم يقتنعون بالأسعار التي يفرضونها عليهم، كما أن التجارة تأثرت كثيراً بالعلاقات القرثية الرومانية التي غالباً ما انطبعت بطابع الحروب والمعارك، وهنا تأثرت طرق التجارة كثيراً بسبب انعدام الأمن، وحتى التنظيم منها لم يكن آمناً فانعكس ذلك على جميع الأطراف بما فيها بلاد فارس.

وميزت المدن التجارية على هذه الطرق بالغنى والازدهار، وبشهد على ذلك بقايا تلك الأبنية التي ما تزال شاهداً على عظمة البناء وروعته وفخامته.

— مع الرومان:

كان هناك تبادل تجاري بين فارس وروما، حيث استوردت فارس المعادن المختلفة من روما، وصدرت لها الأنسجة والتوابل، وكانت بابل مصدر إنتاج النسيج الرئيسي، والذي شمل الحرير المعروف بالألوان المختلفة، والسجاد الملون. بالإضافة إلى العطور والتوابل التي كانت تستخدم بشكل كبير من قبل السيدات الرومانيات، وتشكل رمزاً من رموز الطبقة الرفيعة في المجتمع الروماني.

و كانت روما ترسل المصنوعات المعدنية والزجاج، والزجاج الملون، الذي يشمل جميع الأواني والزجاج المنقوش والفلايت، وكانت العلاقات التجارية مع الرومان تقوم على سياسة حدقة مع القرثيين الذين عملوا للحصول على أكبر كمية ممكنة من الذهب الروماني لمنحهم البضائع القادمة من الشرق عبر بلادهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كمية الواردات من الرومان لا تتوازي مع كمية الصادرات القادمة إليها من فارس⁽¹⁾.

وتحرك الرومان للاتصال بالشرق الأقصى منذ أن وطئت أقدامهم منطقة الشرق في القرن الأول قبل الميلاد، فحاول الرومان أن يرثوا التقاليد التجارية لدول المنطقة، ولاسيما البطالمة السديين كسانوا يتعاملون مع الممالك التجارية العربية وعلى رأسها الأنباط واليمن، ومن هنا حاولت روما ومنع يدها على التجارة البحرية القادمة من الشرق عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر وذلك لتأمين وصول التوابل والعطور والأقمشة النفيسة من الهند والشرق الأقصى، وكان التجار العرب والهنود يحتكرون بحارة هذه البضائع كل في منطقة نفوذه، لكل ذلك أراد الرومان السيطرة عليها وبدلوا الذهب والفضة في سبيل ذلك. وقد حاول الرومان السيطرة على طرق التجارة، وحرمان القرثيين منها، ولذلك قرروا في عام 52 قبل الميلاد استعمال القوة ضدهم، فكانت المعركة

¹ - دياكونوف، المرجع السابق، ص 96-97.

الفاصلة بينهما في حران، حيث انتصر الفرثيون على جيوش الرومان انتصاراً باهراً، وأبادوا جيشهم وقتلوا قائده كراسوس⁽¹⁾.

— طرق التجارة:

— طريق التجارة البري (طريق الحرير):

بعد الاستطلاعات والتنقيبات التي أجريت في كثير من المواقع التاريخية والأثرية في آسيا، تمكن الباحثون من تحديد طريق القوافل التجارية القديمة المعروفة بطريق الحرير، التي كانت تصل بين الصين في الشرق الأقصى، وحوض البحر الأبيض المتوسط، مروراً ببلاد فارس، خلال فترات عديدة امتدت من القرن الثاني قبل الميلاد، وحتى القرن الرابع عشر الميلادي.

وكان محور العالم الأكثر أهمية للتجارة الدولية في العالم القديم يمتد من الشرق إلى الغرب، ويليه في الأهمية محور آخر يسير بعكسه من الغرب إلى الشرق، وقد نقلت التجارة المتداولة في طسرق هذين المحورين على طرق برية، وبحرية أطلق عليها بعض الباحثين مسمى طريق الحرير نسبة إلى الحرير الصيني الذي كان يعد أنفس سلعة ينقلها التجار على هذه الطرق.

وكان لطرق الحرير المتجهة من الصين شرقاً مساران رئيسيان: أحدهما شمالي وهي طريق الحرير البري الذي يجتاز هضبة بامير وممراتها وتصل إلى سمرقند ومنها إلى مرو فبنسا القديمة مروراً بشاهروود إلى الري، وتنطلق منها إلى همدان فمدن الحدود الفارسية الرومانية، حيث تنفرع إلى فرعين الأول: ينحدر إلى تدمر في سورية، حتى يصل إلى الرومان. وهذه

¹ — جيمان (نعمان محمود)، محاولات المغول للسيطرة على طريق الحرير، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص بطريق الحرير طريق الحرير، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39 - 40، ص 138. رضائي، مبحثه تاريخ إيران، جلد ششم، ص 606. فرزات، المرجع السابق، العدد 39 - 40، ص 101.

هي طريق الفرات التي كانت تصل بين بلاد الرافدين، وحوض البحر الأبيض المتوسط. وكانت هذه الطريق تصل تدمر بالمراكز الكبرى في بلاد الرافدين، وبابل القديمة، والثاني يتجه جنوباً إلى مسلوقة دجلة.

وينفرع عنه عند مرو فرعان: الأول يتجه إلى الجنوب حيث يمر بمدينة هراة ومنها إلى كرمان ثم يصل إلى اصطخر (برسبوليس)، فيعبرها ليحيط الرحال في موقع أبلة على الخليج العربي. في حين تتجه الطريق الأخرى من مرو إلى أفيثان ثم إلى دورا ووروبوس على الفرات ليكمل نحو تدمر وأنطاكية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، حيث تواصل يجرأ إلى أوروبا. وتقع على هذه الطريق سلسلة كبيرة من المدن والعواصم العريقة استفادت من وجودها على مسارها، فكانت مراكز تجارية، وحضارية مهمة أسهمت في التواصل الاقتصادي، والثقافي بين الشعوب على مر التاريخ⁽¹⁾.

أما المسار الآخر فيعرف بالمسار الجنوبي، وهي طريق التوابل التي تبدأ من ميناء كانتون بالصين، وتعتبر بحر الصين، ثم تلتف حول سواحل شبه القارة الهندية، لتدخل في البحار المحيطة بالجزيرة العربية، حيث تنفرع إلى فرعين: أحدهما يتجه شمالاً في مياه الخليج العربي، لتصل إلى بلاد فارس، وبلاد ما بين النهرين، وفرع آخر يتجه غرباً إلى سواحل اليمن، والحبشة، ثم يسلك البحر الأحمر ليصل إلى سواحل الحجاز، ودول حوض البحر الأبيض المتوسط، ويتجه غرباً إلى أوروبا، وشمال أفريقيا، وهذه هي الطريق التي حاولت روما السيطرة عليه لتنافس القرثيين.

وتتفرع من هذين المسارين الرئيسيين طرق فرعية كثيرة تذهب في جميع الاتجاهات، فتصل إلى الأمم الواقعة إلى الشرق من الصين، وإلى أقصى شمال أوروبا، وأدغال أفريقيا. وعلى هذه الطرق كانت تنقل إلى جانب البضائع الثقافات والأفكار والدعاة والرعاة والمكتشفون والمغامرون والباحثون عن الحقيقة، ولذلك فإن طرق الحرير

¹ - براستون، فرانك، المربع السابق، ص 44.

هي في حقيقتها طرق التجارة الدولية، والحوار الحضاري بين الشعوب، ذلك لأن القوافل لم تنقل البضائع التجارية فقط، بل نقلت أيضاً الثقافات والعادات والتقاليد، وبذلك كانت طريق الحرير وطريق التوابل طرقاً تجارية وحضارية معاً.

— طريق التجارة البحري (طريق التوابل):

لم تقتصر الطرق التجارية على الطرق البرية، بل وجدت طرق بحرية ساهمت في نقل التجارة من الشرق إلى الغرب، خاصة بعد أن عرف الرومان سر الرياح الموسمية في مطلع القرن الأول قبل الميلاد، حيث اخترقت عباب البحار السفن التي زادت حمولتها على الـ 500 طن، مبحرة عبر المحيط الهندي لتصل إلى الشواطئ الهندية.

فطريق التجارة البحري، — وهي طريق التوابل — بعد عبورها بحر الصين، والمحيط الهندي تصل إلى الخليج العربي حيث تنفرع إلى فرعين الأول: عبر الخليج العربي، والثاني: إلى عيلج عدن، حيث يقوم التجار الرومان بشراء البضائع الصينية والهندية، ويعبرون بها البحر الأحمر إلى ميناء الإسكندرية، في البحر الأبيض المتوسط.

وبعد استيلاء الرومان على مصر ومورية سيطروا على الطريق البحرية للتوابل والحرير، فسيطروا على البحر الأحمر وبحر العرب، وهكذا تمكنوا من الحصول على منتجات الشرق من الجنوب بدل الشمال، وهنا في الجنوب كان التجار العرب يسيطرون على التجارة بين الخليج العربي وخليج عدن، فبعد وصولها إلى الخليج العربي تحمل البضائع من موقع حرها إلى تاج ومنها إلى دومة الجندل فالبتراء. أو تصل إلى اليمن حيث ميناء عدن ومنها تنفرع إلى فرعين الأول بحري عبر البحر الأحمر حيث تصل إلى ميناء أبلة، والثاني بري عبر تهامة إلى الشمال.

وتمتّع طريق التوابل بمميزات فاقت في أهميتها الطريق البرية، فهي بدون شك أقصر وأقل تكاليف وضرائب ورسوماً. وتستغرق الطريق البحرية إلى الهند قرابة أربعين يوماً.

وعمل الإمبراطور أركناطوس على الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية وعلى البحار المحيطة بها ولكنه فشل في تحقيق ذلك الحلم، وشغل نفسه بالشائعات التي تتردد منذ القدم، بأن العرب قوم واسع الثراء، وأنهم يستبدلون الفضة والذهب بعبثهم وحجارهم الكريمة، دون أن يتفكروا على الغرباء ما يحصلون عليه، ولذلك جهز القيصر في نهاية عام 24-25 ق م، حملة بقيادة حاكمه على مصر ايليوس غالوس، دخلت شبه الجزيرة العربية من شمالها الغربي، وسارت براً حتى سواحل البحر الأحمر الجنوبية، وكان نصيبها في نهاية المطاف الإخفاق، ولكن هذا الإخفاق دفع القيصر إلى تشجيع الملاحين الرومان على ارتياد البحار العربية، والوصول إلى الهند مباشرة، واستبعاد الوساطة العربية في تجارة الهند، والصين، فزاد عدد السفن التي تسافر سنوياً إلى الهند في عهده إلى مائة وعشرين سفينة.

--- الفصل الخامس ---

--- الساسانيون ---

- الحضارة الساسانية.

- الحياة الاجتماعية.

- الحياة الدينية.

--- الحياة الفنية.

- الحياة الاقتصادية.



- الساسانيون:

ينسب الساسانيون إلى ساسان جد هذه الأسرة، الذي كان كاهناً لمعبد النار في مدينة اصطخر، ثم عهد بوظيفته إلى ابنه بابك الذي توسط بدوره لدى الملك الفرثي ليعين ابنه أردشير قائداً عسكرياً في إقليم فارس. استفاد بابك من قوة ابنه العسكرية فهاجم الوالي وقتله وسيطر على الإقليم. ثم حاول بابك أن يحصل على موافقة الملك الفرثي أرتبان الخامس "أردوان" لتعيين ابنه والياً على إقليم فارس، لكن الملك رفض ذلك وأقسم بابك بالعصيان والتعرد وسير الجيوش لمحاربته.

مات بابك في هذه الحقبة وقام أردشير بادعاء الملكية، وهاجم الأقاليم والمناطق المتنازعة خاصة أن قوته العسكرية أصبحت تفوق قوة الملك الفرثي الذي سبر إليه الجيوش واشتبك معه في معركة في وادي مرزدجان، انتصر فيها أردشير وقتل الملك الفرثي أرتبان الخامس، وبعد هذه المعركة، دخل أردشير طيسفون سنة 224م ظافراً معتزلاً نفسه وريث الفرثيين.

وفي السنين التالية أنضغ أردشير ميديا وهمدان وحاصر مدينة الحضر، كما هاجم أذربيجان وأرمينية، ويبدو أن هذه المناطق صمدت أمام زحف أردشير ولم يستطع السيطرة عليها إلا بعد قتال عنيف. ثم مد سلطانه على الأقاليم الشرقية فأخضع سجستان وإقليم خراسان وحوارزم، ووصلت رسائل ملك الكوشيين ومكران وثوران إلى أردشير معترفين بسيادته.

ونصف المصادر العربية والفارسية كالتطري والتهالبي والأصفهاني والفردوسي⁽¹⁾، أردشير بالرجل الحكيم والقوي، حيث استطاع في سنوات قليلة إخضاع كل إيران الفرثية وبابل والمناطق الشرقية، وجعلها تحت سيطرته مباشرة، كما

¹ - التهالبي، غرر أخبار ملوك الفرس والعرب، ص 479-480. التطري، تاريخ الرسل والملوك، طبعة ليدن، ج 1، ص 821. الفردوسي، الشاهنامه، ص 49.

ينسب لأردشير بناء عدد كبير من المدن والمعابد التي حملت اسم الملك العظيم، كمؤسس للدولة الساسانية.

ثم تولى شاپور الأول الحكم "241-273م" وعمل بحزم على تدعيم أركان المملكة ونجح في تحقيق سلسلة من الانتصارات، نوجت بوصول جيشه إلى انطاكية وانتصاره الحاسم في المعركة التي وقعت قرب "الرها" أديسا عام 260م والتي هزم فيها الرومان، وسقط فيها الإمبراطور الروماني فاليريانوس أسيراً مع أكثر من خمسين ألفاً من جنوده، وقد خلّد هذا الانتصار برسمه على الصخور.



¹ - زنهير، المرجع السابق، ص. xvii.

وهكذا بينما كانت الإمبراطورية الرومانية، تعاني من التخبط والانقسام والأزمات كان العالم الإبراني يتجه نحو إنشاء إمبراطورية قوية.

في القرن الرابع الميلادي. ثم تعزيز أركان الدولة زمن شاپور الثاني " ذو الأكتاف " 309م-379م الذي حكم مدة طويلة، فقد تمكن من السيطرة على بلاد الكوشان وأوقف غزو قبائل الهون الذين تحركوا من آسيا الوسطى، وصد الهجوم الذي قاده الإمبراطور الروماني يوليانيوس عام 363م، وفام بحملة ضد العرب ففتك بهم، وأسر منهم خلقاً كثيراً، وتذكر المصادر العربية أنه اتبع سياسة قاسية في معاملته للعرب، فلم يقبل منهم فدية، ولم يأخذ غنائم بل كان همه سفك الدماء والتشكيل بهم وعلع أكتافهم، ولذلك سمي (شاپور ذي الأكتاف)(1).

وهكذا بلغت الدولة درجة كبيرة من القوة، ولكن الحدود الشرقية بقيت مصدراً للقلق، ولم تكن الحكومة المركزية على قدر كاف لإدارة إمبراطورية مترامية الأطراف، ثم ساعدت الاضطرابات الداخلية " داخل الأسرة الحاكمة: خلال القرنين الخامس وبداية السادس على ترك البلاد تحت رحمة هجمات قبائل الهون المتكررة.

وبعد أن مرت البلاد في مرحلة حرجة من الصراع الفكري - الديني بين الزرادشتية وغيرها من الديانات الأخرى المنشقة عنها كالمناوية، والمزدكية التي ظهرت أيام الملك قباد ما بين " 488 - 531م" وما نجم عنها من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية. شهدت الدولة الساسانية نمضة جديدة على يد كسرى أنوشروان " ذي النفس الخالدة، ذي الروح الخالدة"، الذي امتد حكمه حوالي نصف قرن " 531 - 579م".

¹ - الثعالي، غرر أخبار ملوك الفرس والعرب، ص 518. الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 838-839.

وبعد كسرى أنوشروان من أعظم ملوك الفرس، وتعد فترة ازدهار فترات الدولة الساسانية، حيث تمكن من القيام بسلسلة من التدابير والإصلاحات الداخلية التي أدت إلى رأب الصدوع في البنية الاجتماعية التي نجمت عن الدعوة المزدكية، فرد الأموال المنهوبة إلى أصحابها، وأعاد النساء إلى بيوتهن، كما أمر بإعادة إعمار المساكن والقرى والثرع والجسور والأقنية، وخفف من وطأة الضرائب على الأرض، وأعاد تنظيم الجيش بشكل مكثف من القضاء على خطر الهياطة في الشمال والشرق، كما نجح في حملاته ضد البيزنطيين من انتزاع الكثير من التنازلات منهم بالإضافة إلى عقد معاهدات حصل فيها الفرس على الكثير من الذهب البيزنطي⁽¹⁾.

كما نجح الفرس في عهد كسرى أنوشروان ولأول مرة في مد نفوذهم على سواحل الجزيرة العربية، واستطاعوا دخول اليمن وفرد الأحباش منها، وهكذا تحول الجنوب العربي إلى ولاية ساسانية، استمرت حتى ظهور الإسلام.

وتسبب المصادر العربية والفارسية في الحديث عن هذا الملك العادل الذي رعى الآداب والعمران والعلوم والفن، وأفسح المجال لنقل ثقافات الهند والصين واليونان إلى معارف الفرس.

¹ - للمزيد عن الاتفاقيات التي عقدت بين بيزنطة و فارس ، انظر: العربي (السيد الباز): الإمراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 98 وما بعدها. فوح (نجم): تاريخ بيزنطة، مطبعة جامعة دمشق، 2003/2004م، ص 110 وما بعدها.



ممالك كسرى الأشراف

عده مؤلفين، القدس تاريخ ليرن، طبعة أولى، بيروت 1378، ص 49.

وبعد وفاته سنة 579م تعرض كيان الدولة لشرخ كبير حيث قام نزاع بين أحد كبار الضباط الذي ادعى بأنه ورث الأسرة الفرثية السابقة، وأدى هذا النزاع إلى إسقاط ابنه هرمز الرابع " 579-590م" ثم طرد حفيده محمرو الثاني " كسرى أبرويز " 591-628م" الذي التحا إلى الإمبراطور البيزنطي موريس " 582-602م" طالباً منه المساعدة، وقد تمكنت القوات البيزنطية التي أرسلت لمساعدة كسرى أبرويز من الانتصار على جيش بهرام جوبين الذي هرب إلى عاقان الترك، فقتل هناك، وأعيد كسرى أبرويز إلى عرش فارس.

وبعد تسلمه السلطة حاول كسرى استرضاء الجميع، فأعاد القوات البيزنطية عملية بالغنائم والمدايا، إرضاءً للإمبراطور البيزنطي موريس صديقه، كما حاول التقرب من رجال الدين الزرادشتي الذين لم يكونوا راضين عن زواجه من شيرين النصرانية، التي كان لها تأثير عليه.

وهكذا فإن الأزمة التي عانت منها البلاد كانت مؤقتة، وعندما اغتيل الإمبراطور البيزنطي موريس سنة 602م، اتخذ كسرى الثاني من حادثة الاغتيال ذريعة لبدء حرب جديدة ضد بيزنطة، بحجة الانتقام للإمبراطور المقتول موريس، وحينما سقط حكم فوكاس ونصب هرقل إمبراطوراً سنة 610م، كانت القوات الفارسية تنوغل في آسيا الصغرى، وتكاد تدق أبواب العاصمة البيزنطية، ولم تكن لدى بيزنطة قوات عسكرية قادرة على التصدي للهجوم الفارسي، فحاول هرقل في البداية تجنب التصادم مع الفرس، فكتب إلى كسرى الثاني يخبره بالقصاص الذي أنزله بفوكاس، ويطلب منه إعادة السلام بين بيزنطة وفارس، لكن ملك الفرس لم يرغب بالسلام، فاستغل ضعف بيزنطة وأمر قواته بمتابعة الزحف في الأراضي البيزنطية.

تقدمت القوات الفارسية بقيادة شهر براز نحو أنطاكية فاحتلتها سنة 611م، ثم اتجهت نحو مدينتي حمص ودمشق سنة 613م، وفي سنة 614م تابع الفرس زحفهم

بأنجاه بيت المقدس في فلسطين فحاصرها شهرين يوماً، سقطت المدينة بعدها واستباح الفرس المدينة المقدسة واستولوا على الصليب المقدس، وأرسلوه إلى العاصمة الفارسية، وفي سنة 619م جدد الفرس نشاطهم الحربي، فأرسلوا جيشاً على مصر، فانتصر على القوات البيزنطية المرابطة هناك، فسقطت الإسكندرية بيد الفرس، ثم خضعت بقية المدن المصرية الأنخرى(1)،

وهكذا بدأ من هذه الانتصارات الكبيرة كأنهم يستعيدون أمجاد الإمبراطورية الأخمينية القديمة، كما أطلق كسرى على نفسه لقب "أبرويز" ويعني المظفر، وكان لهذه التطورات دوي في الشرق القديم أشار إليه القرآن الكريم في سورة الروم. لكن هذه القوة الجديدة كانت مزعزة ومهددة بالانهيار بأسرع مما كان متصوراً فقد تغيرت موازين القوى، وتحالف هرقل مع خن الخزر الذي قدم له دعماً عسكرياً كبيراً في قتاله على جبهة أرمينية، ثم زحف هرقل بقواته من أرمينية نحو الجنوب، فدخل الأراضي الفارسية وخاض معركة حاسمة انتهت بهزيمة الفرس في موقع قريب من أطلال مدينة نينوى سنة 628م، وتالت الهزائم الفارسية مما أدى إلى تأزم الوضع الداخلي وازداد استياء الفرس من حكم الملك كسرى الثاني أبرويز بسبب فشله في الحرب مع البيزنطيين، فحيكت مؤامرة ضده انتهت بقتله وتنصيب ابنه قباد شيرويه ملكاً على العرش الفارسي، وطالب الانفلايون الملك الفارسي الجديد بإلغاء الحرب مع البيزنطيين، فكتب قباد شيرويه رسالة إلى هرقل يعرض عليه الصلح، فصالحه بشرط أهمها:

1— جلاء القوات الفارسية عن كل الأراضي التي احتلتها في مصر وسورية وآسيا الصغرى أي العودة إلى الحدود القديمة بين الدولتين.

2— إطلاق سراح كل الأسرى من كلا الطرفين.

3 — إعادة الصليب المقدس الذي أخذته الفرس من بيت المقدس.

¹ ... فرج، تاريخ بيزنطة، ص 147.

وبهذا الصلح انتهت الحرب الفارسية البيزنطية التي ألمكت الدولتين، وسحقت مواردهم، وزعزعت كيان الدولتين العظميين معاً، وهذا مما ساعد العرب المسلمين على تحقيق نصر حاسم على الفرس والبيزنطيين، فبعد عدة سنين استولى العرب المسلمون على إيران بعد انتصارهم على الفرس في معركة القادسية قرب الحيرة سنة 637م، ثم احتلوا المدائن، وانتصروا ثانية في جلولاء على حدود فارس، وتوجوا انتصارهم في معركة نهاوند بالقرب من موقع "أقبتانا، همذان" عام 641م، وقاومت بعض المناطق حتى قتل الملك يزديجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية من قبل أحد أتباعه في عام 651م، وهكذا انتهت الدولة الساسانية، وأصبحت إيران جزءاً من الدولة العربية الإسلامية.

- الحضارة الساسانية.

- الحياة الاجتماعية:

- طبقات المجتمع:

كان المجتمع الساساني مقسماً إلى عدة طبقات. موزعة على الشكل التالي طبقه الملوك والإقطاعيين ثم رجال الدين، وفي المرتبة الثالثة رجال الحرب وتدرج بعد ذلك طبقات الكتّاب والفلاحين..... الخ. وتأخذ هذه الطبقات بالازدياد عدداً وبالتضاؤل نفوذاً كلما ابتعدنا عن قمة الهرم إلى القاعدة.

تميز الإبرانيون بأنهم عاشوا حياة طبقية تظهر بشكل جلي في اللباس، فتميز لباس الملوك بأحذية قصيرة حمراء وسراويل زرقاء وأغطية للرأس. وارتدى الرجال العمائم والسراويل أما النساء فقد ارتدين قمصاناً واسعة وسراويل قصيرة. وهكذا كان لباس أهل

كُلَّ طبقةٍ خاصاً بما لا يلبسه أحدٌ ممن في غير تلك الطبقة فإذا وصلَ رجلٌ للملك عُرفَ
بواسطةِ لباسِ الطبقةِ التي هو منها⁽¹⁾.

1- الطبقة الأولى.

وتشمل ملك الملوك " الشاهنشاه " وكل من يحمل لقب ملك من الأمراء التساميين السدين
يحكمون في أطراف الدولة وحكام الإمارات التي كانت خاضعة لحماية إيران وللملك مكانة سامية في
النفوس يكتسبها من مكانة الأسرة الساسانية، ومن اعتقاد الناس بحق الملوك الإلهي في الحكم، ويظهر
للشعب عادة في أيام الأعياد وخاصة في عيد المهرجان فيسمع الشكاوى، كما يظهر في المبادئ العامة
التي يجمع فيها الناس في بعض المناسبات الخاصة، أما الزيارات الخاصة فلا تتاح إلا لكبار رجال القصر
أو كبار النبلاء، ولها مراسم وقواعد دقيقة جداً.

ويدخل ضمن الطبقة الأولى أيضاً أمراء السلالة الحاكمة، الذين عهدت إليهم إدارة الحكومة في
الولايات الكبيرة مثل إقليم سيستان وكرمان وغيرها، كالولايات الكبرى التي ضمت بالفتح إلى الدولة
الساسانية. وقد قل في هذه الحقبة عدد حكام الولايات السدين ينتمون لغير الأسرة الحاكمة
(الساسانية)، خاصة في أطراف الدولة التي كانت وظيفتهم حماية الحدود الساسانية، أي إنهم كسانوا
يشكلون خط الدفاع الأول ضد أعداء الدولة.

يلبي الأمراء الكبار في السلم الاجتماعي رؤساء الأسر السبع، وهي أسر إيرانية نبيلة لها أملاك
واسعة واقطاعات كبيرة وظل عددها وامتيازاتها متوارثة من العهد

⁽¹⁾ - جشماسب، نامة تنوير، ترجمة ابن اسفنديار، تحقيق مجتبى مينوي، مطبعة مجلس، طهران، 1311 هـ، ص 19.
الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر الحديث، بيروت،
1988 م، ص 3. الخشاب (نجي): اللقاء الحضارتي العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969 م،
ص 19.

الأخميني، وقد ورثه الساسانيون ومن وظائفها الوراثية رئاسة الشؤون العسكرية ورئاسة الفرسان وإدارة بعض المقاطعات، وغير ذلك. وهناك صنف آخر من النبلاء يصح أن نطلق عليه اسم الوجهاء أو الأشراف، وكانوا بمثابة القوة المعادلة للأمير السميع النبيلة الكبيرة، ويشمل هذا الصنف كبار موظفي الدولة والوزراء ورؤساء الإدارة وبعض قادة الجيش.

— الملك:

يشغل الملك المركز الأول في المجتمع، ويتمتع بقدسية كبيرة، ويكرم بتعظيم اسمه بعد الموت. وإلى جانب الحرب، كان الصيد من الأعمال المحببة للملك، وكان أفضل أنواع الرياضة التي يمارسها الملوك. وكان لباس الملك ثميناً وجميلاً، ويصل أحياناً إلى أطراف الركبة، وعادة يلبس الملك عباءة طويلة، وتصل هذه العباءة إلى أسفل القدم، وكانت تغطي وتلف كامل الجسد، ويلبس الملك تحته ستره وسروالاً من الحرير أو الصوف، أما رأس الملك فقد إزدان بإكليل يغطي كامل الرأس في أغلب الأحيان، كما يلبس تاجاً مرصعاً باللآلئ والjoyهرات، وأحياناً يضع الملك على رأسه خنودة⁽¹⁾.

وسكن الملك في قصر حملت أروقته على أعمدة مزودة أجزاء منها بالفضة، والأجزاء الأخرى بالأقمشة المطرزة بالذهب، وبعض الأجزاء رُصعت بالذهب الخالص، بالإضافة إلى ذلك إزدانت الجدران بالصور. وحملت تلك الموضوعات نماذج لانتصارات الملوك على الأعداء، وصور الطبيعة والأثمار والأشجار..

ولقب الملك بالقباب كثيرة منها الملك الكبير، وملك الملوك، وملك الآريين، وأخو الشمس والقمر، كما وجد لقب الخالق أو الرب، ومن الألقاب الأخرى العادل والرحيم والحسن.

¹ - Curtiss, op, cit, p61. Rawlinson, op, cit, Volume III, p60.

- رئيس الوزارة :

هو رئيس الإدارة المركزية ولقب في البداية — هزارداد أو هزارداساني — Hazarpati Hazarpd وتعني قائد الألف رجل، ويُعد أول موظف في الدولة فقد كان مكلفاً بإدارة شؤون الدولة، وقد تنوب عن الملك عندما يغيب في الرحلات أو الحروب، كما أنه يفاوض السفراء والمبعوثين، وقد يتولى بنفسه قيادة الجيوش، لذلك تطلب منه مقدرة إدارية وثقافة ولباقة لكي يستطيع إرضاء الملك والشعب.

وحددت سلطة الوزير في نقاط ثلاث: الأولى لم يكن باستطاعته أن يختار خلفاً له أو من يقوم مقامه. والثانية لا يجوز له أن يطلب إقالته من الشعب، لأنه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب. والثالثة لا يستطيع أن يعزل أو ينقل الموظفين الذين عينوا بناءً على أمر ملكي دون استئذان الملك. وبالرغم من ذلك كانت العلاقة حميمة بين الملك ووزيره، وكان ملوك إيران يُعجّدون وزراءهم أكثر من أي ملك آخر، وكانوا يقولون: إن الوزير هو منظم أعمالنا وزينة دولتنا، وإنه لساننا الذي نعبّر به، وسلاحنا الذي نتاح لنا أن نضرب به أعداءنا في البلاد البعيدة.

- الوزراء:

كان الوزراء في فارس يشكلون عماد المجلس الاستشاري للملك الذي كان يأخذ رأيهم. وقد كان ملوك آل ساسان يعجّدون وزراءهم، لأنهم يشكلون السند للدولة، ويدافعون عنها في البلدان البعيدة، كما كان الوزراء يرافقون الملوك في رحلات الصيد حيث يقف لنا الوزير بزرجمهر مثلاً صريحاً عن ذلك.

لم يكن في فارس تخصص للوزراء كما يلاحظ اليوم، أو خلال العهود الإسلامية، وحل ما ذكر عن نشاط هؤلاء هو مهام رئيس الوزراء وبعض ما كان يقوم به الوزراء. فقد تمتع الوزراء بقوة عظيمة، إذ كان الملك يعتمد عليهم ويسلمهم كل أمور البلاد، وكانت ترداد سلطتهم وتقوى شوكتهم عندما يكون الملك من ذوي الملذات

والشرب والصيد. وكان الوزير مسؤولاً عند حصول الخلل في شؤون الدولة إذ كان هو أول شخص يسأله الملك عن سبب الاضطراب وسوء أحوال الرعية⁽¹⁾.

لم يساور الشك ملوك إيران ضد وزراءهم، إذ كان هؤلاء يتمتعون بثقة كبيرة من قبل الملك. فبدلاً من كسرى أنوشروان أنه كان لا يأمن على غذائه إلا وزيراً مهبوداً وولديه. ولكن أحياناً كان القدس والإغراء بالملك يدفعه للشك بوزيره، أو أن أصحاب الشأن الذين يضربهم وجود أحد الوزراء يسعون للإيقاع به. وهذا ما حصل مع الوزير مهبود نفسه وولديه حيث تمكن أحد السحرة من أن يغش اللبن المحضّر لغذاء الملك من قبل الوزير وولديه، ويسمه فلما ذاق ولده اللبن قُبِلَا في الحال ونكَب كسرى أنوشروان بوزيره وهباً بيته⁽²⁾.

- ولي العهد:

جرت العادة في فارس أن يكون الابن الأكبر ولياً للعهد، ولكن لم يتبع الجميع هذا النهج؛ إذ كان ذكاء واستعداد بعض الأبناء الآخرين وعلاقتهم بأبيهم تدفع الأب لغير ولي العهد من الابن الأول إلى الآخرين، وكان الملك ينتقي من أبنائه من يحبه أكثر ويمنحه لقب ملك في حياته، بالإضافة لذلك قد يشكل حب الملك لامرأته الثانية عقبة في وصول الأبناء للحكم، فينتخب ابنه الأصغر ولياً للعهد. وكان التمرد على هذه القاعدة واحداً من أسباب المنازعات؛ إذ ما إن يموت الملك حتى يتوسل ولي العهد

¹ - الطوسي (نظام الملك): سياست نامه (سير الملوك): ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت، ص 53-54. الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتاح بن علي البنداري، قارنما وأكمل ترجمتها عبد الوهاب غرام، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1993م، ج2، ص 157.

² - الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص 137 - ص 138.

الأول إلى إحدى الدول المجاورة، وبأقي بجيش من خارج البلاد، ويسفك الدماء الكثيرة حتى يتوج نفسه ملكاً.

2- طبقة رجال الدين:

تأتي طبقة رجال الدين في الدرجة الثانية في السلم الاجتماعي ويسمّون بالمغان، وهم بالأصل طبقة خاصة لهم امتيازات الرياسة الروحية. وكان الرؤساء الروحانيون يختارون منهم وقد تزايد عددهم مع مرور الزمن.

ينسب رجال الدين أنفسهم إلى التاريخ الخرافي المجيد لإيران وذلك ليتساووا مع الأسر النبيلة الكبيرة. فالساسانيون مثلاً يرقون بنسبهم إلى الأميرة الأخمينية إلى كاوي وبشتاسب (كشاسب) حامي زرادشت. ومعظم الأسر النبيلة الأخرى تنسب نفسها إلى أصل مجيد. لهذا نُسب رجال الدين أنفسهم إلى جددهم الخرافي منوجترا الذي يعود بنسبه إلى أسرة برذاتا الخرافية.

أصبغت السلطة الروحية على حياة الناس طابعها المقدس، وكانت تدخل في حياة كل فرد وفي كل أمر مهم، فقد كان لرجال الدين دور مهم ومكانة كبيرة فهم أقرب رجال الدولة إلى الملك ويعدون أنفسهم مع طبقة الملوك وقد جعلتهم الأفسنا أول طبقة من المجتمع الإيراني القديم، وكان نفوذهم مستمداً من دورهم في الحياة وما لديهم من أملاك كبيرة وكان لهم تنظيم دقيق ومناصب مندرجة.

تقسم طبقة رجال الدين إلى فئتين: الأولى وتشكّل طبقة رجال الدين الصغار ويلقب فيها رؤساء المعابد (بمغان مغ). والثانية الطبقة العليا منهم وتشمل الموابدة. وكانت الدولة كلها مقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل مركز موبد يدبر شؤونها¹.

¹ - إيرانيان حسن: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1992م، ص302. خريستات، المرجع السابق، ص139.

— الموابدة:

هم رؤساء المراكز الدينية في ولايات الدولة ويرأسهم جميعاً "الموبدان موبد" وهو كبير رجال الدين. وله السلطة العليا في المسائل الدينية، إذ يرجع إليه الفصل في المسائل النظرية في الأصول والفروع، وهو الذي يُفني في المسائل العلمية والسياسية والروحية، كما يرجع له تعيين وعزل الموظفين الدينيين.

أضيف إلى ذلك أنه يشترك في تكوين هيئات محاكم التفتيش، وخاصة في الأقاليم التي يشتد فيها العداء للدين، ومن الممكن أن يكون له تأثير قوي في جميع شؤون الدولة بوصفه الرائد الخلفي، والمرشد والمسير الروحي للملك.

— الهراينة:

هم الذين يديرون المراسيم الدينية في المعابد أي خدمة معابد النار، ويتطلب منهم ذلك معارف خاصة وتجربة عظيمة وهم المسمون أئترابايتي Achetra Paitti في الأستا. ورئيسهم الأعلى يُسمى الهريدان هريد ويُعد من أعظم الشخصيات الدينية بعد الموبدان موبد. وكان الهراينة يصادرون أحكاماً بوصفهم قضاة¹.

من الوظائف الدينية الأخرى وظيفة وردبد أي أستاذ العمل، ودستور الذي كان خبيراً بالمسائل الدينية، وهو رجل دين وشرع يلجأ الناس إليه لحسم القضايا المشتبّهة بها.

— مهام رجال الدين:

بعد القضاء وعقود الزواج وشهادات الميلاد أهم الوظائف التي أنيطت برجال الدين. ولكن لا تنحصر مهامهم بها بل امتدت إلى أراضيهم التي يملكونها، وإلى مواردهم التي يجبوها من الغرامات الدينية والهيئات. ويربط هؤلاء بالجمهور وظائف عامة

¹ - الحشاش، المرجع السابق، ص 17. كريمنستن، المرجع السابق، ص 107.

كإجراء أحكام الطهارة، والاعتراف، والعفو والغفران، والحكم بالغرامة بعد الإقرار بالذنب، بالإضافة للمراسم العادية للمواليد والجنائز والأعياد الدينية، كما توجب على رجال الدين توجيه الشعب أخلاقياً¹.

2- طبقة رجال الحرب:

تولى قيادة الجيش الساساني قائد واحد هو إيران سباهيد أو الأصهبند، الذي شملت مهامه أركاناً ثلاثة أساسية، هي شؤون الحرب وقيادة الجيش العليا، والقيام بمفاوضات الصلح مع العدو. كان قائد الجيش من أعضاء المجلس الاستشاري للملك، مما يدل على دوره الكبير في تنظيم الجيش وتدير أموره، كما كان مستقلاً إلى حد ما في عهد الملوك الضعاف المسالمين، وذلك لأن الملك كان يتدخل في معظم الأوقات في المسائل المتعلقة بالحرب. هذا بالإضافة إلى تدخل كبير الوزراء في إطار عمله أيضاً².

4- طبقة الكتاب (ديوان):

ظهرت طبقة الكتاب في العهد الساساني، وكان لأعضائها دور كبير في الدولة الساسانية ومكانة عظيمة، ذلك أن الساسانيين كانوا يحتنون بالشكل عناية كبيرة. فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد ينبغي أن تصاغ صوغاً أنيقاً مع مراعاة الفروق الطبقية بين المرسل والمرسل إليه. وينبغي أن يكون الكاتب كرم الأصل، شريف العرض، دقيق النظر، عميق الفكر، وأن ينسأل الحظ الأوفر من الأدب، كما ينبغي أن يكون حسن الخط، وقد استخدم هؤلاء في البلاط الملكي وفي الأقاليم.

¹ - عريسات، المرجع السابق، ص 139. كريستنسن، المرجع السابق، ص 108 - ص 110.

² - كريستنسن، المرجع السابق، ص 119.

كان رئيسُ الكتاب يُلقَّبُ بـ (إيران دِيرِيد)، وكان يعينُ أحياناً من حاشيةِ الملوك. كان الكتابُ يسيطرونَ سيطرةً تامةً على مراسلات الدولة، ذلك لأن الوثائق المهمة، هم الذين يخطونها ويرسلونها، وهم الذين يصيغون الأوامر الملكية وينظمون قوائم الضرائب وحسابات الدولة. قُسِّمَ الكتابُ إلى عدة فئات كُلُّ فئة مسؤولة عن جانب من المراسلات، فهناك كتابُ الأحكام، والخراج، وحساب دار الملك، والخزائن، والاصطبلات، وحسابات بيوت النيران والأوقاف. إضافةً لذلك وجد في ديوان الملك كاتبٌ مختصٌّ بالشؤون العربية⁽¹⁾. وارتبطت وظيفة الكتاب بالتعليم، واقتصر على أبناء الأشراف والعلقات العليا من المجتمع.

— طبقة الأحرار.

يصنف الأحرار في أسفل السلم الاجتماعي، وهم أفراد العائلات الصغيرة ذوات الأملاك أو أصحاب القرى الذين كانوا صلة الوصل بين الفلاحين والحكومة المركزية، التي كانوا عمالاً لها. هؤلاء الأحرار الصغار كانوا أكثر فئات الشعب عدداً، وهم أحرار من الوجهة القانونية، ولكن عملياً كانوا عبيداً مرتبطين بالأرض، حيث يباعون مع الأراضي والقرى⁽²⁾.

— الفلاحون: شكل الفلاحون طبقة اجتماعية متميزة في المجتمع الفارسي؛ ذلك أنهم ارتبطوا بالأرض والعمل فيها، وعمل الفلاحون بالزراعة التي كانت على أشكال متعددة، فبعضهم من زرع في أراضي الملاك الكبار، ومنهم من استأجر الأرض على أن يدفع للمالك ما يعادل ثلثي إنتاج أرضه أو يقدم له في نهاية الموسم ثلثي الإنتاج. وكانت الملكية الفردية في هذا المجال تشمل الأراضي الزراعية والعمارات والحيوانات.

¹ — جشمس، المصدر السابق، ص 12. كريستنسن، المرجع السابق، ص 124.

² — كورنيل، المرجع السابق، ص 373.

والعبيد والمواد الزراعية والمعادن، وكانت ملكية الأرض تشمل ما عليها من أدوات ومن عليها مسن
عبيد، حيث كان هؤلاء يتقلون مع الأرض يباعا وورثا^(١). وسمح للفلاحين بالانتقال من مكان إلى
آخر كيفما شاؤوا، ولكن إذا امتنعوا عن العمل بالزراعة فعليهم التعويض للمالك.

وعملت المرأة في القرى والأرياف إلى جانب الرجل، وخاصة المزارعين منهم، وارتدى
الفلاحون لباساً يلبأ من القنب، على شكل بنطال وقميص طويل، وكانوا طويلي الشعر واللحية،
وبالمقابل ارتدت نسائهم الثياب الفضفاضة والطويلة. وشكل الفلاحون والعاملون في الأرض الجزء
الرئيسي من الجهنش، لذلك وجب على الملك أن ينهي الحرب بسرعة لكي يعود هؤلاء إلى أعمالهم^(٢).
وعانى الفلاحون من كثرة فرض الضرائب وتعسف حياتها، بالإضافة إلى العقوبات التي كانت
تفرض بحق من لا يدفع ما وجب عليه من الضرائب، كما عانوا من أعمال السخرة التي فرضت عليهم
وعلى عائلاتهم، وكانت هذه الأعمال تتعلق بطبيعة أعمالهم الزراعية، كشق الأبنية، وتنظيفها، والعمل
على صيانتها بشكل دوري، بالإضافة إلى العمل في أراضي الملك والمعابد.

^١ King, L. W, and Hall, H.R, History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia,
And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger,
London, 2005, Vellum 1, pp 450-455.

^٢ Wolski, Les relations de Justin etde Plutarque sur les esclaves etla
population dependante dans l'empire Parthe, Iranica Antigua 18, 1938, p
148.

- طبقة العبيد : هم الطبقة الدنيا والأخيرة ، وهم ملك لأسيادهم ، ووصلوا إلى هذا الأمر إما عن طريق الأسر في الحروب أو الشراء، ولقد أنيط بهم تنفيذ الأعمال الشاقة والمهن الوضيعة. و كان العرف في فارس أن الأطفال الذين يولدون من حارية السيد يعتقون بقوة القانون هم وأمههم بعد وفاة أبيهم. أما الأطفال الذين يولدون من أبوين رقيقين فيصبحون مثلهم. هذا عن الرق بالولادة، أما عن الرق لأسباب أخرى غير الولادة فقد عدت الحرب أهم هذه الأسباب فالأسير يصبح عبداً لمن أسره من الجيش المنتصر.

وعلى رغم أن الميزة المتدنية للعبد لم تصل إلى حد إلغاء جميع مظاهر شخصيته القانونية، فقد كان في إمكان العبد في القانون أن يكون أسرة، وبالتالي أن يعقد زواجا. وكان يمكن له أن يتزوج من حرة ويكون أولاده في هذه الحالة من الأحرار. بل كان يجوز للعبد أن يمتلك الأموال التي تمثل بالنسبة له حوزة مالية خاصة، وسمح له بالتقاضي أمام المحاكم وممارسة الحرف التي تتفق مع قدراته.

أما بالنسبة لحالات عتق العبد، فقد كان يجوز للسيد بإرادته أن يعتق عبده وذلك بموجب عقد خاص أو أمام القضاء. و مع ذلك يشير بعض الباحثين إلى أن المعتقد يظل مرتبطاً ببعض الالتزامات تجاه سيده القديم خلال حياته. ومن جهة أخرى فإنه يجوز للعبد أن يشتري حريته بماله، ما دام قادراً على امتلاك الأموال، ويحق له أن يستدين من غيره لشراء حريته، على أن يسدد دينه لدائنه بعد ذلك. ومما تجدر الإشارة إليه وجود العبيد البارعين في فنون ركوب الخيل والرمي بالقوس.

لم يعمل العبيد بالأراضي الزراعية كما هو مألوف في الشرق القديم، بل كانت أكثر أعمالهم الخدمة في المنازل، وقليل منهم من عمل في الأرض، كما شاركوا في الجيش. وقد استخدم الفرس أسلوباً حسناً في التعامل مع العبيد، ويشهد على ذلك

نقوش تحت جمشيد التي امتلأت بالإشارات لدفع روائب العبيد القائمين على العمل في المبنى، وهذا يدل على تحسن وضع العبيد في فارس مقارنة بالدولة اليونانية.

- المرأة والأسرة. شكلت المرأة جزءاً مهماً من المجتمع، وقد اختلف الفرس عن سواهم من دول الشرق القديم في التعامل مع المرأة، إذ كان التفريق بين الجنسين حازماً، ولم يكن المحاب عاماً، لكنه ضروري للنساء الجميلات، سواء كن متزوجات أم لا.

وكان تدخل النساء في الفعاليات الاجتماعية قليلاً نسبياً، فقد حافظ الحراس على سلامة نساء البلاط والأشراف، وقام الخدم على تلبية متطلباتهم. واختلفت حالة المرأة العادية عن المرأة النبيلة، ففي القرى ومراكز الإنتاج كانت فعاليتها كبيرة جداً، فعملت مع الرجل في كل الأعمال، ولكن العمل المفضل لدى النساء كان تربية الأولاد، فحتى نساء النبلاء والملوك اعتنوا بأنفسهم بتربية أبنائهم ولم يعهدوا بها لغيرهم.

وقد اختار الأمراء زوجاتهم من العائلة المالكة، وأحياناً من بنات الملوك الثامنين، أما المحظيات فكان على الأغلب من النساء اليونانيات⁽¹⁾. وبالإضافة إلى زوجته الرئيسية كان لدى الرجل محظيات كثير، وكان الرجل يقي على محظيته مادام راغباً بها، ومن هنا كان لدى النبلاء رغبة مفرطة في افتناء المحظيات.

وارتدت المرأة ثياباً غطت كامل جسدها. وكان اللباس بشكل عام من الأردية الواسعة، مع وجود بعض النماذج ذات السمات الضيقة، التي تبرز مقائن الجسد، وربما كان الطراز الأول مفضلاً لدى معظم العامة في المجتمع، حيث شغل الدين حيزاً كبيراً

¹ - سابكس (نزال): تاريخ إيران، ترجمة محمد تقي، فخر دامي كيلاني، دنيان كتاب، چاپ آشتا، طهران، 1377، ج 1، 496. نوزدي (عوت الله): تاريخ اجتماعي إيران، از آغاز تا مشروطيت، انتشارات نجفست، طهران، چاپ دوم، 1381، ص 68.

في حياتهم، ولم يحب رجال الدين الألبسة الضيقة التي تعوق حركة المرأة وتظهر شكل جسدها⁽¹⁾.

- الحياة الدينية.

- الزرادشتية.

تمتعت الزرادشتية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد، بعناية خاصة من الحكيم الملكي الفرثي. ومن ناحية أخرى، أوجد الفرثيون مرحلة انتقالية نتجت من التعدد، والتعايش المتساوي والمتسامح بين الثقافات الإيرانية واليونانية. وكان هذا الدور الأسامي للإيرانيين في المشهد السياسي لغرب آسيا.

وتبين هذه التطورات التي طرأت على الزرادشتية، تقدمها على كل المعتقدات الأخرى الموجودة في المملكة الفرثية، وسعيها للانفراد، كما تدل على انتشار المسيحية التي أخذت تقلق رجال الدين الزرادشتي، الذين بدؤوا يفكرون بتحديد انتشار المسيحية في بلادهم.

مع وصول أردشير إلى العرش الساساني (224-241م) أمر كبير مستشاريه "الهربدان هريد" بنشر جميع كل النصوص المعثرة المتعلقة بالأفستا الفرثية وكتابة نص واحد منها، ثم أجز هذا النص وعد كتاباً مقدساً، وفي عهد خلفته شابور الأول أدخل رجال الدين إلى هذه النصوص الدينية، نصوصاً أخرى تتعلق بالطب والفلك والطبيعة، عدت نصوصاً تعليمية، وحيث إضافتها إلى الكتاب المقدس "الأفستا".

¹ - Bennett, op, cit, p185. Curtiss, op,cit, p61. Rawlinson, op, cit, Volume - I

III, pp259-267.

وفي عهد شاپور الثاني "309-379م" عقد مجمع ديني ترأسه الموبدان موبذ لوضع حد للاختلافات الدينية بين بعض الزرادشتيين، فاعتمد نصاً نهائياً للألستا وقسمها إلى واحد وعشرين كتاباً "سفرًا" تشمل ثلاث مجموعات:

- 1- المجموعة الأولى وتبحث في العبادات، وأركان الدين والصلوات.
- 2- المجموعة الثانية وتبحث في قواعد الطهارة والقوانين.
- 3- المجموعة الثالثة وتتناول بقية جوانب المعرفة من فلك وطب وتاريخ.

وتعد نصوص الألستا الساسانية التي وصلتنا ليست إلا جزءاً من الألستا القديم وهي ليست خاصة بالعبادات فقط، بل هي أقرب إلى دائرة معارف عامة لكل علوم العصر الساساني. وقد اعتمد ملوك الدولة الساسانية الألستا كتاباً مقدساً للزرادشتية ودستوراً رسمياً للدولة الساسانية.

ومن أهم الأعياد عيد النوروز وتعني اليوم الجديد⁽¹⁾، وهو أكبر الأعياد الشعبية الفارسية حتى اليوم، وهو يوم رأس السنة وكان الملوك يحتفلون مع رعاياهم في هذا العيد السعيد، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم، وتضرب النقود الجديدة، ويستمر العيد ستة أيام متوالية، اليوم الأول قبل أنه أول الأيام الستة التي تخلق الله بها العالم⁽²⁾.

واليوم السادس منه هو النوروز الكبير؛ إذ يعتقد الإيرانيون أن الله تعالى انتهى من خلق العالم فيه، وهو سادس هذه الأيام. وفيه وصل زرادشت إلى مناجاة الله تعالى، وفيه تقسمت السعادة على أهل الأرض، وغير ذلك الكثير مما يصدق أو لا يصدق. وما زال عيد نوروز قائماً ويحتفل به مستنوباً على أنه عيد رأس السنة لديهم، وما زال الإيرانيون يداؤن سنينهم في الرابع، مسج الاحتفال بعيد النوروز.

¹ - بلوكباشي (علي): نوروز، جثن نوز ايي أفريش، دفتر پژوهشهاي فرهنگي، تهران، چاپ سوم، 1381، ص 14.

² - للمزيد عن الأعياد الإيرانية، انظر كريستنسن، المرجع السابق، ص 156 وما بعد.

ومن الأعياد المهمة عيد شهر مهر، ويسمى بعيد مهرگان أو المهرجان ومعناه عجة الروح، وهو من أكبر الأعياد بعد عيد النوروز. وفي الأعياد تعم القرحة أرجاء المملكة الفرتبة كلها، وتستمر عدة أيام، وكانت الموسيقى والضجيج من سمات احتفالاتهم، فعزفوا على الناي والطبل وآلات النفخ الأخرى، كما عرفوا الآلات الوترية واستخدموها ليس فقط في الأعياد بل في تقاليد الضيافة أيضاً، وترافقت هذه الأجواء بالرقص الذي عد للتنسية فقط.

— المانوية:

تُنسبُ المانوية إلى ماني الذي ولد في بابل (216-276م) من أسرة فرثية نبيلة، ونسب في وسط ديني، وأقضى مطلع شبابه في بلاد ما بين النهرين، التي كانت في ذلك الوقت بوتقة تنصهر فيها كثرة العقائد الدينية، وشرع في عمر العشرين في الدعوة إلى دينه الجديد في محاولة منه لإظهار دين عالمي مقبول من الجميع، وحصل ماني على حرية الدخول إلى البلاط الملكي، لأنه نال حظوة الملك الساساني شابور الأول بن أردشير (241-272م) الذي رافقه في حروبه في الغرب، وحظوة لدى الملك كرام بن شابور (273-276م).

أعلن ماني أنه هو الذي جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، فهؤلاء جميعاً شذرات ناقصة من الحقيقة، لكن حتى هذه الشذرات قد أفسدها أتباعهم، وقد وجد ألقته بوصفه رسول النور، وزعم ماني أنه (الفار قليط) الذي بشر به عيسى عليه السلام في الإنجيل إذ قال: ((إن الحكمة والأعمال هي التي لم يرسل الله نأثي بها في زمن دون آخر، فكان يجهلهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو اليه إلى بلاد الهند، وفي بعضها على يدي زرادشت إلى أرض إيران وعلى يدي عيسى إلى أرض

المغرب، ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوة في هذا القرن على يديّ أنا ماني رسول إله الحق في أرض بابل⁽¹⁾)).

وإدعى ماني أن الله أرسله من بابل لتصل دعوته إلى العالم أجمع. ولا تبعد أصول عقيدته كثيراً عن الزرادشتية، إذ ترى أن العالم قائم على أصليين: هما الخير والشر، أو النور والظلمة وهما منفصلان عن بعضهما وأن الله هو أزلي، وهو ملك جنات النور، كما أن الشر موجود على السدوم وسيظل إلى الأبد⁽²⁾.

وأصل النور يختلف تماماً عن أصل الظلمة فروح النور النسيم وروح الظلمة الدخان، وإنما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم في حين أن الهلاك والآفات من الدخان، وكسل روح منيها تتحرك في أبدان مختلفة، وكذلك تختلف صفات النور عن صفات الظلمة؛ فالأولى حية ظاهرة بحيرة زكية والثانية خبيثة شريرة.

والخلاص من الهلاك يتم بالعرفان لأنه بدل على وحدة الجوهر بين الإله والروح، وبذلك يحصل المنعبد المانوي على السلامة، فقد عرف أصل العالم وسبب خلق الإنسان والطرف المستعملة من قبل أمير الظلمات وأضداد الطرق المعلنة من قبل رب النور، فالمادة والعمل ينتميان إلى أمير الظلام، والجهل تنبحة خلط الروح والجسد أو الروح والمادة، على أن الخلاص يقتضي ثلاث خطوات (البقطة، وكشف العلم المنقذ، والذكرى) وأرواح الموتى المباركين تنقل نحو الجنة السماوية، والدينونة الأخيرة عندما تحكم الأرواح أمام محكمة المسيح، وبعدها يرتفع المسيح والنخبة من البشر وكل تجسيدات الخير إلى السماء وذلك بعد أن تتخلص الأرواح - جوهر النور - المسجون

¹ .. البيروني (أبو ربحان محمد بن أحمد): الآثار الباقية عن القرون الخالية، لايزيك، 1878م، ص 252. كرسنسن، المرجع السابق، ص 72 وما بعد.

² - سعدان (كامل): معتقدات آسيوية، العراق، فارس، الهند، دار الادي، القاهرة، 1999م، ص 138. رفيع حقيقت، المرجع السابق، ص 180.

في المادة، ويتم انفصال الماهيتين لمائياً ويظل الامتزاج وتحلل التراكيب ويصل كل إلى عالمه وتلك هي القيامة والمعاد، وعندئذٍ تعجز الظلمة عن غزو مملكة النور.

وبتعبير آخر فإن الروح تصعد عندما تنعق إلى الفردوس الجديد وبعد أن تتحرر كل ومضات النور المسجونة في المادة يعود الجسد إلى حنة الخلد، وفي أثناء ذلك يتعرض الذين لم يتمكنوا من تحقيق الانعتاق في هذه الدنيا للميلاد من جديد (التقمص).

وقد ادعى ماني أنه أدخل في دعوته ما هو جوهرى من كل الكتابات والحكم وأوجد حكمة كبرى فهو يعطي دوراً واسعاً ليسوع ويأخذ من الهند فكرة التقمص ويستعمل لغات دينية مألوفة في الأقاليم الشرقية والغربية بهدف نشر دعوته ويتنوع خطابه وخطابه أتباعه، فإذا خاطب المسيحيين فهو المخلص يسوع، وإذا خاطب الزرادشتيين فهو الإنسان الأول أهورامزدا.

والملاحظ أن ماني أراد أن ينشر ديناً لجميع بني البشر بمهارة فائقة، من خلال مطابقة المعتقدات والآراء المعاصرة له بامتناء اليهودية التي رفضها، فكانت ديانته مزيجاً بين الزرادشتية بأساطيرها، والمسيحية بمرزبتها وملائكتها، والبوذية الهندية بتناسخها، والغيريقية بتقسيماتها الاجتماعية¹.

وتعتمد ديانته كالبوذية والمسيحية على التبشير، ومن أجل ذلك كتب سبع رسائل ليتحسب التناقضات التي زعمت الزرادشتية والبوذية والمسيحية، الأولى بالفارسية، والأخرى بالسريرية، وقد حقق التبشير المانوي نجاحاً لأنه توجه نحو خلاص الإنسان.

¹ - العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص 134.

كما صنف ماني عدة كتب لتشر دِينه أهمها سفر الأسرار، وكتاب الأصلين، والإنجيل الحسي وغيرها. كما فرض على أتباعه العشر في الأموال، وأربع صلوات كل يوم، وأمرهم بترك الكسب والقتل والسرقة والزنى والبخيل وغيرها. تأثرت عقيدته بالديانة المسيحية من خلال بعض العقائد كالتمميد، والقدس الإلهي، بالإضافة لتأثرها الواضح بالزرادشتية.

وقسم ماني أتباعه إلى فئتين: الأولى هي المقربون (الصدقون) المصطفون الذين حرم الزواج عليهم، والثانية السماعون المظيعون الذين يسمح لهم بالزواج. ومما يثير الاهتمام في عقيدة ماني أنه لم يكتف بالطوائف في إيران للتبشير بعبادته، بل طاف عدة مناطق، مما ساعد على انتشار أفكاره بسرعة كبيرة. وأدى نجاحه السريع إلى قلق الكهنة الزرادشتيين الذين ضيقوا عليه الخناق، فأحضر الملك الموبدة لمناظرته فكشف أمره أمام الملك فضلب وسلب جلدته عام 277م. وعانى أتباعه أعنف أنواع الاضطهاد، ومع ذلك استمر مذهبه عدة قرون لاحقة¹.

وكان أتباع المانوية يصومون أسبوعاً كل شهر بالامتناع عن الطعام من الصباح حتى المساء، ويصلون أربع مرات يومياً، بالسجود اثني عشرة مرة في كل صلاة، بعد الوضوء بالماء أو التراب، وكان يوم الاثنين هو يوم الراحة بالنسبة للصادقين، في حين كان السماعون يعطلون يوم الأحد، وقد عرفت الديانة المانوية الزكاة، وذلك بتقديم الطعام والكساء والنفود إلى المحتاجين من أتباع الديانة.

وحاول ماني التقرب من أردشير مؤسس الدولة الساسانية، لكنه لم يحظ بتأييده، وعندما قسام ماني بحولة شملت بلاد الهند للدعوة لديناته الجديدة، وعاد إلى إيران عندما علم بوفاة أردشير، فلفسي حظوة جيدة عند ابنه سابور ورداً على عطف سابور

¹ "وايدنغرين (جير): ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1985م، ص97.

عليه ألف ماني كتابا وأهداه إليه وسماه سابورغان شرح فيه حماية الملك سابور له، لكن هذا السود لم يستمر طويلا إذ سرعان ما تمكن رجال الدين الزرادشتي من تحريض الملك عليه، فغادر إيران متوجها إلى الهند والصين داعيا إلى مذهبه حتى مات الملك سنة 273م.

ومع وصول هرمزد الأول للحكم حظي ماني بالحماية من جديد، لكن ملكه لم يحكم سوى عام واحد، حيث جلس على عرش الدولة الساسانية بهرام الأول المعروف ببغضه لماني، فأعد مناورا دينية بين ماني وكبير رجال الدين الزرادشتي الموبدان موبد انتهت بتكفير ماني وإعدامه وتشهير الروايات إلى أنه صلب وسلب جلده وهو حي، ثم قطع رأسه وحشي جسده بالنين وصلب على أحد أبواب مدينة جند سابور في إقليم الأهواز. وتعرض أتباعه للاضطهاد وخاصة على يد رجال الدين الزرادشتي فتحولوا إلى العيادة السرية لعقيدتهم، كما هاجرت مجموعة كبيرة منهم هربا من التنكيل.

وترك ماني مجموعة من الكتب منها كتاب الكفلايا، وكتاب السابورغان، وكتاب الأسرار، والأصل، والإنجيل، وكثر الحياة، وغيرها من الكتب التي ترجمت إلى السريانية واليونانية، وغيرها من اللغات وهذا يدل على انتشار المانوية في آسيا الغربية وشرق أوروبا وشمال إفريقيا⁽¹⁾.

وقد أدى التبشير والتعليم المؤلفان للنشاط الديني المانوي إلى كثرة البعثات في القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلى مختلف المناطق، وانتشرت المانوية في الإمبراطورية الرومانية وفي بلاد العرب والصين.

¹ - العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص 135-137.

— البوذية:

تغللت البوذية في إيران على يد المبشرين الهنود، وقد وجد أتباعها في شرقي إيران، وكانت غايتها التخفيف من آلام الناس والسعي لإسعادهم؛ بإلغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر، وتقوم البوذية على أساس فلسفي يهدف إلى الابتعاد عن ملذات النفس، واعتماد حياة التمسك والزهد، ويعرف كتاب البوذية باسم سلال الحكمة الثلاث، ويتناول قواعد الدين، والمساوئ والأحداث، والشرعية البوذية.

نشأت هذه الديانة في الهند في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد على يد بوذا الذي يعتقد أنه عاش بين (563-483 ق.م)، وانطلقت من هناك إلى المناطق المجاورة. وتتلخص مبادئها بالتناسخ، والروحانية فلم تتعرض البوذية للألوهية لا بالنفي ولا بالتأكيد، وكانت ذكرتها عطفية صرفة لا تهم بالشعائر أو الطقوس الدينية، وعليه لم يدع بوذا الألوهية، ولم يوجد أية آفة في عقيدته¹.

وفرض على أتباع البوذية الصلاة والزكاة والصيام والحج، فصلاهم تأملات عميقة في سلسل العالم، وزكاهم واجب سنوي على الغني للمحروم، وذلك كنوع من المساواة بين البشر، وصيامهم يبدأ عند منتصف النهار ويستمر حتى فجر اليوم التالي، ويصومون ثلاثة أيام متفرقة في السنة وهي عند اكتمال القمر في أيام جزيران وتشرين الأول. أما الحج فهو لأماكن متعددة كمكان ولادة يسوذا، والمكان الذي بدأ به بشر تعاليمه، وأول منطقة أعلنت البوذية ديانة لها في الهند وتعرف ببوذا جابا، والمكان الأخير مرقد بوذا.

¹ - حميد (فوزي محمد): عالم الأدب بين الأسطورة والحقيقة، دار حطين، دمشق، ط1، 1993م، ص 193، 200. الموسى، المرجع السابق، ص 39.

٢٠ - المزدكية:

تُنسب المزدكية إلى مزدك الذي ظهر أيام قباد الأول مطلع القرن السادس الميلادي^(١). وقال بوجود مبدئين أو أصليين للكون: هما الظلمة والنور. وقد لُهي مزدك عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولأن أكثر أسباب ذلك النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شراكة فيها كاشتراكهم في الماء والنار. فكان يقول دائماً: ((إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي، فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس أولى بها من غيره))^(٢).

وقامت المزدكية في زمن نشأت فيه مذاهب فكرية عديدة في منطقة الشرق القديم، وأقدم ما وصل إلينا منها عبادة النار وعبادة بعض القوى المجردة، ثم تمحضت المعتقدات القديمة ذات المصادر المختلفة عن الديانة المزدكية التي انتشرت في إيران أوسع انتشار والتي قالت بالكونين والأصليين.

واعتقدت كالزرادشتية أن الإله «مزدا» ومعناه العقل (الذكاء) وهو الإله الحكيم العاقل الذي برز من بين الآلهة المتعددين وهيمن عليهم قد اندمج بالإله «أهورا» إله القوة العاقلة وكوناً إلهاً واحداً هو «أهورا مزدا» نصار الإله الأول، ثم برز لمواجهة إله آخر أسمته «أهريمان» وجعلته إله قوى الشر الموجودة في العالم، فالإله العاقل الحكيم لا يصدر عنه إلا الخير، يقول مزدك إن النور «أهورا مزدا» يفعل بالقصد والاعتبار وهو عالم حساس، والظلمة «أهريمان» يفعل على الخطأ والاتفاق فهو حامل أسمى.

ترغم النورة مزدك الذي ادعى أنه جاء ليصلح مذهب ماني الذي أسندته بعض التفسيرات التي ألحقت به في أعقاب موت ماني، ولا يعرف على وجه الدقة متى شعرت

^١ - المقدسي (المظهر بن طاهر): البدء والتاريخ، باريس، 1903م، ج3، ص167.

^٢ - وحيد (عبد فرید): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م، ج8، ص453 - ص454.

هذه الدعوة بقوة وقدرتها على مواجهة الأوضاع في الدولة الساسانية، ومن نصيب رئيس
حمل لقب أندرزار المشتقة من كلمة أندرزكر بمعنى المعلم أو المشر، كما لا يعرف متى تمكن مزدك من
مقابلة قباد الملك الساساني وماهي الطريقة التي تمكن من خلالها مزدك من إقناع الملك باعتماد مذهبه
وجعله يوافق على كل التغييرات القانونية لتنفيذ مبادئ المزدكية وخاصة المشاعية في التملك، وبجهول
أيضاً ذلك السبب الذي جعل من قباد يوافق على مثل تلك المبادئ، التي ساعدت الجموع الكبيرة من
الفقراء على سرقة البيوت الأشراف ومزارعهم ونهب أموالهم واغتصاب الفتيات الحرائر، والإضرار
بالاقتصاد كقطع الأشجار، وحرق المحاصيل¹.

وقد لاقت المزدكية انتشاراً كبيراً في إيران وأذربيجان وآسية الوسطى، خاصة أنها روجت
للانتصار الحتمي للنور على الظلمة والمخير على الشر. وأعلن أن العدالة الاجتماعية ستنتصر على
الظلم والفساد الطبقي ولتحقيق ذلك دعا لاستخدام العنف والقوة للقضاء أو لإلغاء التفاوت
الطبقي الاجتماعي ولجعل الملكية عامة يتمتع بها الناس على السواء. فقد كان مزدك يعتقد بأن الله
أودع طرق المعيشة (الأرزاق) في الأرض كي يتقاسمها الناس بالتساوي بحيث لا يأخذ أي شخص أكثر
من نصيبه. ولكن الأقوياء ظلموا الضعفاء، واستأثروا بجميع الثروات والأموال. وعلى هذا فمن
الضروري أن يعيد الأغنياء حصة الفقراء، لأن حق أي شخص ألا تزيد ثروته على ثروة الآخرين
ومطالبهم ونسائهم.

كانت الأوساط الفقيرة أكثر فئات المجتمع تأثراً بأفكار المزدكية، فانفضت واستولت على
أموال الأغنياء، وطردهوا الإقطاعيين، وعمت الفوضى والاضطرابات البلاد كافة، واستبيحت أعراض
النساء وأموال الأغنياء وغير الأغنياء، وتزعزع الاستقرار

¹ - العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص 140-143.

الاجتماعي، خاصة أمام تأييد قباز الأول لها. ولكن بعد نجاح غير طويل فمعت المزدكية وتكفل باتباعها
بوحشية بالغة.

وبعود الفضل في تحقيق ذلك إلى كسرى أنوشروان الذي أعد كميناً محكماً لكبار المزدكيين
خلال مناظرة دعا إليها والده قباز لحل الخلاف المتفاحم بين أنصار الزرادشتية وأنصار المزدكية فتعاون
كسرى مع رجال الدين الزرادشتي للتخلص من مزدك، حيث تمكن جنود كسرى من قتل عدد كبير
من المزدكيين ممن فيهم مزدك نفسه خلال حضورهم المناظرة التي دعا لها قباز.

ولا نعرف فيما إذا كان قباز قد وافق ولده كسرى على تنفيذ مثل ذلك الكمين أم أن كسرى
تجاهل موقف أباه وأعد الكمين بنفسه، خاصة أن الكمين نفذ في أعقاب ترأس قباز للمناظرة، كما لا
نعرف كيف انحاز قباز إلى جانب ولده وأمر باستباحة دماء المزدكيين في كل أرجاء البلاد ومصادرة
أموالهم، وحرق معابدهم⁽¹⁾.

وبالقضاء على المزدكيين ومطاردتهم زالت بشكل كامل الآثار والوثائق المكتوبة المتعلقة بهذه
الجماعة، ولذلك فإن المعلومات حول هذه الديانة معدومة للغاية ومقتصرة على بضع إشارات باللغة
السريانية، واليونانية، والبهلوية، والفارسية والعربية، ويذكر أن لمزدك كتاب مفقود، وأنه كان
موجوداً ترجمه ابن المقفع للعربية.

== اليهودية:

تعرض اليهود في ظل الساسانيين لمضايقات شديدة من رجال الدين والملوك. فقد كان رجال
الدين شديدي التعصب، وكان تعصبهم لأسباب سياسية؛ خاصة وأنهم ادعوا السيادة المطلقة داخل
حدود الدولة ولا يقلعون كثيراً إلى من يدينون بدين آخر.

¹ - العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص 143.

ففي عهد قباذ الأول (488 - 531م)، ألقوا في السجن بعض رجال الدين عام 521م، الذين حكم عليهم بالقتل. وفي عهد الملك هرمز الرابع الذي خلف كسرى أنوشروان على العرش سنة 579م، ساءت أحوال اليهود نظراً لوقوفهم إلى جانب القائد بهرام جوبين، الذي قاد مؤامرة ضد الملك.

كذلك ثار اليهود في صور، وأرسلوا إلى بني ملتهيم في فهرص ودمشق والقدس؛ يُحرضونهم على الثورة بمناسبة غزو الساسانيين لسورية، وحينما سمى الساسانيون كثيراً من سكان البلاد النصراني، بادر اليهود إلى شراء عدد كبير منهم يتراوح عددهم بين 80,000 - 90,000 ألفاً، وذبحوهم، حيث مثل في هذا الحادث عملية انتقامية بالغة القسوة ضد النصارى. كما أشعلوا النار في جميع كنائس النصارى في أورشليم وكنيسة القيامة. مما يدل على اضطهادهم في بيزنطة أيضاً، ويذكر أن رغبة اليهود في الانتقام لأنفسهم، ربما ترجع إلى الاضطهاد الذي لحق بهم على يد بيزنطة أحياناً.

- المسيحية:

المسيحية دين أنزل على يسوع المسيح، وأطلق على أنصاره اسم المسيحيين. ومنذ عام 61م بدأت المسيحية تنتشر في روما، وعلى مدى 250 عاماً عاشت الكنيسة في اضطهاد دائم، واستشهد العديد من المسيحيين بسبب رفضهم تأليه الإمبراطور البيزنطي، ولم يحصلوا على حرية في ممارسة شعائهم إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول، الذي أصدر مرسوم ميلان 313م أطلق فيه حرية المعتقد الدين للمسيحيين.

و ترافق انتشار المسيحية ضمن الأراضي الإبرانية مع الجهود التبشيرية للمسيحيين في المناطق الأخرى من العالم⁽¹⁾. فالمسيحية، مثلها مثل أية ديانة

¹ - رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، ط1، 1955م، ج2، ص54. مظهر، المرجع السابق، ص399.

165. Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971, pp 163-1989.

جديدة، احتاجت إلى مدة طويلة لخلق هويتها الخاصة، وتُعد من تأثير التقاليد الدينية الأخرى وتُقدم قضاياها الضرورية لعلها فيها المستقل الخاص.

ولم يعامل الدين الجديد من قبل الإمبراطورية الرومانية أو الفرس، كدين مستقل جديد، ولم تتمتع المسيحية في مرحلتها الأولى بصلاحيات تأسيس قوة دينية كطائفة جديدة ضمن مجتمع جديد، وكان الوضع الاجتماعي للمسيحيين في الإمبراطورية الرومانية سيئاً، بينما كان وضعهم مختلفاً في فارس.

وتنذر المعلومات عن انتشار المسيحية بين السكان الإيرانيين في القرون الأولى. وكان على المسيحية أن تراعي أماكن انتشارها، يدفعها إلى ذلك الموقف الروماني الرافض لانتشارها بين الرومان، والطبيعة الجغرافية والسياسية لفارس، حيث تمتعت بعض المناطق باستقلال شبه كامل، ناهيك عن عدم تدخل الملوك الفرس في الشؤون الدينية.

لكن ذلك لا يعني تمتع المسيحيين بحرية واحترام كاملين، وتشهد مثلاً على ذلك المذبحة الرهيبة التي قام بها قياد الأول عند استيلائه على أمد نحو عام 520م، إذ لم يبق إلا عن أربعين شهيداً، توسط لهم ملك الأرمن، وقد أحصوا جثث القتلى فكان ثلثاً من ثمانين ألفاً، ومعروف عن أمد أنها تخص بالمسيحيين، هذا بالإضافة إلى أن قياد الأول لم يتوان عن سجن الأساقفة البعوثيين⁽¹⁾.

¹ Trinitingham J Spencey, Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic -

Times - First Published, Longman, London, New York, 1979. P169.

مع وصول كسرى أنوشروان للحكم توسعت الكنيسة المسيحية في إيسران، وعُمد على تنظيمها، ولكن هذا لا يعني أن زمن الاضطهاد قد انتهى⁽¹⁾، فهاهو ذا قد قُتل العديد من سكان مدينة سورا، وبعد حداث أسقفها واستيلائه على أموالها يضرَم النار فيها في ربيع عام 540م⁽²⁾. ولم ينته عند هذا الحد، فقد هاجم الرها عام 544م وحاصرها لكنه فشل أمام أسوارها، فرفع حصاره مقابل المال⁽³⁾. كل هذه الأحداث دفعت بالبيزنطيين أن يشترطوا ضمان الحرية للمسيحيين عند توقيع معاهدة السلام مع الساسانيين عام 562م. حيث أعاد كسرى أنوشروان تنظيم الكنيسة البعلبكية من جديد.

- الجيش:

- أقسام الجيش:

قُسِمَ الجيش إلى عدة أقسام اختص كل قسم منه بجانب عدد القتال والحرب، وكان هذا التنظيم والتنسيق أثر كبير في حسم نتيجة المعركة غالباً لصالحهم. كما ساعد ذلك على تجنب الفوضى والاضطرابات، وبالتالي التقليل من عدد القتلى خلال الأحداث الطارئة التي تدفعهم للانسحاب.

¹ - مار ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون، إهداء وتقليم مار غريغوريوس لإحنا إبراهيم، دار ماردين، ط1، حلب، 1996م، ج2، ص192.

² - أناسيو (متري هاجي): سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط1، 1997م، ج1، ص219. الناصر (محمد فاضل): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جستنيان)، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص199.

John - op. cit. - Vole 1 - P141.

³ - أبو سيف (عبد القادر): الدولة البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1966م، ص64.

- الفرسان:

شكّل الفرسان (الأساورة) القسم الرئيسي من الجيش وكانوا على عدة أقسام تفاوتت حسب أهميتها ودورها في المعركة، كما تفاوتت حسب جمعها وتدريبها وجنسياتها والجهة التابعة لها.

أ- الفرسان الخالدون (الأساورة الخالدون): وهم فرقة من الفرسان المختارين تتكوّن من عشرة آلاف فارس، يحمل رئيسهم لقب (ورهريكان خواذاي) Varhranighan Khvadhay .

ب- الفرسان المتطوعون (الأساورة المتطوعون): وهم الذين يعدّهم ويجهّزهم الملوك التابعون للملك للخدمة، ونرى بينهم من جميع الطوائف القاطنة في الأراضي التي تُمدّد عليها السلطة الفرثية.

ج- الفرسان الفدائيون (الأساورة الفدائيون) (جان أوسبار Agan Auspar): وهم عبارة عن جنود ماجورين امتازوا بالجرأة وتحمي الموت⁽¹⁾.

- الفيلة والجمال:

شغلت الفيلة مكاناً لها تحلف الفرسان، وكان صوتها ومنظرها ورائحتها يدبّ الذعر في عيول العدو. وراكبو الفيلة يحملون بأيديهم البعش سكاكين طويلة المقابض، ليتمكنوا من قتل الفيل إذا دُعر وسبب اضطراب صفوفهم. كما كانت الفيلة عبارة عن قوات احتياطية، إذ وضعوا عليها أبراجاً مليئة بالمحاربين.

¹ - هورن، المرجع السابق، ص 299. كريستات، المرجع السابق، ص 142. كريستسن، المرجع السابق، ص 198.

كروين، المرجع السابق، ص 377.

بالإضافة إلى ذلك كان الجمل، الحيوان الذي يمكن أن يتحمل ثقل المحارب ودرعه، وساعد ارتفاعه على الرمي وإصابة الهدف، وإعاقة أهداف العدو، ناهيك عن القدرة الكبيرة للمحمل على التحمل.

- المشاة:

نألفت مؤجرة الجيش من المشاة (بايكان)، ويقودهم رؤسائهم الذين يُسمى الواحد منهم (بايكان سالار). وكانوا من أهلي القرى. ويتخذون جنداً لحفظ النظام ويشاركون في الحرب دون تشجيع من أحد ودون وعْدٍ بالمكافأة.

تعد مشاركة هؤلاء إجبارية دفعهم إليها قادتهم الإقطاعيون لخدمة الملك والبلد، فإذا كان النصر أحياناً الإقطاعي المكافأة والثناء، وإذا كان الموت فلا أهمية لموتهم ولنداء عائلاتهم.

وكانت أسلحتهم خفيفة، منهم مسلح بدروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران المشابك المغطى بجلد، ومنهم بدون دروع. إلا أن مهارتهم القتالية بشكل عام كانت قليلة وغير فعالة¹. ولم يكن لهم أهمية تذكر، إذ كانوا يجمعونهم من القرويين ويعطوهم الأسلحة والتروس ويرسلوهم للحرب، وفي معظم الأحيان لم تُدفع لهم مرتبات. كما أنهم استُخدموا في تادية الأعمال البعيدة عن صفوف الجنود المقاتلين، كقرق ملحقة بالجيش، تعمل على توفير مستلزماته كحرق الأسلحة وتوفير المؤن والطعام، والعناية بالجرحى وما شابه ذلك، وكانوا أكثر راحة من سواهم وأكثر أماناً.

وكان لدى الفرس فرق من المشاة ولكن انحصرت مهمتهم في تقديم الغذاء والعلاج للمصابين، وتلبية خدمات سلاح الفرسان، وحماية وحراسة المعسكر الملكي. كما أن الحرب في المناطق الجبلية والوعرة من المهام التي أوكلت إلى المشاة؛ حيث

¹ - كريستensen، المرجع السابق، ص 198 - ص 199. كيرشن، المرجع السابق، ص 377.

نصعب حركة الفرسان، وتقل أهمية مشاركتهم، كما كان لهم مهام أخرى، في المصادق السهلية، ومن المرجح أن لشاة شكلوا ركناً أساسياً في الجيش، وإن قلت المصادر التاريخية المتوافرة من أهمية هؤلاء⁽¹⁾.

- الفرق المساعدة:

بالإضافة للمشاة فقد كان هناك فرق مرادفة أو مساعدة، تكونت من الشعوب المجاورة التي تسكن أطراف الدولة، وكان هؤلاء أكثر مهارة وانقائاً لفنون القتال من المشاة. ربما لأنهم حكموا من قبل أمراء محليين. وكان الجنود الأيمن من أفضل الفرق الرفيدة، وحظوا بمكانة خاصة لدى ملوك آل ساسان. وربما كانت بعض هذه الشعوب مستقلة استقلالاً تاماً ولكنها كانت فرقة من الجنود للخدمة مقابل المال كفرقة المون.

- تنظيم الجيش:

كان الجيش وقيادته خلال القرون الثلاثة الأولى من العهد الساساني، بيد القائد العام، السدي كان منصبه ورأياً يفوض لأحد أفراد العائلة الملكية، الذي يضع تحت أمره اثنين من أصحاب المناصب العليا لتنفيذ أوامره: الأول لتنظيم أمور العسكر، والثاني لقيادة الفرسان، وهذان المنصبان أيضاً كانا مفوضين لأفراد العائلة المالكة⁽²⁾.

ومع وصول كسرى أنوشروان للملك تغير نمط تنظيم الجيش، وهدفه لئلا تكون القيادة بيد شخص واحد؛ وقسم قيادة العسكر إلى أربعة أقسام: قائد لشمال البلاد، وثانٍ لشرقيها، وثالثٍ لجنوبيها، ورابعٍ لغربيها. وكانت الغاية من ذلك منع تركيز كل القوة العسكرية بيد شخص واحد مما يشكل خطراً على الدولة.

¹ - بيريا، المرجع السابق، ص 300. كريستنسن، المرجع السابق، ص 199.

² - كريستنسن، المرجع السابق، ص 198.

حَمَلَتْ أَكْثَرُ الْفِرَقِ الْعَسْكَرِيَّةِ اسْمَ كَنْدٍ وَسُمِّيَ قَائِدُهَا كَنْدَسَالَارَ، وَالْفِرْقَةُ الْأَصْغَرُ هِيَ فِرْقَةُ
دِرْفَشٍ، أَمَّا أَصْغَرُ الْفِرَقِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَهِيَ فِرْقَةُ وَشْتِ Vashit، وَكَانَ لِكُلِّ فِرْقَةٍ رَابِطُهَا الَّتِي تُمَيِّزُهَا مِنْ
غَيْرِهَا مِنَ الْفِرَقِ.

فِي الْمَعَارِكِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كَانَ يَدِيرُهَا الْمَلِكُ، كَانَ يُحْمَلُ عَرْشٌ كَبِيرٌ يُوضَعُ وَسَطَ الْجَيْشِ، وَيَلْتَفُّ
حَوْلَ الْعَرْشِ عِدَّةُ الْمَلِكِ وَحَاشِيَتُهُ وَفِرْقَةٌ مِنَ الْجُنْدِ؛ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ حَتَّى الْمَوْتِ. وَقَدْ رُفِعَتْ
الْأَعْلَامُ فِي أَرْكَانِ الْعَرْشِ، وَخَلْفَ هَذِهِ الْأَعْلَامِ يَقِفُ حَرَسٌ مِنَ الرِّمَاءِ وَالرَّاجِلِينَ. وَفِي حِسَالِ غِيَابِ
الْمَلِكِ عَنِ الْمَعْرَكَةِ، يَتَوَلَّى قَائِدُ الْجَيْشِ إِدَارَةَ الْمَعْرَكَةِ فَيَجْلِسُ عَلَى الْعَرْشِ وَيَتَابِعُ تَفَاصِيلَ الْأَحْدَاثِ.
وَالْجُنْدِيُّ بِالدَّكْرِ أَنَّ مَعَابِدَ نَارٍ مَتَنَقِّلَةً تَوْضَعُ فِي عَجِيمةٍ خَاصَّةٍ، ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَحَارِبُ مُطْلَقاً دُونَ أَنْ
يَصْحَبَهُ رِجَالُ الدِّينِ وَسَيُوتُ النَّارِ.

وَبِالْإِتْقَانِ لِفَتَوَى الْحَاصِرَةِ فَقَدْ تَوَسَّعَتْ كَثِيراً فِي الْعَهْدِ السَّاسَانِيِّ، وَزَادَتْ الْحِيلَةُ وَالْمَهَارَةُ فِي
اسْتِخْدَامِهَا. إِذْ تَعَلَّمَ السَّاسَانِيُّونَ فَنَ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْقَلَاعِ مِنَ الْبَيْزَنْطِيِّينَ، فَاسْتِخْدَمُوا آلَاتِ الْهَدْمِ
وَالْمُحَنِّقِ وَالْأَبْرَاجَ الْمُتَحَرِّكَةَ وَمُخْتَلَفَ آلَاتِ الْحَصَارِ الْقَدِيمَةِ.

بِالْإِضَافَةِ لِذَلِكَ تَعَلَّمُوا طَرِيقَةَ فَكِّ الْحَصَارِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَعَطَبَ آلَاتِ عَدُوِّهِمْ، وَذَلِكَ بِرُمِي
مُعَدَّاتِ الْهَدْمِ فِي الْمَكَامِنِ، أَوْصَبَ الرِّصَاصِ الْمَصْهُورِ وَالْمَوَادِّ الْمُلْتَهَبَةِ عَلَيْهَا. وَفِي حَالِ تَوَغُّلِ الْعَدُوِّ فِي
أَرْضِيهِمْ، كَانَ السَّاسَانِيُّونَ يَحْرِقُونَ الْحَقُولَ لِيُحْوِلُوا دُونَ مَمَوْنِ الْجَيْشِ وَيَقْتَحُونَ السُّدُودَ فَيُعْبِقُونَ نَقْدَمَ
الْعَدُوِّ.

- الحياة الفنية:

نعكس الفنون الدوق الرفيع الذي تمتع به كل شعب من الشعوب، وتكمن أهمية دراسة الفنون في كونها تلقي ضوءاً واضحاً على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية، فضلاً عن تشييد المباني الضخمة كالقصور والقلاع يدل على ازدهار والرخاء الاقتصادي، كما يدل على الاستقرار الاجتماعي. من هنا شغلت دراسة الفنون المختلفة للدولة الساسانية جزءاً مهماً من العمل.

- فن العمارة:

تعد الأبنية من أهم المعالم المهددة الأثر التي تدل على رقي أو تخلف وتراجع الحضارة، وتُصنَع غالباً من مواد غير قابلة للتلف ومقاومة لعوامل التعرية الجوية، ناهيك عن إمكانية تدمير رقي حضارة ما نتيجة لما تتعرض له من كوارث كالكوارث البيئية أو الحروب.

ترك الساسانيون شواهد معمارية كثيرة توضح لنا أسلوب العمارة وطرقه وعظمتها، وعلى اعتبار أن الساسانيين لم يقطنوا في إيران نفسها بل في وادي دجلة والفرات، فيلاحظ تفاعل حضاري في نماذج العمارة، وفي خلفاتهم المعمارية التي يغلب عليها القصور.

أقيمت الأبنية على مخطط واحد ومنتهى البساطة والسهولة⁽¹⁾، يعكسها لنا الوصف التالي لمثال معماري من القصور يعود للملك كسرى أنوشروان، وهو قصر طاق البستان ونقوشه.

¹ - سالكس، المرجع السابق، ج 1، ص 646 - ص 647.

– قصر طاق البستان (قصر كسرى أنوشروان):

تقع بقايا القصر على الطريق بين بغداد وكرمنشاه، وتشغل مساحة تقارب 300x400م. تشمل الإيوان وبقايا بناء شرقي وتلاً في جنوبه يُسمى (حريم كسرى)، وفي شماله عرائب تُحفيها مقبرة حديثة. والإيوان هو الجزء الوحيد من هذه المجموعة الذي بقيت منه عرائب هامة، يتجه البناء نحو الشرق ويرتفع إلى نحو 29م، وتتكون واجهته من جدار بدون نوافذ، ولكن تزينة الطاقات وأشكال الأعمدة المنقوشة عليه بشكل بارز. بالإضافة إلى العقود الحجرية المصقوفة على أربع طبقات. تُشرف وسط هذه الواجهة القبة البيضاوية الهائلة التي تغطي هو الامتقبال، وخلف كل مسنّ جناحي الواجهة خمسة أعمدة أقل ارتفاعاً، تعلوها قباب مستديرة بسدها من الخارج جدار مرتفع⁽¹⁾، ويقع خلف الجدار هو مربع في الوسط وعلى كلا الجانبين حجرتان أصغر حجماً، وقد بُنيت الجدران والقباب جميعاً من اللبن⁽²⁾.

أما الإيوان فهو عبارة عن بناء بسيط بُني من الجص والأجر، بناه كسرى أنوشروان عام 550م⁽³⁾، وكانت أبعاد فتحة قننه بين 14,80 – 25,56م وارتفاعها حوالي 32,5م⁽⁴⁾. وقد غطت جدران الإيوان لوحات فسيفسائية من بينها تلك التي تمثل حصار أنطاكية، والمعارك التي دارت حولها، إذ نرى كسرى أنوشروان ملبس

¹ – سايبكس، المرجع السابق، ج1، ص 647.

² – Encyclopedia Of World Art – Printed In Italy – McGraw Revised Printing – Hill Book Company – London – 1972, P1709-710.

³ – بيرنيا، المرجع السابق، ص 383.

⁴ – الخمسي (عفيف): موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، دار الرائد العربي، لبنان، ط1، 1982م، ج1، ص 168 – ص 169.

خضراء متقطعة صهوة جواد أصفر ويستعرض صفوفاً من الجنود الساسانيين والبيزنطيين⁽¹⁾.

فن الزخرفة والرسم:

اهتم الساسانيون بالزخرفة الملونة اهتماماً كبيراً، فقد كانت تُغطي الواحها الطينية للأبنية، وشغل تزيين الجدران مكانة هامة من فنونهم⁽²⁾، وقد تألق اللون الفني أول ما تألق في البلاط الملكي، فظهرت ألوان جميلة وألوان زكروس، ودوارق وأباريق، بالإضافة إلى طاسات كانت أجزاؤها المختلفة تُصنع كل منها على حدة وتُغلى بالذهب، ثم تُجمع ويُضم بعضها إلى بعض، وقد زُينت بمختلف الموضوعات.

بعد تويج الملك وعروجه للصبي أهم الموضوعات التي استحوذت على فكر الفنان الساساني، فرى على طبق من الفضة المذهبة كسرى أنوشروان وقد انطلق بجواده، ممسكاً بالسهم في يده، متعباً الحيوانات البرية⁽³⁾. ويدون اهتمام الفنانين الساسانيين هذه الموضوعات يدل على خدمة الفن للبلاط الساساني أكثر من أي شيء آخر، كما ندل على عدم استقلاله، ومعالجته موضوعات مختلفة أكثر قرباً للأوضاع السائدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية.

إضافة إلى تلك الموضوعات شاع في هذه الحفية نقش لوحات للحيوانات، كذلك التي ترمز للآلهة وخاصة آلهة الخير كالطاووس والكبش. كما صنع الفنانون بعض الكؤوس على هيئة رؤوس الحيوانات المختلفة، وخاصة الجياد حيث يكشف لنا رأس الجواد الفضي رغبة الفنان في محاكاة الواقع.

¹ - كريستنسن، المرجع السابق، ص 372-381.

² - بنسبي، المرجع السابق، ج 1، ص 169 - ص 170.

³ - عكاشة (ثروت): الفن الفارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط 1، 1989م، ج 8، ص 322.

- فن النحت :

ترك الفنان الساساني دلائل كثيرة على اهتمامه بالنحت وبراعته فيه، فبالإضافة للنقوش النافرة على واجهات القصور أو داخلها نجد أن الفنانين نحتوا تماثيلهم من الأحجار الكريمة أو شبه الكريمة، كأحجار الياقوت واليشب والسيلان والعقيق. نحتوا من هذه الأحجار تماثيل للآلهة وحوانات مختلفة. ومن أجمل تماثيلهم الصغيرة ذلك الخنزير الوحشي الصغير المصنوع من الذهب، والذي ألصق على كتفه نقش يمثل أسداً يتقض على فريسته، كما ألصق على فخذيه نقش آخر يمثل جناحين منشورين يمتصنان هلالاً تعلوه نجمة⁽¹⁾.

- الموسيقى :

عرف السامانيون الموسيقى التي ازدهرت كثيراً مع رقي البلاط الساساني، خاصة على عهد الملوك الذين حملوا لقب كسرى. وكان العود من أفضل الآلات لديهم، كما تبين لنا نقوش طاسق البستان. وقد وصل عدد الآلات الموسيقية المعروفة زمن كسرى أنوشروان، إلى حوالي ثلاثين آلة منها العود والتاني والمزمار وغيرها⁽²⁾.

ويحتفظ التاريخ الساساني بذكر اثنين من موسيقيي القرن السادس، وهما سرکش وباربد، فقد كان الأول مطرب كسرى أبريز، ويحاول منع الثاني من الوصول لكسرى أبريز - جسداً وقبرة، ولكن باربد فاز بثقة كسرى أبريز وألف ما يزيد عن ثلاثين لحناً⁽³⁾. لحن واحد لكل يوم من أيام الشهر الزرادشتي، وثمة مجموعة أغاني كانت

¹ - حكاية، المرجع السابق، ج 8، ص 323.

² - الحشاش، المرجع السابق، ص 67.

³ - الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 242.

موضوعاتها تدور حول أحداث الأساطير الإيرانية، والحان أخرى تتناول أحداثاً معاصرة لهم، وخاصة تلك التي تغني بالملك والبلاط^(١).

كان ذو مسيقيون يرافقون الملك في رحلات الصيد أو الحرب، هذا ما تمكننا منه معرفة لوحة تمثل نسوة يهتلن للملك، الذي يصطاد الخنازير، وأخرى تصور لنا عدة نسوة يعزفن على القيثارة. صنع الفنان الساساني أدواته الموسيقية العديدة بيده، وخاصة التي يحملها منقوشة أو مصورة في نقوش الصيد على جدران طاق البستان، كالقيثارة والمزامير وغيرها. في حين رسم العود والناي على الأواني الفضية، فنجد على طبق من الفضة نقشاً لصورة راقصة وسط ثلاث نسوة يعزفن على الآلات الموسيقية.

— الحياة الاقتصادية:

يشكل الاقتصاد العصب الأساسي لكل دولة، ويكون بقاؤها وازدهارها، وحتى توسعها مرهوناً بمقدرتها الاقتصادية، فعندما تتوافر المقدرات الاقتصادية تتوافر المقدرات الأخرى من عسكرية وسياسية، كما يزداد تماسك والاستقرار الاجتماعي.

المعلومات المتوافرة عن المجال الاقتصادي في هذه الحقبة شحيحة جداً، ولا تلقى ضوءاً واضحاً على الأوضاع أو الوسائل، ولا حتى على المردوعات التي كانت سائدة. كما يكتنف الغموض الكثير من جوانب العلاقات الزراعية سواء علاقة صاحب الأرض مع من يعمل بها، أم نظام الضرائب وما شابه ذلك من أمور.

لذلك اعتمدت المعلومات الواردة بعض الاستقراءات التي تدل عليها الأحداث، أو المشكلات التي عانى منها الاقتصاد الساساني وأسلوب الدولة في

^١ - عكاشة، المرجع السابق، ج ٨، ص 346.

معالجتها، ونقف مثلاً على ذلك ثورة مزدك التي ستفصل فيما بعد، فهي تدل على عسبء
الضرائب مما يدل على وجود ضرائب.

- الزراعة:

لاشك أن الزراعة تشكل أحد أهم أركان الاقتصاد الساساني، خاصة إذا علمنا مقدار المساحة
التي تسيطر عليها الدولة الساسانية، والتي تحوي على مساحات شاسعة صالحة للزراعة، من سهول
والهضاب وبحيرات ومناخ ملائم لها على اختلاف أشكالها. ومما يعكس أهمية الزراعة، ذلك الأسلوب
الذي اتبعه ملوك آل ساسان في معاملتهم للأمري البيزنطيين خلال صراعهم الحافل مع بيزنطة، ذلك
أهم كانوا يوظفون أسراهم في مناطق لاستصلاح الأراضي البور أولاً، ولتنظيم سقاية الأرض المروية
من خلال استخدامهم في إنشاء السدود، وحفر الأقنية، وبناء الجسور¹.

- أهم المزارع، وملكية الأرض.

ازدادت المحصولات الزراعية في القرن السادس الميلادي، وتم إدخال زراعات جديدة كزراعة
شجرة التوت وتربية دودة القز، كما وجدت أملاك زراعية كبيرة طبق فيها نطق الزراعة القديم.
بالإضافة لذلك كانت الحرية الاقتصادية في الأعمال الزراعية محدودة نسبياً، والأملاك
الشخصية محصورة وغير قابلة للتوسع. وبالرغم من ازدهار الحياة الاقتصادية، فقد ساءت أحوال وحياة
الفرويين أو الفلاحين، وذلك بسبب فقدانهم استقلالهم تدريجياً أمام حرماتهم من التعليم، واضطهادهم
على يد عمال الملك، أو الأشراف أو

¹ - سابكس، المرجع السابق، ج 1، ص 636. كريستنسن، المرجع السابق، ص 115.

الملوك الصغار التابعين للملك الملوك، والذين تعود إليهم ملكية الأرض التي يحصل عليها الفلاح^(١).

أما سبب انحسار الملكية الفردية، فيعود إلى نظام الضرائب الجائر الذي كان قائماً، وإلى نفوذ كبار الملاكين الذين ازدادت قوتهم بفضل دعم الملك لهم، فشكّلوا ضغطاً كبيراً على صغار الملاكين، الذين اضطروا لرفع الحيف عنهم أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملاك الكبار؛ لبحسبهم من تعسف حجة الضرائب، وهكذا أصبحت الدولة دولة إقطاعيين^(٢).

إن ثورة مزدك مثلاً واقعي لا يحتاج إلى برهان ضد جور نظام الضرائب، وما يعتريه من ظلم وقسوة خلال عملية الجباية، كما أنها ردة فعل قاسية على الانقسام الطبقي الذي يعاني منه المجتمع الساساني. لذا لابد من تناول الثورة المزدكية بشيء من التفصيل.

- ثورة مزدك.

كان على قياد الأول أن يختار بين الأشراف الذين تزداد قوتهم، وبين الشعب الذي يحيل إلى الدعوة المزدكية، ويطالب بتغييرات جذرية تعمل على تحسين أوضاع المحرومين في المجتمع. وقد وجد فباذ الأول أنه من الحكمة الوقوف إلى جانب الشعب، لا لتأييد الحركة المزدكية بل لتقليص نفوذ الأشراف وإضعاف قوتهم.

^١ - غير مضمّن، المرجع السابق، ص 411.

^٢ - غير مضمّن، المرجع السابق، ص 411. النجار (معيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 19.

كانت ثورة مزدك ردة فعل عنيفة ضد الإقطاعيين من قبل العبيد والفلاحين، الذين أصبحوا نصف عبيد وكذلك الناس الذين كانوا أحراراً في الماضي في المدن وأطرافها⁽¹⁾.

تمكن مزدك من تحقيق نصرته الجماهيرية الكبيرة، ساعده على ذلك ما دعا إليه من مساواة وضرورة تقسيم الثروة بين أفراد المجتمع بالتساوي: ((يجب أن تعطي ثروة الغني للفقير))، يمثل هذه الأفكار وغيرها تمكن مزدك من السيطرة على أفراد الشعب الذي مناه بوعود كثيرة، كما ساعده أيضاً التقسيم الطبقي في المجتمع الساساني، وعدم إمكانية الانتقال من طبقة إلى أخرى⁽²⁾.

أيد قباذ الأول هذه الحركة فاستاء رجال الدين والإقطاعيون الذين تمكنوا من حلّعه، وحبيسه، وعنايته وتنصيب أخيه مكانه. لكنه تمكن من الهرب بمساعدة أخته، وهرب إلى خاقان الترك السدي زوده بجيش ساعده على استعادة عرشه⁽³⁾.

ازداد حبس الثورة وزادت الاضطرابات بسببها، وبدأ مؤيدوها بالامتلاء على أملاك التجار، وسي النساء، وحجز الأراضي الزراعية. في البداية عمل قباذ الأول على التعامل مع زعمائها بمسؤولية، خاصة أن هؤلاء ازدادوا قوة بانضمام بعض الأشراف إليهم، الذين غرروا دينهم وأصبحوا مزدكيين⁽⁴⁾. عارض المزدكيون رغبة قباذ الأول في تولية ابنه كسرى أنوشروان الحكم، فوقع الأمر في قلبه وقرر الابتعاد عنهم، وبدأ يفكر بالقضاء عليهم، فعقد مجلس مناظرة

1 - غير شمن، المرجع السابق، ص 362.

2 - غير شمن، المرجع السابق، ص 361 - ص 362.

3 - دانش يزوه، المصدر السابق، ص 395 - ص 396. الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 117. John -

History Of Persia - Vole 1 - PP 133 - 134

4 - غير شمن، المرجع السابق، ص 363.

حضره كهنة زرادشتيون ومسيحيون بينوا فيه زيف مبادئ مزدك، وحرموها، كما أحرقوا كتب واستولوا على أملاكه وأملاك مؤيديه وثرواتهم، لكن النهاية الحقيقية للمزدكية كانت على يد كسرى أنوشروان الذي ضرب أعناقهم.

قام كسرى أنوشروان برد الأموال إلى أصحابها، وأمر بكل مولود أن يلحق بمن ينسب إليه منهم، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ الغالب لها حتى يغرم بمهرها ويرضي أهلها، ثم تخير أن تبقى عنده أو تتزوج غيره، إلا أن يكون لها زوج سابق فتد له. وأمر بكل من أضرب رجلاً في أهله أو ماله أو ركب أحد مظلومة أن يؤخذ منه الحق، ثم يعاقب النظام بقدر جرمه⁽¹⁾.

— نظام الضرائب.

لرغبت الدولة على رعاياها ما يسمى الضريبة، وهي قسم من الإنتاج الذي تنتجسه الأرض، وتراوح قيمتها بين العشر والعشر ونصف، وذلك حسب محصول الأرضي، وهذه الطريقة لم يُعَفَّ أحد من الضريبة⁽²⁾. وإذا أضفنا للسنوات العجاف إجحاف مأموري الضرائب في حساباتها، يلاحظ أن ذلك يشكل ضغطاً إضافياً على الفلاحين خاصة، وزاد الأمر سوءاً عدم تمكن المزارع من الحصول على حصته من الإنتاج، قبل أن يأخذ الملك حصته. كل ذلك أدى لعدم اكتراث الفلاح بالعمل أمام عدم زيادة الدخل. وعندما وصل كسرى أنوشروان إلى الحكم لمس المشكلة، وعمل

¹ - دانش يزوه، المصدر السابق، ص 303. رضائي (عبد العظيم): كنجية تاريخ إيران، انتشارات أطلس، چاپ اول، تهران، 1378 هـ، جلد هفتم، ص 368-369، 566. الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 101-102. ابن مسكويه (أحمد بن محمد): تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سرش للطباعة والنشر، طهران، 1987 م، ج 1، ص 94-96.

² - دانش يزوه، المصدر السابق، ص 328. ذكر الفردوسي أن الضريبة كانت قبل عهد قباد الأول تصل إلى الثلث والرابع. الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123.

على وضع حل مناسب لها، فعمل على إصلاح نظام الضرائب مباشرة بعد القضاء على المزدكيين
وغيرهم.

- إصلاح نظام الضرائب.

حاز إصلاح نظام الضرائب على مقدمة الأعمال التي قام بها كسرى أنوشروان بعد اعتلائه
العرش الساساني. فأمر بمسح الأراضي كلها وحدد ما يدفع عليها من المال، ثم اعتمد رجلاً ثقة عُرفوا
بالنسزاهة والاستقامة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد. فحدد هذا النظام الضرائب التي تفرض على
الأراضي المزروعة⁽¹⁾ وهي درهم واحد سنوياً عن كل حريب⁽²⁾ من قمح أو شعير، ثمانية دراهم سنوياً
عن كل حريب من الأعشاب، سبعة دراهم سنوياً عن كل حريب برسيم، خمسة أسداس الدرهم سنوياً
عن كل حريب أرز ودرهم واحد عن كل أربع نخلات إيرانية أو ست أرامية أو ست أصول من
الزيتون⁽³⁾.

أعفى كسرى أنوشروان كل المحاصيل الأخرى من الضريبة، كما أعفى النخل المتفرق الذي لا
يكون حقلاً واحداً، بالإضافة إلى هذا التحسين في نظام الضرائب العقارية، عدل كسرى أنوشروان
الضريبة الشخصية ففرضها على من يتراوح عمره بين

¹ - الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص123. ساهكس، المرجع السابق، ص636.

² - الجريب، يعادل 240 متراً مربعاً. كريستنسن، المرجع السابق، ص351.

³ ... المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماخي الرفاعي، دار الفلم، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ج2، ص250. ذكر الفردوسي أن هناك درهماً واحداً على كل عشرة أصول من الزيتون وليس سنة. الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص123. كريستنسن، المرجع السابق، ص351.

العشرين والخمسين من الرجال، واستثنى منها العظماء والمفانيلن والهرابذة والكتاب، ومن كان في خدمة الملك^(١).

وبلغ من تسامح كسرى أنوشروان في حياته للضرائب أن قسمها إلى ثلاثة أقسام حسب شهور السنة، يدفع المواطن كل أربعة أشهر جزءاً منها فينتهي العام بنهايتها، وذلك لتقل وطأها على الفلاحين ولتقلل من إجحاف حجة الضرائب^(٢). كما عمل كسرى أنوشروان على تعيين مسؤولين مهمتهم أن يتحققوا من الأراضي المزروعة وغير المزروعة، وذلك لأجل أن تُعفى الأراضي غير المزروعة من الضريبة^(٣).

كما أعفى كسرى أنوشروان كل من بارت زراعة فمجه، أو تلت أشجاراً عند جباله الضريبة^(٤). ((لَا هَمَمْتُ بِتَصْفِاحِ أَمْرِ الرِّعْبَةِ بِنَفْسِي، وَرَفَعَ الْبَلَاءُ وَالظُّلْمُ عَنْهُمْ، وَمَا يَنْبَغِي مِنْ ثَقُلِ الْخَرَاجِ..... فَجَمَعْتُ الْعَمَالَ وَمَنْ يُوْدِي الْخَرَاجَ، فَرَأَيْتُ مِنْ غُلَاطِهِمْ مَا لَمْ أَرْ لَهُ حِيلَةً إِلَّا التَّعْدِيلَ وَالْمُقَاطَعَةَ عَلَى بَلَدَةٍ بَلَدَةٍ، وَكُورَةٍ كُورَةٍ، وَقَرْيَةٍ قَرْيَةٍ، وَرَجُلٍ رَجُلٍ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الثَّقَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَجَعَلْتُ فِي كُلِّ بَلَدٍ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ أَمْنَاءَ يُحْفَظُونَ عَلَيْهِ، وَوَلَيْتُ قَاضِي كُلِّ كُورَةٍ أَنْظُرَ فِي أَهْلِ كُورَتِهِ، وَأَمَرْتُ أَهْلَ الْخَرَاجِ أَنْ

^١ - داتش يزوء، المصدر السابق، ص 330. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. البغدادي (أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ يعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمى للطباعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م، ج 1، ص 208. كريستنسن، المرجع السابق، ص 351.

^٢ - الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 123. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. سابكس، المرجع السابق، ص 636.

^٣ - سابكس، المرجع السابق، ص 636.

^٤ - داتش يزوء، المصدر السابق، ص 329. ابن مسكويه، المصدر السابق، ج 1، ص 97-100. كريستنسن، المرجع السابق، ص 352.

برفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إلينا إلى القاضي، وأن يُعطي به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يراد الخراج ممن لم يدرك من الأحداث»^(١).

وتصور لنا لوحة فنية لكسرى أنوشروان وقد قصّ لحينه وقتل شاربته، وأضاف لناجه تاجين وذلك بعد الإصلاح المالي والذي لُقّب بسبيبه بالعدل.

بفضل هذه الإصلاحات على نظام الضرائب غدا المزارع حراً بعض الشيء، ويستطيع أن يستفيد من محصوله وأن يوسعه، لأنه مطمئن على ثعبه فما يزرعه سيعود بالفائدة عليه. ومن هنا تحسنت الأحوال العامة للفلاحين، وبدأ اهتمام الفلاحين بتزايد بالأرض وبما تنتجه.

- الصناعة.

ازدهرت الصناعة إلى جانب الزراعة والتجارة، بفضل الاستقرار الذي ساد البلاد. بالإضافة إلى الرخاء الذي عمّ كلّ جوانب الحياة، وزاد من ازدهار الصناعة دخولها في مجال الفنون، فتجد النقوش الفنية قد طُبعت على المنسوجات الساسانية^(٢).

أنتجت بلاد إيران الذهب، والفضة، والنحاس، والجواهر النادرة، والمواد الثمينة، ونسج صنّاع إيران نسيج السندس الحريري والأقمشة الصوفية والسجاد وغيرها، إذ كان السجاد البابلي من أهم المواد التي رغب الصين باستيرادها من إيران^(٣).

وبما ساعد على ازدهار الصناعة أنه كان من عادة الساسانيين عند استيلائهم على مدينة ما، أن يحملوا معهم مهرة الصّناع والحرفيين إلى بلادهم، حيث يسكن هؤلاء

^١ - ابن مسكويه، المصدر السابق، ج 1، ص 102.

^٢ - عكاشة، المرجع السابق، ج 8، ص 321-322.

^٣ - كريستين، المرجع السابق، ص 115-117.

في مواقع مخصصة لهم، مما ساهم في تطوير بعض الصناعات كصناعة الخزف والزجاج والحديد وغيرها⁽¹⁾.
- التجارة والنقل.

ازدادت التجارة ازدهاراً في هذه الحقبة بالنسبة للفترة الماضية، وبشكل خاص البضائع غالية الثمن، والمواد المستخدمة في التجميل؛ والتي اعتنق باستخدامها الهلاط الملكسي، والأشراف والأغنياء. وبالرغم من ذلك فقد حدث من ازدياد توسعها تدخل الدولة فيها، الأمر الذي سبب إشكالات في حرية المبادلات التجارية.

أضف إلى ذلك، احتكرت الدولة تجارة بعض المواد كالمواد باهظة الثمن، التي يمثلها الخمر الصيني⁽²⁾. وقد جند الملوك الساسانيون أصحاب الخزف الذين جلبوهم من سورية، في ورشات عمل أسهمت في دعم تجارة الخزفيات والصناعات الزجاجية، وغني عن التعريف مهارة الصناع العرب في ذلك. أما ما استورده الساسانيون فيأتي على رأسه العنبر والأدوية المعطرة، والفلفل والورق والأحجار الكريمة.

نعدّ المنسوجات من أهم الصادرات الساسانية، إذ كانوا ينسجون منها أنواعاً وأنساقاً مختلفة، وتعدّ الري و مرو من المدن الصناعية الساسانية الهامة⁽³⁾. كما شكّلت المنسوجات اهتماماً بالذهب والفضة، والأقمشة والألبسة الحريرية، وريش الطيور والمصنوعات والجلود، جزءاً رئيسياً من صادرات إيران، بالإضافة إلى الباقوت الإيراني

¹ - كروستسن، المرجع السابق، ص 115. جگرشمن، المرجع السابق، ص 409. هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ج 1، ص 34 - 35.

² - هايد، المرجع السابق، ج 1، ص 15.

³ - بيرنيا، المرجع السابق، ص 308. جگرشمن، المرجع السابق، ص 408-410.

ومرجان البحر الأحمر⁽¹⁾. وبدأ يظهر ثمار بين التجار أنفسهم، فهناك التاجر الذي يُصدّر والتاجر الذي يعمل في السوق الداخلية، مما ساعد على زيادة عدد السماسرة.

وقد دفع تطور التجارة الملوك إلى زيادة بناء الطرق والتوسع فيها، كما توسعوا في بناء الخانات والمستودعات، وخزانات المياه. كل ذلك فرض وجود أشخاص للقيام بهذه الأعمال، كما فرض رقابة شديدة على المخططات التجارية الحدودية والموانئ البحرية⁽²⁾، كما أسهم في إيجاد مراكز تجارية في المناطق البعيدة، فغدت سواحل البحر الأسود مراكز لاستقرار التجار وتبادل البضائع. وعرف السامانيون السند واستخدموه في المبادلات التجارية، وأصبح كانه سند ملكية، وعرف رسمياً في دور النقد الملكية، وكتب السندات بكثرة لتغطية المبادلات التجارية النقدية، ولكن كان يجد من نشاطها انشغال الناس في حني الحصول، وفي أوقات دفع الضرائب، واعد ذلك من جهة أخرى على الحد من تدخل الدولة في عمل دور النقد.

- النقد:

سك السامانيون نقودهم من الذهب والفضة والنحاس، كما سكوها من خلصيط النحاس والبرونز. سمي السامانيون عملتهم الفضية بـ (زوز) وتزن مثقالاً واحداً، وسموا النحاسية بـ (معا). وما يلفت النظر في النقود السامانية جمال منظرها وشكلها، ربما يعود السبب في ذلك لوجود عمال يونانيين يعملون في دور السك السامانية.

واستفاد الملوك السامانيون من النفوذ للتاريخ لسنوات حكمهم، فمثلاً كتب على أحد وجهي قطعة نقود من نقود عهد كسرى أنوشروان (جهار و جهل) أي السنة

¹ - إيرنيا، المرجع السابق، ص 307 - ص 308.

² - كهرمن، المرجع السابق، ص 408-410. هابند، المرجع السابق، ج 1، ص 17 - ص 33.

الرابعة والأربعون^(١). كما تبدو صورُ قيادِ الأولِ على النقدِ الذي سُلِّقَ باسمه في وضعٍ يُعكِّلُ
جانِبَ وجهِهِ الأيمن، كما يحدُّ الجانبُ الأيسرُ لوجهِهِ بحفوراً على قطعةٍ نقديةٍ أخرى^(٢).



^١ - يرفنا، المرجع السابق، ص 306. رضائي، المرجع السابق، جلد هفتم، ص 482 - ص 483.

^٢ .. عكاشة، المرجع السابق، ج 8، ص 322.

– الفصل السادس.

- الفتح العربي لإيران.
- تحرير العراق وفتح إيران.
- المرحلة الأولى.
- المرحلة الثانية.
- معركة الجسر سنة 13 هـ.
- معركة البويب سنة 13 هـ.
- المرحلة الثالثة.
- معركة القادسية.
- المرحلة الرابعة.
- معركة جلولاء.
- غارات الفرس على العراق ومقدمات فتح ولاية فارس.
- معركة نهاوند (641م).
- فتح إقليم فارس (642 – 644م).
- لحظة العرب في فتح ولاية فارس.
- فتح أصفهان.
- الفتوحات في الجبهة الشرقية.
- الفتوح في منطقة ما وراء النهر.
- الفتوح في منطقة السند.
- الفتوحات في جرجان وطبرستان.



- الفتح العربي لإيران

بعد تأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في شبه الجزيرة العربية بقيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تذكر المصادر العربية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث رسائل إلى الشيوخ في الجزيرة والمملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية بدعوتهم فيها إلى اعتناق الإسلام. وعاصبة كسرى ملك الفرس وهرفل إمبراطور الروم.

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى بكتاب وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً، آمنهم تسليماً، فإن آيبت فعليك إثم الجحوس»، فمزق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يكتب إلي هذا وهو عبدي»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مزق ملكه»⁽¹⁾. وبعد موقف كسرى هذا بداية الصراع بين الدولة العربية الإسلامية الناشئة والدولة الساسانية.

- تحرير العراق وفتح إيران

كان العراق أحد أهداف حركة الفتوح الإسلامية، ولذلك لم يكن خالد بن الوليد يفرغ من حروب الردة، حتى كتب إليه الخليفة أبو بكر وهو في اليمامة أن يحضّر إلى العراق، وكتب كذلك إلى عياض بن غنم أن يأتي وبدخل العراق من الشمال أيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه. وهكذا بدأ العرب بفتح العراق الذي كان جزءاً من الدولة الساسانية.

1 - مرج (صمد): الفتح العربي للعراق وفارس، تقديم أحمد حسن الباقوري، دار الفكر، الطبعة العالمية، القاهرة 1966م، 61.

ويمكن تلخيص حركة فتح العراق في المراحل الآتية⁽¹⁾:

١ - المرحلة الأولى:

عندما بدأ أبو بكر بإرسال الجيوش لغزو العراق، واجهته مشكلة عزوف الناس عن محاربة الفرس، حيث الخوف اللامنطقي الذي استمر في ذاكرة العرب وذلك كنتيجة للهيمنة الفارسية، ونظرة الفرس للدونية لهم. لذا كان من المهم لدى أبو بكر عدم تعريض تلك الجيوش لأية هزيمة، فهذا مسن شأنه أن يعزز الخوف الفريزي.

بعد الانتهاء من حروب الردة كلف أبو بكر خيرة قادته خالد بن الوليد، فأرسل إليه أبو بكر وأمره بالنجوة إلى العراق، مع عدم إكراه أحد من المسلمين على مواصلة السير معه، ومن أحسب الرجوع فليرجع، فانفض كثير من الجنود، وعادوا إلى ديارهم تعباً وإرهاقاً من حرب الردة، فلم يبق مع خالد سوى ألفين من المسلمين. فطلب تعزيزات من أبي بكر، فأرسل إلى زعماء القبائل القريبة من العراق لمساعدة جيش خالد.

وفي السنة 12 هجري / مارس 633 خرج خالد من البصرة بجيش تعداده 10,000. وانضم إليه زعماء القبائل بتعزيزات 2,000 لكل منهم، فلم يصل خالد تقوم فارس إلا وتعداد جيشه 18,000 جندي، فأصبحت الخيرة هي هدف خالد.

بعد دخول العراق بجيشه الذي يقدر ب 18,000 جندي، حارب خالد الفرس في عدة معارك كان النصر حليفه في جميعها وهي: معركة ذات السلاسل تمت سنة 12 هـ / 633 م، ثم معركة نهر الدم تمت في صفر من نفس العام، ثم الوجبة في أواسط صفر حيث هزمت القوات الفارسية رغم تفوقها العددي⁽²⁾.

1 - للمزيد عن سير المعارك مع الفرس انظر المصادر الآتية: الطبري، المعتمد السابق، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، البلاذري، فتوح البلدان.

2 - - مرجع السابق، ص 86 وما بعدها.

بعد ذلك بدأت الساحة الفارسية بالتفكك والسقوط بسبب تفاقم المشاكل الداخلية، ثم تلسى ذلك سقوط الحيرة التي تعتبر عاصمة للعراق في ذلك الوقت. فأعطى خالد جيشه استراحة بعد أن أدرك أن معركة الوجة قد فرضت ضغطاً رهيباً على قواته، على الرغم من انتصارهم الساحق على الفرس فقد كانت معركة الوجة أطول وأشرس المعارك التي خاضها المسلمون حتى الآن في العراق، ولذلك سعى خالد بن الوليد إلى ضمان أن تبقى معنويات المسلمين مرتفعة.

ثم بعد ذلك توجه صوب الأنبار وحاصرها حتى سقطت بعد عدة أسابيع، ثم اتجه جنوباً إلى الحامية الفارسية الكبيرة التي كانت في عين التمر الواقعة على الطريق إلى دومة الجندل، وكان فطنسها العرب النصاري الموالي للفرس.

تلقى خالد وهو في العراق رسالة من عياض بن غنم، ذكر له أنه شبه محاصر في دومة الجندل من قبيلة كلب وجيشه منهك وطلب منه المساعدة. وقد وصلت هذه الرسالة إلى خالد عندما همم بالرحيل من عين التمر باتجاه الحيرة، وكانت الأوضاع في العراق قد استقرت. وفي اليوم التالي غادر خالد بن الوليد عين التمر على رأس ستة آلاف رجل باتجاه دومة الجندل. وقد هزم خالد بن الوليد تلك القبائل المناوئة وفتح الحصن عنوة في معركة دومة الجندل وكان ذلك في سنة 12هـ الموافق 633م (1).

عندما كان خالد مقيماً بدومة الجندل سعى الأعاجم وكاتبوا عرب الجزيرة النصارى فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من نائب خالد عليها، فقاتلهم المسلمون وهزموهم. أنهت تلك المزامسة الساحقة هيمنة الفرس على العراق، وأبقت عاصمة دولتهم المدائن من غير حماية قوية ومعرضة لأي هجوم من الجيوش الإسلامية. غير أنهم قد جهزوا جيوشاً تكون حائلة بين خالد وبين المدائن التي فيها إيوان كسرى.

1 - فرج، المرجع السابق، ص 97 وما بعدها.

سار خالد بن معن معه من المسلمين إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهراً، ولما بلغ الروم أمر خالد ومسيره إلى قرب بلادهم، استعدوا وجمعوا جمعاً كثيراً، واستمدوا تغلب وإياد والنمر، ثم ناهلوا خالداً فهزمهم في وقعة الفراض في النصف من ذي القعدة 12 هـ/ بنابر 634. وقد كانت آخر معركة له في العراق قبل أن يرسله أبو بكر إلى الشام قائداً عاماً لجيوش المسلمين لمحاربة الروم.

ب - المرحلة الثانية:

تبدأ المرحلة الثانية من فتوح العراق مع خلافة عمر بن الخطاب الذي ندب الناس مع المثنى بن حارثة أمير جيش العراق، وكان أبو عبيد بن مسعود الثقفي أول منتدب، وتبعه عدد كبير من الناس. وكانت أولى المعارك التي خاضها أبو عبيد هي معركة النمارق التي كان الفرس قد أعدوا لها القوي الداخلية، وعبروا الجند ولقوا المسلمين فيها من خلفهم ومن بين أيديهم ومن أمامهم، ولكن النصر كان للعرب، كما انتصر أبو عبيد في معركة السقاطبة بكسكر. ولكن المعارك لم تستقم في نسق واحد، فالنصر الذي حققه المسلمون في المعارك السابقة، قابضه هزيمة في معركة الجسر.

- معركة الجسر سنة 13 هـ.

تعد وقعة الجسر المعركة الوحيدة التي عجزها المسلمون أمام الفرس في العراق إذ إنهم لم يخسروا معركة قبلها ولم يخسروا معركة بعدها حتى تحرير العراق وضمه إلى الدولة العربية الإسلامية. وكان الجيش الذي غادر المدينة مع أبي عبيد إلى العراق ألف رجل وأصبح قبل موقع الجسر نحو عشرة آلاف، وهم الذين خرجوا معه من المدينة المنورة وعُمن الحق به من المسلمين عند مروره بهم وعاصفة من ارتد ثم عاد وحسن إسلامه وكان هؤلاء من

أشد الناس رغبة في الجهاد تكفيراً عن ردقهم وتعويضاً عما فاتهم من الجهاد في انطلاق الفتح الأولى بعد الانتهاء من حروب الردة.

وكانت الجند الفارسية كبيرة مقارنة بالجيش الإسلامي إذ إن رسم أراد أن ينتصر في معركة مع المسلمين ليعيد شيئاً من الهيبة لدولته ويعيد لجيشه روحه المعنوية وذلك بعد هزائمهم السابقة مع المسلمين، ذكر ابن خياط في تاريخه: (قالوا ولما رجع المرازبة منهزمين شتمهم وأقصاهم ودعا "بمن ذا الخاحب" وأعطاه كثيراً، وحمل معه آلة الحرب أوقاراً ودفع إليه الفيل الأبيض) وقد طلب سليط بن قيس من أبي عبيد أن يدع الفرس يعبروا وذلك لكثرة الفرس ولضيق المكان إن هم عبروا قائلاً: (إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط، فاجعل لهم ملجأ ومرجعاً من هزيمة إن كانت، فرد عليه أبو عبيد قائلاً: والله لا فعلت جنت يا سليط، فقال سليط: والله ما جنت وأنا أحرأ منك نفساً وقبيلاً، ولكن أشرت بالرأي) (1).

وقد أطلق عدة أسماء على المعركة، منها: قص الناطف وهو اسم شاطئ الفرات الشرقي الذي حدثت فيه المعركة، والمروحة، وهو اسم شاطئ الفرات الغربي الذي حدثت فيه المعركة، وكذلك القرقرس ولكن أشهر اسم لها هو معركة الجسر لوجود جسر يربط ضفتي نهر الفرات الشرقية والغربية. وكانت أرض المعركة منبسطة لا توجد فيها عوائق طبيعية سوى نهر الفرات وفرعيه الرئيسيين اللذين دارت بينهما المعركة قرب الكوفة.

وكان لعبور أبي عبيد أثر كبير في نهاية المعركة على هذا الشكل المنحجم، وقد تنبه سليط ومن معه إلى ذلك لكن أبا عبيد رحمه الله قد استبد برأيه، وكان لضيق المكان بعد العبور العقبة الأولى التي واجهها المسلمون وانحصارهم بين فرعي نهر الفرات مما

1 - ابن أعمش الكوفي (أبو محمد أحمد): كتاب الفتوح، تحقيق علي شكري، ط1، دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1991م، ج1، ص134. فرج، المرجع السابق، ص130-131.

أفقدتهم سهولة الحركة وحرية المناورة التي تتطلبها أية معركة، ومن ثم واجهوا وابلًا من سهام العدو الموجه وهم يعيدون عن المواجهة المباشرة، وكذلك واجه المسلمون القيلة التي نفرت منها خيل المسلمين مما أدى إلى تمحيص حركة الفرسان.

وتصدى المسلمون للقيلة فتمكنوا من معظم القيلة وأنزلوا عنها أهلها إلا إن القيل الأبيض الذي تصدى له أبو عبيد عبط أبا عبيد وقام عليه، فما بصر الناس بأبي عبيد تحت القيل عشتت أنفس بعضهم.

وكان أبو عبيد قد عهد بالقيادة بعده لسبعة من ذويه فهم ابنه جبر وأبيه الحكم وقد قاتلوا بشجاعة مع المسلمين حتى استشهد السبعة مع الكثير من المسلمين وتولى القيادة بعدهم المنى بن حارثة الشيباني والمسلمين في تراجع لا يرون أمامهم إلا الجسر للعبور إلى الجانب الآخر لكن عبد الله بن مرشد الثقفي قطع الجسر وقال: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا فتعاظمت الكارثة بإلقاء الكثير من المسلمين أنفسهم في النهر ففرق منهم الكثير ممن لا يحسن السباحة، فأعاد المنى ربط الجسر ووقف مع شعبة من الفرسان لمنع الفرس من الوصول إلى الجسر ولكي يتمكن المسلمون من العبور بسلام.

وظهرت بطولات الرجال في خضم هذه المعركة في نتائجها فممن من استشهد ومنهم من واصل الجهاد وكان آخر شهيد عند الجسر الصحابي الجليل سليط بن قيس رضي الله عنه أما المنى بن حارثة فقد سرح في معركة الجسر واستشهد بسبب ذلك الجرح (1).

1 - البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن خاتم)؛ فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة، بيروت، د.ن، الجزء الأول، ص 350-353. فرج، المرجع السابق، ص 133-138.

- نتائج المعركة:

كادت أن تنتهي المعركة بنصر حاسم للمسلمين لولا الخلل الذي أصاب المسلمين بعد استشهاد أبي عبيد فقد قتل من الفرس ستة آلاف بينما الشهداء من المسلمين أربعة آلاف في معظم الروايات وذكر أقل من ذلك ولعل الاختلاف جاء من ذكر بعضهم لقتلى المعركة فقط دون من غرق في النهر.

ولقد حاول الفرس انتهاز حالة الفوضى التي دبت في صفوف المسلمين في نهاية المعركة لملاحقة المسلمين حتى بعد عبورهم الجسر ولكن الذي حال بينهم وبين ذلك تصدي المثنى ومن معه لهم ومنعهم من الاقتراب من الجسر وكذلك ورود أخبار التمرد الفارسي على رستم في المدائن. وفي المدينة المنورة فقد كان وقع الخبر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أليماً وكان يخفف من جزع الذين فروا يوم الجسر بقوله: (لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فتكم إنما أنخرتم إلي، وأما في جبهات القتال فقد كان طلب الثأر لشهداء الجسر دافعاً إضافياً بعد الجهاد في سبيل الله، وأما الفرس فبعد عجز همن بن جاذويه الثيل من المسلمين بعد عبورهم الجسر عاد إلى المدائن بنصر يفخر به لأنه أول نصر للفرس على المسلمين ولكنه كان آخر نصر لهم حتى نهاية معاركهم مع المسلمين.

كانت هذه المعركة انتكاسة كبيرة للعرب كادت أن تفقدهم جميع ما حققوه من انتصارات في العراق، وقتل في هذه المعركة جمع كبير من القوات العربية، كان من بينهم أبو عبيد نفسه، كما جرح المثنى ولكنه استطاع بفضل حنكته وإقدامه تخليص العرب من الفناء بالانسحاب، ثم تمكن بالمدد الذي أرسله إليه عمر بن الخطاب أن ينتقم لهزيمة الجسر في معركة البويب.

— معركة البويب سنة 13 هـ.

كانت معركة البويب متميزة بين معركتي الجسر والقادسية إذ إنها أحدثت توازناً بين المسلمين والفرس بل أكدت أهمية عند الفرس من المسلمين (فقد قال كل من الخيزران ورستم لابنة كسرى عندما قالت لهما: ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ وما لكم لا تبعثن كما كانت المفوك تبعث قبل اليوم؟ قالوا: أن أهمية كانت مع عدونا يومئذ وإنا فينا اليوم).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أرسل مدداً إلى المثنى بن حارثة فاجتمع المسلمون عند البويب قرب الكوفة على نهر الفرات وكان في الجانب الثاني من النهر الفرس بقيادة مهران الحماني، وكاتب مهران المثنى قائلاً: إما أن تعبروا إلينا أو نغير إليكم، فقال المثنى: اعبروا مسترجعاً ما حدث لأبي عبيد رحمه الله عند الجسر، فغير مهران. وكان المدد الذي أرسله عمر رضي الله عنه بقيادة جرير بن عبد الله وآخر بقيادة عصمة بن عبد الله الضبي ومن التحق بهم من أهل الردة. وشارك في المعركة نصارى من النمر وأميرهم أنس بن هلال النمرى ونصارى من بني تغلب وعليهم عبد الله بن كليب بن جالد وقد قالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقائل مع قوما، وكانت نتيجة المعركة هزيمة الفرس وقتل الآلاف منهم وقتل قائدهم مهران.

وقد قاد المثنى المعركة بحكمة وشجاعة، وكان لها أثر كبير في حماس واندفاع من فر في معركة الجسر وقد وجه المثنى ذلك لمصلحة المعركة فعندما رأى رجلاً يتهاى ويتقدم من الصف فقال: ما بال هذا يستفتل؟ قالوا: هو ممن فر يوم الجسر فمتعه من الاندفاع وأمره بأن يلزم صفه، فاستقر ولزم الصف، ولكن عندما فر الفرس وأراد المثنى اللحاق بهم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السبب وأبلغوا من عدوكم ما نغفلوكم فهو خير لكم وأعظم أجراً. واستغفروا الله إن الله غفور رحيم.

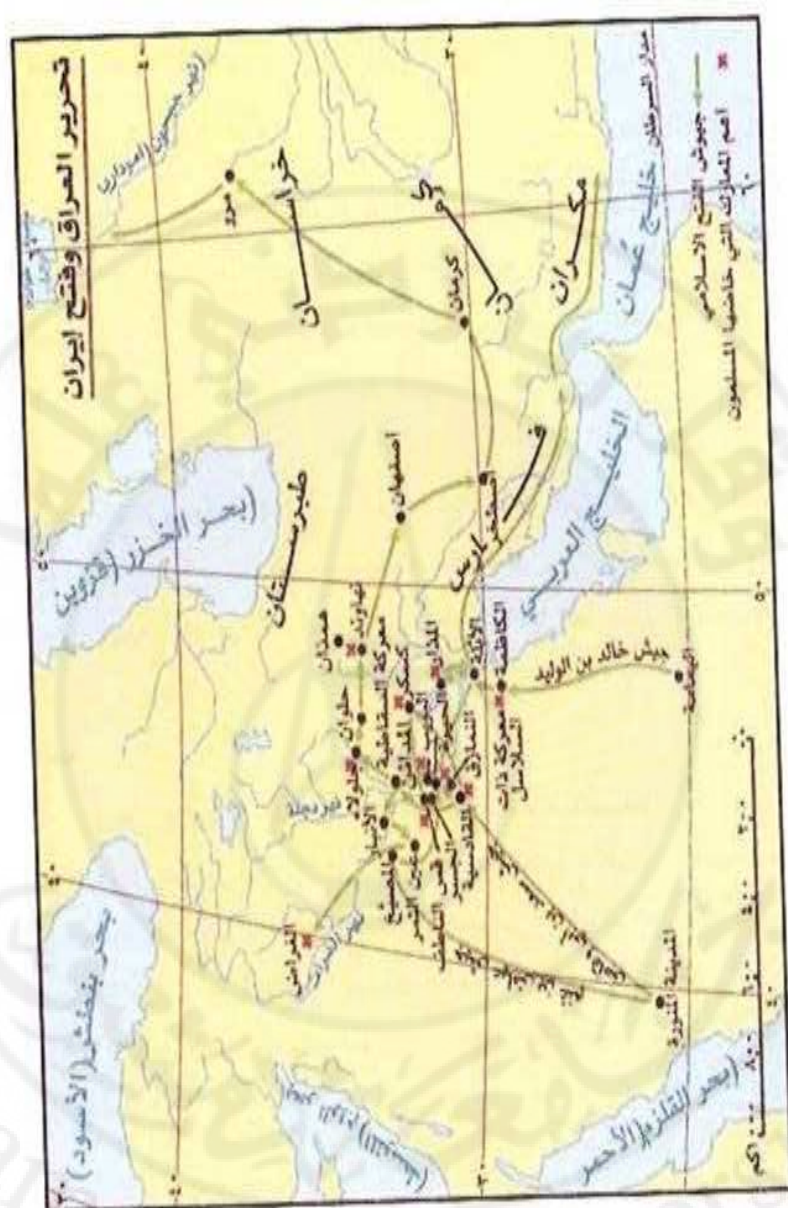
وقد اعترف المثني بخطأ ارتكبه وهو فطعه الجسر على الفرس داعياً جنده ألا يقتلوا به مع العلم أن الفرس لم يغيروا من واقع المعركة شيئاً، فقد جاء (وذلك أن المثني بأمرهم عند المزيمة الجسر فأخذه عليهم فأخذوا بمنة وبسرة وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن القد إلى الليل وندم المثني على أخذه الجسر وقال: لقد عجزت عجزاً وفي الله شرها بحسبتي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أخرجتهم؛ فإنني غير عائد، فلا تعودوا ولا تقتلوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة فلا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع) (1).

وقد كان لمعركة البويب انعكاساتها على كل من المسلمين والفرس فالمسلمون أصبحوا سادة المنطقة وانفتحت أبواب العراق من جنوبه إلى شماله تبعه حيوهم كيف شاءت، وقد تحرك المثني بعد معركة البويب، وسار بجيشه السواد ونزل أليس، قرية من قرى الأنبار وأغار على الخفافس وهي سوي يجتمع بها ثمار مدائن كسرى، ثم رجع فأتى الأنبار فتحصن أهلها منه، فلما عرفوه نزلوا إليه واتوه بالأعلاف والراذ وسار منها إلى بغداد وأرسل قوة إلى صفين وسار إلى تكريت، ثم عاد إلى الأنبار.

هذا بعض ما أحدثته معركة البويب في الجانب الإسلامي أما في الجانب الفارسي فقد اهتز المجتمع الفارسي وخاصة في المدائن مركز القرار السياسي والعسكري فلما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والخيزران وهما على أهل فارس: لم يرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركما أن نقركما على هذا الرأي وإن تعرضتما للهلكة ما بعد بغداد، وساباط وتكريت إلا المدائن، والله لنجتمعان أو لنبدان بكما قبل أن يمشيت بنا شامت ثم لهلك وقد اشتغينا منكما، فقال الخيزران ورستم لابنة كسرى - وكانت قد تولت ملك الفرس لعدم معرفتهم بوجود ذكر من آل كسرى - اكتبينا لنا نساء كسرى ومزاريه ونساء

آل كسرى وسرايرهم ففعلت ففعلوا بوجود غلام يدعى يزدرجر بن شهریار بن كسرى
كانت أمه قد أخففته عند أخواله خوفاً عليه من القتل (1)، فاجتمعت كلمة الفرس على توليته، وأخذوا
يمهدون جيشاً ضخماً لاستعادة العراق لما كان من المثلث إلا الانسحاب ثانية، والإقامة بذئ قار مع
جيشه منتظراً الإمدادات من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هكذا كان الموقف بعد معركة البويب؛ الفرس يتأهبون لمجرم مضاد على المسلمين والمسلمون
ينتظرون قلوب الإمدادات من أمير المؤمنين عمر، فكانت معركة القادسية التي قضت على آخر أمل
للفرس باستعادة العراق.



ج - المرحلة الثالثة : معركة القادسية.

- القادسية

القادسية اسم يطلق على عدد من الأماكن في العراق والجزيرة، أهمها موقع بالقرب من سامراء، وأخر في جنوب غربي الحيرة -جنوب السهل الذي أقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد- على مسافة 32 كم منها، كان مسرحاً لمعركة فاصلة قضى فيها العرب المسلمون على جيش الملك الساساني يزدجرد الثالث في سنة 15 أو 16 للهجرة (636 أو 637م)، وفتحت أمامهم أبواب العراق وفارس.

كانت القادسية بلدة صغيرة لها حصن من الآجر وبوابتان وسط سهل ترويه قناة من الفرات، غير بعيد عن شط العرب الذي كان متوغلاً في المنطقة؛ كانت المجرى الرئيسي للفرات، وما يزال سريره معروفاً، ويقال له: «العتيق»، ويمر بين القادسية والعذيب، وعند القادسية حسر على المجرى يسمى الحسر العتيق.

- معركة القادسية.

كان الفرس يعيشون في هذه المرحلة حالة من فوضى الحكم وعدم الاستقرار بعد موت أردشير، و تشاغلوهم عن المسلمين إلى أن انفقوا على نصيب يزدجرد أحد أبناء كسرى، وأعادوا تنظيم أنفسهم. ومضى يزدجرد يحشد أكثر ما يمكن من الجند، وقسمهم على أنواع السلاح السني كانت للفرس، وثار سكان المناطق من أهل الذمة على المسلمين، ولا سيما في الأنبار والأبلة والحيرة، فاستنح المثنى عن الدخول في مواجهة حاسمة معهم، وسحب قواته إلى تخوم البادية، ونشر السلاح والعيسون، وتابع إغاراته في انتظار المدد.

وأرسل إلى الخليفة عمر يعلمه بما جدد معه، فأمر عمر أبا عبيد أن يرد نجد العراق؛ ليلتحقوا بالمثنى، وبعث يستنصر الناس بالأطراف، وكتب إلى عماله: (.. ولا

تدعوا في ربيعة أحداً ولا في مضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا حلتوه،
فإن جاء طائعاً ولا حشرتوه، احتملوا العرب على الجُد إذا جدَّ المعجم، فقتلوا جسدكم بجسدكم.)).
وخرج الخليفة في أوائل شهر المحرم سنة 15هـ/ شباط أو آذار 636م إلى صرار يريد التوجه إلى
العراق بنفسه، غير أن الصحابة نصحوه بالبقاء في المدينة، فالتذب سعد بن أبي وقاص الزهري للتوجه
إلى هناك على رأس القوات التي تم تجميعها، وألحق به المثنى.

أخذ سعد من زرود قاعدة ليعين قواته (شعبان 14هـ/ 635م أو 15هـ/ 636م)، ثم مضى
إلى العراق، ونزل بشراف، وكان المثنى قد توفي متأثراً بجراحه. وتوالى وصول المدد حتى صار مجموع
قوات المسلمين نحو ثلاثين ألفاً، وكتب أمير المؤمنين عمر إلى سعد أن يسري بالعسكر حتى يسزل
بالعديب، وبيت العيون والمساخ شرقاً وغرباً، وأن يوافيه بالأخبار يوماً بيوم، ثم استأذنه سعد في أن
يسزل بالقادسية، ومكث شهراً يدرس تحركات الفرس، وكتب إلى الخليفة يصف له موقعه، وأن كل
من بالعراق تألبوا على المسلمين، وأن قائدهم الذي يرجعون إليه هو رستم، وأنه معسكر بساباط في
جوار القادسية، ويحاول مطاولة المسلمين واستئراقهم.

بلغ تعداد جيش رستم مئة وعشرين ألفاً، وعلى المقدمة الجالينوس في أربعين ألفاً، وقاد القلب
بنفسه على رأس ستين ألفاً، واستعمل على المينة الهرمزان، وعلى الميسرة مهران الرازي، وعلى ساقته
الهرزان في عشرين ألفاً. وجرت بين الطرفين مفاوضات طويلة استمرت نحو أربعة أشهر، أظهر فيها
المسلمون كثيراً من التصميم والمهابة.

ولما بانئت الحرب أمراً مجتوماً قرر الفرس أخذ زمام المبادرة بالقنسال، فعبروا الفرات إلى
القادسية، وأخذوا مواقعهم في مواجهة المسلمين، وحلقهم بحرى العتيق، وخلف المسلمين خندق
الحصن القديم المعروف باسم قديس. وحشد رستم في القلب

لثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال، ووضع في الخيبتين ثمانية أفيال وسبعة، فكان المجموع 33 فيلاً.

استعد المسلمون للمعركة، واختار سعد لطلبعته زهرة بن الحوية وعاصم بن عمر وشريحيل بن حسنة. وكان سعد قد عجز عن الركوب أو الجلوس لقروح أصابته، فارتقوا به إلى سطح مقرة، وهو مكب على وجهه يشرف على الناس من عل، واستخلف خالد بن عرفة أسفل منه على الأرض يرمي إليه بالرقاع، وفيها أوامره ونواهيه.

نشب القتال بعد صلاة ظهر يوم الاثنين الخامس عشر من المحرم سنة 15هـ/636م (أو 16هـ/637م). واستمر في اليوم الأول إلى الليل وبعضاً منه، ثم انفصل الفريقان كل إلى موضعه، وعانى المسلمون ضغط القبلة ونفور حيولهم منها، غير أن بعض شجعانهم تغلبوا عليها بقطع سيور صناديقها وقتل من عليها. وكانت معظم الخسائر في قبلة أسد التي وقع على كاهلها العبء الأكبر. ودفن المسلمون غنائم ليلاً، ونقلوا جرحاهم إلى مخيمات النساء، وقد سمي اليوم الأول يوم أرمات (1).

تجدد القتال في صباح اليوم التالي، ومع شروق الشمس طلعت نواصي الخيل القادمة من الشام يقودها القعقاع بن عمرو التميمي، فنشط المسلمون للقتال، ولم يكن مع الفرس فيلة؛ لأن صناديقها تكسرت في اليوم السابق، وساقى القادمون من الشام بدلاً البسوها برقع وجلاجل يتشبهون بالقبيلة، ففرت حيول الفرس منها، وركبهم المسلمون، فكانت الدائرة على الفرس إلى آخر النهار وقسم من الليل، وبات الناس على مثل ميبتهم في اليوم الأول. وقد سمي هذا اليوم يوم أغواث، وبلغت خسائر المسلمين نحو 2500 قتيل تم دفنهم ليلاً، وخسائر الفرس نحو عشرة آلاف قتيل، بقيت جثثهم متناثرة في أرض المعركة. وفي صباح اليوم الثالث نوال وصول بقية التحركات من الشام بقيادة هاشم بن عتبة، ونظم الطرفان صفوفهم من جديد، وتقدم الفرس مع

1 - ابن أعثم الكوفي، المصدر السابق، ج 1، ص 159. مرجع السابق، ص 180 وما بعد.

فيلتهم، وقد أصلحوا أمرها، ورتبوا بين الكتائب، فحمل القعقاع على أكبرها، وكان فيلاً أبيض ضخماً، فلفاً عينيه برمحين، وفعل رقيقان له بفيل آخر أجرب، كانت الفيلة تألفه، ففر الفيلان، وتبعته بقية الفيلة، فحترقت صفوف الأعاجم، وتراجع الناس حتى المساء.

وكان اليوم الثالث - ويسمونه يوم عماس - أشد وطأة على الطرفين من سابقه، وصير الجميع إلى الليل، واستمر القتال إلى الصباح من دون توقف، فسميت ليلة الحرير. فلما أشرقت شمس اليوم الرابع - وهو يوم القادسية - كانت صفوف الفرس قد تضعفت، وبدأت تراجع، ولمكن بعض صناديد المسلمين من الخروج على مؤخرهم. ومع اقتراب الظهيرة كانت تبشير النصر قد لاحت، وقُتل رستم وهو يحاول الفرار، والحزم الفرس، وشرع المسلمون بمطاردتهم، فتبعوهم في كل قرية وأجمة، فكان هذا النصر فاتحة سقوط المدائن، وعدت تلك المعركة أهم المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والبشرية. وقد استولى المسلمون بعد تلك المعركة على السواد كله (جنوبي العراق) أي المنطقة الممتدة بين الفرات ودجلة. ثم فتح عاصمة الدولة الساسانية المدائن في 16 هـ / 637 بعد حصار دام ثلاثة أشهر (1).

ء- المرحلة الرابعة:

بعد الاستيلاء على العاصمة المدائن مباشرة، ثم إرسال الجيوش غرباً لمطاردة فلول الفرس المنسحبة من المدائن ونجمت في جلولاء وشمال دجلة في تكريت والموصل. وتعتبر جلولاء ذات موقع استراتيجي حيث تتوجه الطرق منها إلى العراق وخراسان وأذربيجان.

1 - البلاذري، المصدر السابق، ج 1، ص 356. جلوب (جون باجوت): الفتوحات الكبرى، تعريب عمري حماد، دون تاريخ، ص 283 وما بعدها، فرج، المرجع السابق، ص 183-193.

وكانت تعليقات عمر بن الخطاب البدء بحلولا. وكانت خطته هي تحرير جميع الأراضي الشمالية أولاً قبل الوصول إلى تكريت والموصل. وقد انتصر المسلمون في معركة حلولا.

معركة حلولا

بعد أن حقق المسلمون فتحهم الكبير لعاصمة الفرس «المدائن» أصيب الفرس بهزيمة نفسية مروعة وتشردت الجيوش الفارسية تحت الضربات الموجهة للجيوش الإسلامية، وتفرقت فلول الفرس المنهزمة من المدائن والأهواز وغيرها في عدة أماكن، وفي ظلمة الليل القتال قرر رجلان من آخر قادة الفرس بقاءهما «مهران الرازي» و«المفران» بجمع شتات فلول الفرس والتحصين هم في إحدى القلاع القريبة من «المدائن» لمنع تقدم المسلمين أكثر من ذلك، فاعتاروا مدينة على بعد أربعين ميلاً شمال المدائن وكانت ذات موقع إستراتيجي جيد، وبالغوا في تحصينها لتكون عقبة أمام الحملات الإسلامية، وعمل «مهران» على رفع معنويات جنوده بشق الوسائل للتصدي للمسلمين وأرسل مهران يطلب من كسرى بزدجرد التفويض في قيادة الجيوش الفارسية، وأيضاً الإمدادات من رجال وعتاد وأقوات، فوافق كسرى وأمدّه بما يطلب.

وصلت أخبار هذه الاستعدادات الحربية للقائد العام للعراق سعد بن أبي وقاص، فأرسل جيشاً من اثني عشر ألفاً بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة الملقب بالمرقال ومعه بطل العراق الفعقاع بن عمرو وذلك بعد استئذان الخليفة عمر بن الخطاب، وبماتته السرعة وصل المسلمون إلى المدينة فوجدوا أن الفرس قد بالغوا في تحصينها، حيث أحاطوها بخندق مائي متسع وعميق، وزرعوا حول المدينة حقولاً من حسك الحاديد لإعاقة تحيل المسلمين عن التقدم.

ولمς المسلمون الاستماتة الدفاعية الكبيرة عند الفرس، فضربوا على المدينة حصاراً شديداً استطال حتى تجاوز سبعة شهور وهي أطول مدة حاصر المسلمون فيها

مدينة بالعراق، وخلال هذه الفترة كان الفرس يخرجون للهجوم على المسلمين، حتى إنهم قد زاحفوا المسلمين خلال هذا الحصار ثمانين زحفاً ولكن المسلمين أحبطوها كلها ومع طول الحصار طلب هاشم المرقال من القائد العام سعد بن أبي وقاص إرسال إمدادات جديدة.

ومع طول الحصار وشدته وثبات المسلمين وإصرارهم على فتح المدينة، قرر الفرس الخروج بكامل قواهم وهي زيادة عن مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين، والاشتباك مع المسلمين في معركة واحدة وفاصلة، وقد وضع لهم مهرا ن خطة ذكية تقوم على فكرة التناوب على قتال المسلمين فجزء بحارب والأخر يستريح، ثم يتم التبادل بينهم حتى يرهقوا المسلمين في قتال مستمر.

وفي صباح يوم الأحد 15 من ذي القعدة سنة 16هـ خرج الفرس بأعداد ضخمة من المدينة وأنشؤا القتال مع المسلمين بمتهى الضراوة، وقابلهم المسلمون بضراوة أشد، ومع تطبيق خطة الفرس بدأ التعب والإرهاق يمل بالمسلمين، وهذا الأمر أخذ يؤثر على نفسياتهم وشدتهم في القتال، وهنا برز دور البطل العظيم الذي لم يتل حظه من الشهرة والمعرفة عند المسلمين وهو الققعقاع بن عمرو إذ وقف بين الصغوف يمرض المسلمين على الثبات ومواصلة القتال، ثم قام بخطوة عبقرية في القتال، إذ كان الليل على وشك الحلول، فضغط بسرعة من خلاصة الفرسان على مؤخرة الفرس المنسحبين لدخول المدينة، ليتسكن بذلك من السيطرة على الخندق وبالتالي يمنع باقي الفرس من العودة لتحصينات المدينة، ثم نادى في المسلمين أن أيها المسلمون؟ هذا أميركم — يعني المرقال — على باب خندقهم، فأقبلوا عليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه

من دخولهم، فأنار حية المسلمين ونحوه العرب، فشد المسلمون بكل قوة على الفرس حتى وصلوا إلى الخندق وصدمو الفرس صدمة هائلة أزالوهم بها عن مواقعهم (1).

عندها وقع الفرس في مأزق عظيم، إذ أصبحوا عاجزين عن العودة للمدينة إلا إذا تغلبوا على المسلمين فدار قتال ليلي شديد الضراوة، شبيهة بلولة الحرير في القادسية، وأثناء القتال وصلت الإمدادات التي أرسلها سعد لأرض المعركة فاشتد عضد المسلمين، واضطرب الفرس بشدة ودخلت جيوشهم في حسك الحديد الذي تصبوه أصلاً لحيل المسلمين فاضطروا للزول من على الخيل والقتال مترجلين، وكان هذا أوان هلاكهم، حيث طعنهم المسلمون طعناً شديداً وأفنؤهم عن بكرة أبيهم، حتى بلغ عدد قتلى الفرس مائة ألف قتيل، وحللت جثثهم الساحات أمام المدينة، لذلك سميت المدينة بعد ذلك «جلولاء» لما جللها من قتلى الفرس.

وبعد فتح جلولاء، سعت القوات المسلمة إلى مطاردة الفرس. فقوات الفرس التي فرت من جلولاء وتحصنت في خانقين بالطريق إلى إيران، فهزمهم المسلمون وفتحوا المدينة. ثم انسحب الفرس إلى حلوان، فحاصرها المسلمون حتى فتحوها في سنة 16 هـ / يناير 638 م.

وفي عام 21 للهجرة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس أينما كانت لما رأى أن الفرس "تبعث عليها في كل عام حرباً". فأذن للناس في الانسحاب في أرض العجم حتى يغلبوا الفرس.

— غارات الفرس على العراق ومقدمات فتح ولاية فارس:

وبعدما تمكن المسلمون من السيطرة على العراق استمر الفرس بالتحركات وإرسال الجيوش صوب العراق، وفي أواخر تلك السنة تغلب الهرمزان على منطقة

1 - ابن أعمم الكوفي، المصدر السابق، ج 1، ص 210-217. الأبلادري، المصدر السابق، ج 1، ص 368. فرج، المرجع السابق، ص 211-214.

الأهواز فبدأ بتكثيف الغارات على المناطق العراقية التي دانت لحكم المسلمين، فأمر عمر سعدا أن يرسل إليه الجيش ليردوه، فأرسل سعد إليه جيشا من المسلمين انطلق من الكوفة فهاجموا الأهواز وانتصروا عليه، وهذا ما أجبره على طلب الصلح، فأعطوه على أن يظل حاكما للأهواز تحت إمرة المسلمين وأن يدفع الجزية.

ثم نقض الهرمزان الصلح بعد أن استعان بجماعة من الكرد، مما حدا بعمر أن يرسل جيشا مسن البصرة، فهزمه مرة ثانية فتحصن في تستر (شستر اليوم وهي في شمال الأهواز)، إلا أن أهل المنطقة قد صاحخوا المسلمين ودفعوا الجزية لهم، وهذا ما جعل الهرمزان يطلب الصلح ثانية.

ثم نقض الهرمزان الصلح ثانية بناء على تحريض يزجدر بعدما أمده بقوات جديدة لمساعدته أواخر سنة 19 هـ/640 م، فتركزت تلك القوات في تستر. وبلغ الخبر عمر، فأمر أن يسير إليه جيش من الكوفة، ومن البصرة فحاصروه، واضطر إلى الاستسلام بعد فتح البلد عنوة، ثم أرسلوه إلى عمر بن الخطاب بالمدينة.

وبعد فتح تستر، توجه المسلمون صوب شوشان (أر سوسة)، ففتحوها بعد حصار لمدة شهرين. ثم جند يسابور التي فتحت بعد حصار لعدة أسابيع (1).

- فتح ولاية فارس:

- معركة نهاوند (641م).

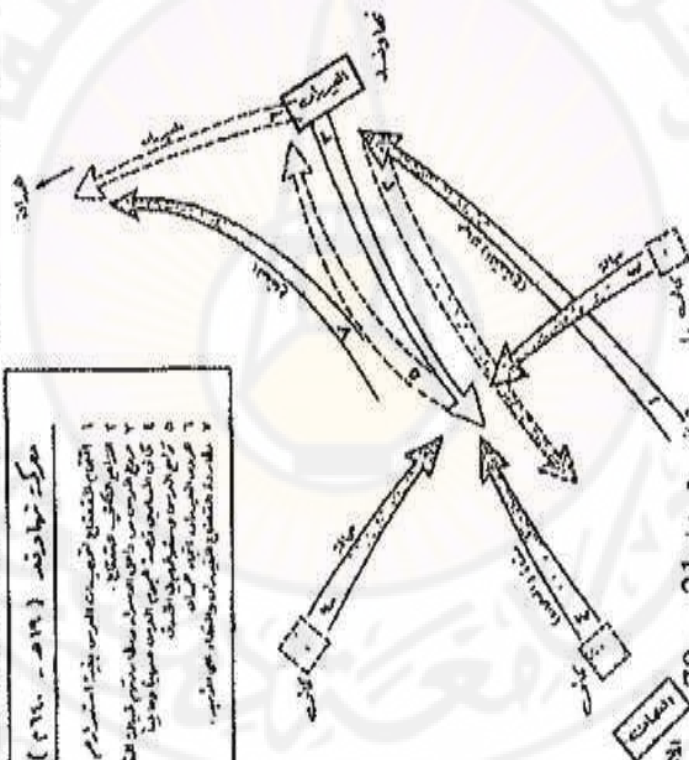
نهاوند مدينة من أقدم مدن منطقة الجبال (ميديا القديمة) إن لم تكن أقدمها، تقع إلى الجنوب من همدان، حدثت فيها الواقعة التي أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم فتح الفتوح، لأنها قضت على المقاومة الفارسية المنظمة.

1 - ابن أعمش الكوفي، المصادر السابق، ج2، ص 273 وما بعدها. فرج، المرجع السابق، ص 226.

وكان الذي أهاجها أن الفرس رأوا أن ملك عمر بن الخطاب قد طال وعسُرُض وأن العرب المسلمين قد سيطروا على السواد والأهواز، وأنهم لم يكتفوا بذلك حتى أتوا أهل فارس والممفكة في عقر دارهم، وأنهم عربوا بيت مملكتهم واقتحموا بلاد ملكهم، وأن خطرهم لن ينتهي إلا إذا عمسد الفرس إلى إخراج من في بلادهم من جنود العرب، ثم أن يهاجموهم في بلادهم وفراهم، فكاتب الفرس ملكهم يزيدجرد في مرو وحر كوه، فكاتب يزيدجرد إلى عماله ووجهاء مملكته فتوافوا إلى نهاوند، توافى إليها من بين خراسان وحنوان ومن بين الباب إلى حلوان ومن بين سجستان إلى حلوان، فاجتمع في نهاوند 150 ألف مقاتل وعلى رأسهم الفيرزان.

بلغ الخبر سعد بن أبي وقاص، فاستخلف على الكوفة عبد الله بن عتبة، وشخص إلى الحجاز ليخبر الخليفة عمر بن الخطاب مشافهةً بخطورة الموقف، وكتب إليه عبد الله ابن عتبة وغيره بذلك التجمع الكبير للفرس في نهاوند وأنهم «إذا جازونا قبل أن نبادرهم، ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك منهم» وقد بلغ من اهتمام المسلمين بهذه الواقعة أن كاد يخرج إليها عمر بن الخطاب بنفسه، إلا أن بعض الصحابة وعلى رأسهم عتي بن أبي طالب رفضوا فكرة أن يسير عمر بنفسه إلى حلبة الأعاجم لأنه إذا أصيب «لم يكن للمسلمين نظام»، وأن أهل الكوفة إنما استأذنوه بالانسياح في أرض فارس ولم يستصحبوه، «قلباذن لهم ولينذب إليهم وليدع لهم» (1) فبعث عمر أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر وفيهم المهاجرون والأنصار، وكتب إلى حذيفة بن اليمان، أن يسير بأهل الكوفة، وإلى أبي موسى الأشعري أن يسير بأهل البصرة حتى يجتمعوا جميعاً بنهاوند، وأميرهم إذا اجتمعوا النعمان بن مقرن المزني فإن أصيب فعلى الناس حذيفة بن اليمان.

1 - جلوب، المرجع السابق، ص 381 وما بعدها. لرج، المرجع السابق، ص 230-231.



وكان من حيل الفرس في هذه المعركة أن طرخوا حسيك الحديد حول المدينة، فبعث المسلمون عيوناً للاستطلاع فساروا لا يعلمون بالحسيك فلم يرح الفرس مكانه ففسل صاحبه ونظر فإذا في حافره حسيكة فعادوا إلى الجيش وأخبروا قائدهم النعمان بن مقرن أن سلاحاً جديداً استخدمه الفرس لم يُعهد سابقاً وهو نشر الحسيك حول المدينة، فسئل النعمان أهل الرأي في جيشه، فكان الرأي أن ينتقل الجيش من هذا المكان كأنه هارب فيخرج الفرس في طلبهم، فانتقل النعمان، فخرج الفرس وكنسوا الحسيك في طلب المسلمين وكان النعمان قد عيا الكتاب ونظم الجيش وكان عدده ثلاثون ألفاً. ونشب القتال يوم الأربعاء إلى يوم الخميس والحرب بين الفريقين محال وكان الفرس خلالها في الخنادق فخشى المسلمون أن يطول الأمر فإلهم لم يعتادوا ذلك في لقاء العدو.

فامتشار النعمان أصحابه، فكان الرأي ما أشار به طليحة الأسدي أن يبعث بحيلة مؤدية فيحدثوا بهم ثم يرموا لينشبو القتال وبغضبهم فإذا غضبوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج هرب المسلمون خدعة، فيخرج الفرس في أثرهم، فيكون الكمين الذي عمله المسلمون، فتقدم القعقاع ونشب القتال فخرج الفرس من خنادقهم، فلما خرجوا نكص القعقاع بمنذره وأغتمها الأعاجم، فخرج الفرس ولم يبق منهم أحد في الخنادق إلا من يقوم على الأبواب، وجعلوا يتبعون المسلمين حتى انقطعوا عن حصنهم وخنادقهم (١).

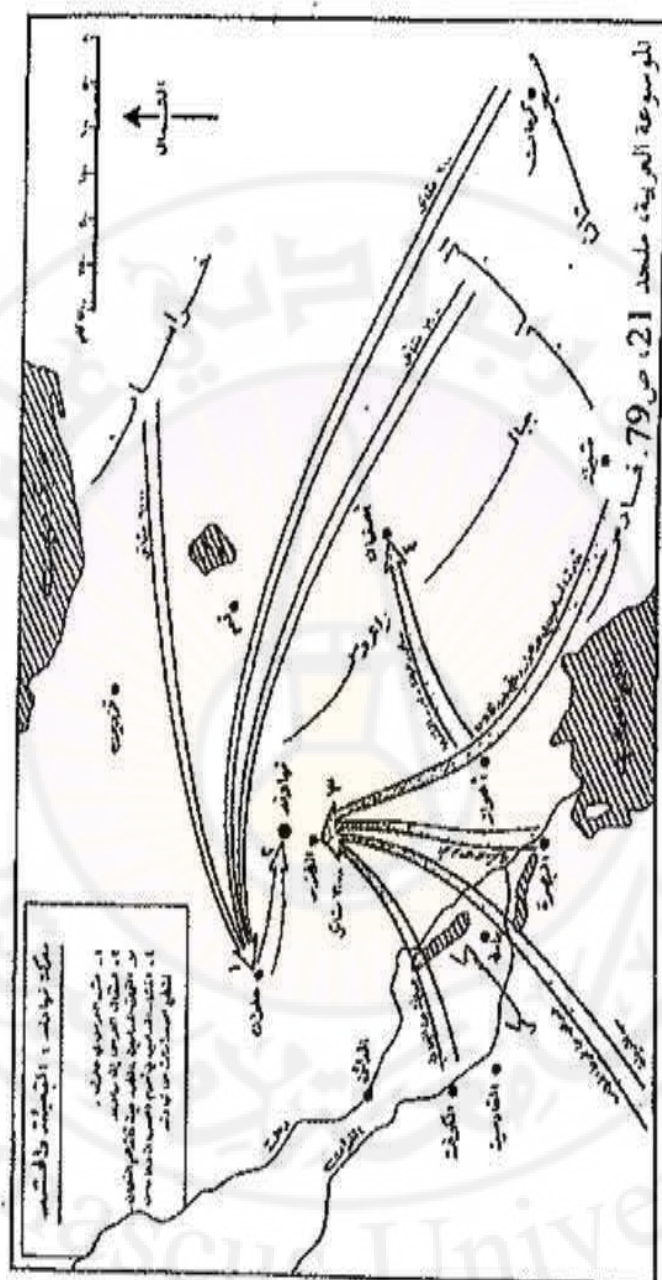
وكان المسلمون يقاتلون وكان كل واحد منهم لا يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر، فما كان يُسمع إلا وقع الحديد على الحديد وأصيب المسلمون بمصائب

١. ابن أعمش الكوفي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٩ وما بعدها. البلاذري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٤ وما بعدها. فرج، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

عظيمة، فلما رأى الفرس صبر المسلمين وأنهم لا يرحلون ساحة المعركة الهزموا فجعل يرفع الواحد فيقع عليه سبعة لأنهم مقبضون بعضهم إلى بعض، فيقتلون جميعاً، وجعل يعقرهم حبل الحديد الذي وضعوه خلفهم، وعندما رأى النعمان أن الله قد استجاب له ورأى الفتح جاءته نشابة فأصابته خاضعته فقتلته، فجاء أخوه معقل فسجد على رءوسه، وأخذ اللواء فقاتل، وكنتم موته حين فتح الله على المسلمين، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وتم للمسلمين هذا النصر العظيم سنة 21هـ، وانفتحت أمامهم المسالك إلى مناطق إيران الداخلية التي لم يكن لها بالعرب شديد اتصال من قبل ولم يكن بينهم وبينها حوار مباشر.

كانت هزيمة الفرس في هاوند بعد كل الإمداد الذي أمدهم به يزدجرد إذناً يسقط المقاومة المنظمة كلها، ونشبت الفوضى الفارسية في جهود فردية يقوم بها حكام المقاطعات على غير تساند ولا عون.

وهكذا انزعم الفرس وقتل قائدهم الفيرزان قتله القعقاع، وقتل أيضا النعمان بن مقرن واستلم القيادة عنه حذيفة بن اليمان كما أوصى عمر بذلك. وسميت تلك الموقعة بفتح هاوند أو فتح الفتح. واستولى المسلمون على كل بلاد همدان بعد المعركة وفتحوها.



- فتح بلاد فارس (642 - 644م)

اعتمد عمر بن الخطاب سياسة جديدة فيجب البدء بغزو كامل الدولة الساسانية. فمعرفة نهاوند كانت من أشد المعارك هولاً وضراً وأضحى تلك المعركة مفتاح الدخول لكامل بلاد فارس. فلم يستطع يزيدجرد الثالث أن يجمع من الجيوش كما جمع في نهاوند لمقاومة الجيوش الإسلامية، فأمر عمر بقتله أو أسره وإحضاره لكنه فر إلى الشرق، حيث لا يمكنهم الوصول إليه. وإلى هنا تكون الإمبراطورية الساسانية ذات عمر قارب الأربعمئة عام قد انتهت.

- خطة العرب في فتح ولاية فارس:

قرر عمر أن يضرب الفرس بعد هزيمتهم من نهاوند مباشرة بعد أن ارتفعت معنويات جنده أكثر من ذي قبل. لكن المشكلة الاستراتيجية الرئيسية له هي من أين يبدأ الهجوم. كانت هناك ثلاثة بدائل: فارس في الجنوب، أو أذربيجان في الشمال، و أصفهان في وسط البلاد.

- فتح أصفهان.

قرر الخليفة عمر البدء بأصفهان كأول هدف له، فكانت الخطة هي ضرب الدولة الساسانية في القلب، مما يمكن للجيوش المسلمة من قطع خطوط الإمداد والاتصالات ما بين الحاميات الساسانية عن المقاطعات الفارسية الأخرى، بعبارة أخرى، فإن أي هجوم على أصفهان سيعزل فارس وأذربيجان عن حراسان.

وقد عاجله الفرس فجمعوا في أصفهان، فقرر عمر أن يبعث جيشاً إلى أصفهان، فأرسل جيش الكوفة وتحرك الجيش من الكوفة إلى حلوان إلى نهاوند، ثم أرسل عمر برسالة إلى أبي موسى الأشعري وهو والي البصرة لإرسال جيشه أيضاً.

وأراد عمر أن يحاصر أصفهان ويهاجمها من طريقين: من الطريق الشمالي الذي وجه إليه جيش الكوفة، ومن الطريق الجنوبي حيث وجه إليه جيش البصرة، ولو نظرنا

إلى أبعاد الخرائط نجد أن أصفهان في عمق الدولة الفارسية، فقد توغل المسلمون في داخل
الأراضي الفارسية توغلاً كبيراً.

ويقول الرواة: إنما كانت على منوال معركة نهاوند، حيث انسحب الفرس وتحصنوا داخل
الأسوار، فحاصروهم المسلمون وطال الحصار حتى ظن الفرس الهزيمة، فخرج قائدهم رافعاً راية يريد
أن يتحدث إلى قائد المسلمين، فقال له: لا تجعل أصحابك يقتلون أصحابي، ولكن اخرج لي فإن
قتلتك رجعت أصحابك، وإن قتلني سلمت أصحابي، وإن كان أصحابي لا يسقط لهم نسيئة.

وكان عبد الله بن عتيان قائد المسلمين من أمهر القادة وأشدّهم ضراوة في القتال؛ فوافق عبد
الله بن عبد الله بن عتيان ليقبّل المسلمين قتالاً عظيماً ويكسب مدينة "حبي"، فيخرج عبد الله إلى
الفاذوسقان قائد الفرس، واختار أن يكون القتال بالرمح لا بالسيف، وعندما وجد الفاذوسقان مسألة
عبد الله قال له: اقبل مني الصلح على أن أعطيك أهل أصفهان الجزية كما تطلب، ومن شاء منهم ألا
يعطيك الجزية ترك المدينة وترك لك أرضه وماله، والأرض التي امتلكها عنوة هي لك.

فوافق عبد الله بن عبد الله بن عتيان، وأخذ منهم الجزية وترك لهم حرية الخروج، فخرج
ثلاثون رجلاً فقط رفضوا أن يعيشوا مع المسلمين، وأنفوا أن يدفعوا الجزية، وهربوا إلى منطقة شبيطة،
ثم ذكروا في حل لا يدفعون به الجزية فدخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم بعد ذلك لما رأوا حسن
معاملات المسلمين، وحسن أخلاقهم، ووفائهم في العهد، ومهارتهم في القتال.

وسيطر عبد الله بن عتيان على المنطقة بكاملها، وكتب عهداً لفاذوسقان وأهل منطقة
أصفهان، هذا العهد تكررت صورته في كل صلح جزية أقامه المسلمون بعد ذلك في كل أراضي

فارس:

والبند الثاني تكرر في كل معاهدات المسلمين مع الفرس، لأنهم توغّلوا في أرض فارس وهي ليست بأرضهم، فلا بدّ من نصيحة صادقة من أهل البلد للمسلمين، وإذا أخذ الفرس بهذا البند سقطت المعاهدة.

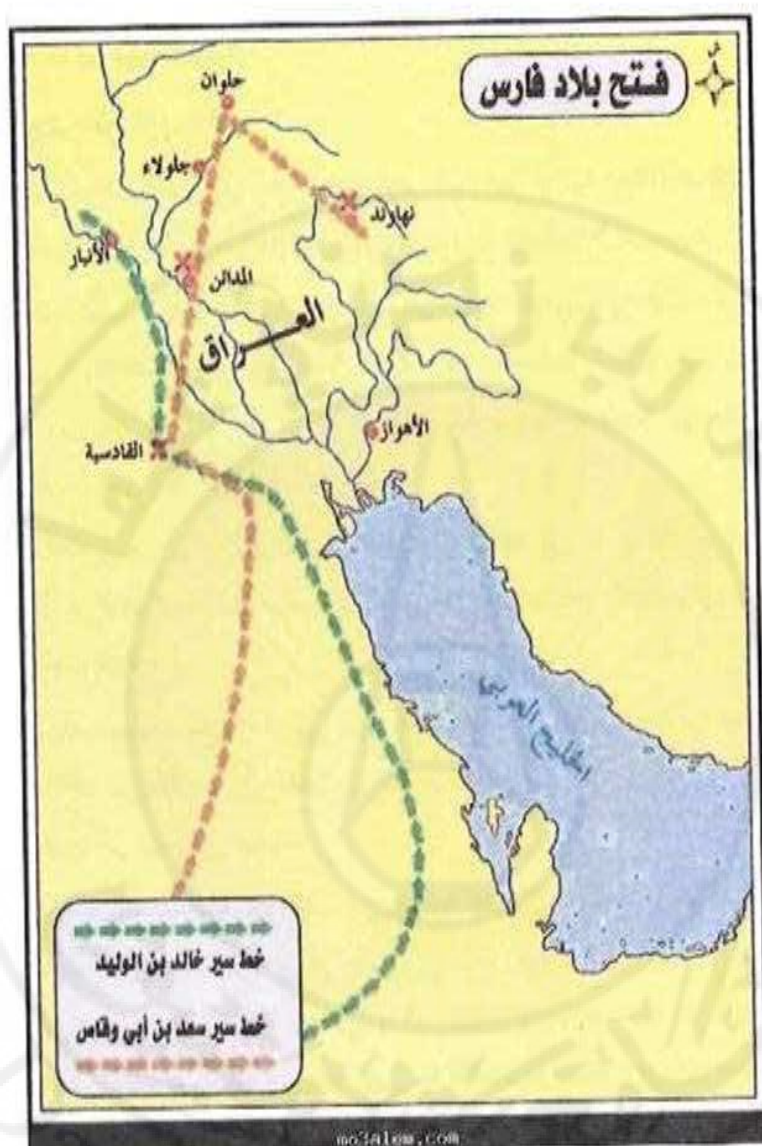
وكل المعاهدات التي جاءت بعد ذلك كانت صيغت من هذه المعاهدة. وفي المعاهدة نرى عزة المسلمين، ومن يقوم بالمعاهدة من مركز القوة مع من في حالة الضعف.

وبعد هذه المعاهدة دانت منطقة أصفهان وما حولها من المناطق للمسلمين، وتم فتح أصفهان سنة إحدى وعشرين هجرية.

بعد أن دانت هذه المنطقة بدأ تفكير عمر بن الخطاب في إرسال الجيوش من الكوفة والبصرة لفتح شمال بلاد فارس.

وأفقد عمر بن الخطاب خمسة جيوش من الكوفة لفتح شمال الدولة الفارسية.
الجيش الأول: اتجه همدان؛ لأن همدان نقضت مصلحتها.
الجيش الثاني: إلى الري، ثم خرجان، ثم طبرستان.
الجيش الثالث والرابع: إلى أذربيجان.
الجيش الخامس إلى "الباب" وهي شمال أذربيجان (أ).
وستخرج جيوش من البصرة تنجح لفتح منطقة الوسط، وهي منطقة كبيرة اسمها "خراسان"
التي توجد فيها مدينة "مرّو"، والتي هرب إليها يزيد بن معاوية.
وستنحى جيوش أخرى إلى الجنوب. فكانت نقطة عمر أن تحرك الجيوش الإسلامية إلى فارس
في أكثر من اتجاه حتى لا يساعد الفرس بعضهم بعضاً، بل كل طرف يحارب من يهاجمه.
وقد حققت هذه الجيوش مهامها وسيطرت على الحضبة الإيرانية وبذلك دخلت المنطقة مرحلة
جديدة من تاريخها هي المرحلة الإسلامية.

1 - ابن أعمش الكوفي، المصدر السابق، ج2، ص314-315. البلاذري، المصدر السابق، ج1، ص436 وما بعدها.
لرج، المرجع السابق، ص241-243.



— الفتوحات في الجبهة الشرقية.

— الفتوح في منطقة ما وراء النهر.

كان اليونان يطلقون على منطقة ما وراء النهر اسم ترانس أوكسانيا Transoxania، وهي التي تقع بين نهر أموداريا Amudarya (جيجون) وسرداريا Syrdaria (سيحون). وقد تكونت في هذه المناطق ممالك مستقلة غير واضحة الحدود، منها: مملكة الختل وهي على تخوم السند ومملكة الصغد، ومن أشهر مدنها بخارى وسمرقند والصغانيان وأعمالها متصلة بترمذ، ومملكة خوارزم، ومن بلاد ما وراء النهر الشاش وفرغانة، ومنذ سقوط امبراطورية كوشان Kushan أصبحت هذه المناطق تحكم من قبل أمراءها المحليين.

بدأ العرب منذ أن توطلدت أقدامهم في خراسان يقومون بغزوات إلى بلاد ما وراء النهر، ثم يعودون إلى مراكزهم في خراسان شتاءً، وكان الوالي بسلم بن زياد (62-63هـ) أول من عبر النهر وأقام في الشتاء هناك.

لم تأخذ عمليات فتح بلاد ما وراء النهر شكلاً منظماً إلا في خلافة الوليد بن عبد الملك، ففي مستهل خلافته سنة 86هـ ولي الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان عوضاً عن الفضل بن المهلب.

إن المنجزات العسكرية التي تحققت على يد قتيبة كافية لأن تضعه في مصاف كبار قادة الفتح العربي أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة وغيرهم، ولعل أبسط ما يمكن أن يساق للدلالة على صحة هذا الادعاء هو أن الفتح في هذه المنطقة لم تمتد بعد مقتله سنة 96هـ إلى أبعد من هذا المدى الذي وصلت إليه على يديه. ففي سنة 87هـ غزا بيكند وهي أدنى مدن بخارى إلى النهر وتعرف بمدينة التجار، واستطاع أن يفتح هذه المدينة بعد قتال شديد. وفي سنة 89هـ مضى قتيبة إلى بخارى

لقتال ملكها، ولكنه لم يظفر منه بشيء فرجع إلى مرو وكتب إلى الخجاج بذلك، فطلب إليه الخجاج أن يصورها له، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه بخطة لفتحها. ويبدو أن فتح بخارى كان سنة 90هـ وبعد بخارى فتح سمرقند، فدخلها وأحرق أبنائها وبنى فيها مسجداً، وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون عند خوارزم وصالحه ملكها سنة 93هـ؛ كما امتدت إلى الممالك الواقعة قرب نهر سيحون المتاخمة لبلاد الترك، فغزا النشاش وفرغانة سنة 95هـ وساعده في معاركه هذه أناس من أهل الصغد وخوارزم. وبعث جيشاً إلى كاشغر وهي أدنى مدائن الصين، وأوغل حتى بلغ قرب حدود الصين، وفي هذه الغزوة وصل الخبر إلى قتيبة بموت الوليد بن عبد الملك، فلم يستطع أن يسير أكثر من ذلك، وكان عليه أن يتوقف ليعرف ما سيكون عليه الحال زمن الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك. كان من العوامل التي ساعدت قتيبة على تحقيق إنجازاته العسكرية، استغلاله للخلافات المتعددة، التي كانت قائمة بين حكام المدن والمقاطعات العديدة وتنازع مصالحهم وتآمرهم على بعضهم، كما أنه كان ببصرة القائد الحنك، يربط هؤلاء الحكام بمعاهدات صلح تنص على الإقرار بالخضوع، ودفع ما يتفق عليه من الأتاوة، ويستقبلهم في إماراتهم، فبمضي بذلك غرورهم ويحول دون تجديد ثورتهم عليه ليستعيدوا سلطانهم الذي سلبهم إياه.



- الفتح في منطقة السند:

لا يسهب المؤرخون في الحديث عن الفتح في منطقة السند، قبل خلافة الوليد بن عبد الملك، وإذا استثنى البلاذري لا يوجد عن هذا الأمر معلومات عند المؤرخين الآخرين الذين يبحثون أمور الفتح. ويذكر البلاذري أن الخليفة عثمان بن عفان كتب إلى واليه علي العراقي عبد الله بن عامر بن كريب، يأمره أن يوجه إلى مكران ثغر الهند شخصاً يستطلع أحوالها، وعاد رسول ابن كريب إلى عثمان، وأخبره بأن «مائها وشل، وعمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا» فعرف عثمان عن غزوها، ولم يتم فتح مكران إلا في عهد ولاية زياد بن أبيه على العراق (45-53هـ). واستمرت العمليات العسكرية فيما يسميه العرب بـثغر الهند إلى زمن عبيد الله بن زياد، فلما كانت ولاية الحجاج بن يوسف على العراقين (75-95هـ) وثى الحجاج محمد بن القاسم الثقفي السند وكان قبلها بفارس، وأمره أن يسير إلى الري وأن يقيم في شيراز بانتظار قدوم الإمدادات إليه، وفعلاً أرسل إليه ستة آلاف مقاتل وجهزهم بكل ما يحتاجون إليه حتى المسال والإبر والخيوط، وكان سير محمد سنة 89هـ، وكانت أولى معاركه المهمة المعركة التي انتهت بفتح الديبل (كراتشي اليوم) فبعد أن نزل الديبل وافته السفن التي كانت تحمل الرجال والسلاح وأدوات الحصار، وبعد حصار طويل ورمي كثيف بالمنجنيق افتتح المدينة عنوة، فحطم كثيراً من أصنامها، وحرب بعض معابدها، واستبقى فيها حامية قوامها 4000 مقاتل وبني فيها جامعاً، وكان الحجاج في أثناء عمليات محمد ضد الديبل على صلة دائمة به، ويرسل إليه بتوجيهاته وتعليماته كل ثلاثة أيام.

بعد فتح الديبل سار محمد باتجاه الشمال، وفتح بعض المدن صلحاً وبعضها عنوة، وبلغ «داهر» ملك السند سير محمد إليه فاستعد للقاءه، وجمع جيشاً كبيراً وزوده

بالقبيلة ليهب نجيل العرب، وجرى قتال شديد بين محمد بن القاسم وداهر، لاقى فيه داهر حتفه بعد أن قُتل كثير من أصحابه.

بعد مقتل داهر غدا محمد سيد بلاد السند ودخل عاصمتها «الرور» عنوة، ثم قطع محمد لمر عباس الذي يؤدي إلى الملتان، المدينة المقدسة الغنية التي سماها العرب بيت الذهب، ويدعو أن سبب غناها هو الصنم الكبير (البد) الذي كان فيها والذي كان الناس يحجون إليه ويقدمون إليه الهدايا والنفائس. بعد أن فتح محمد الملتان توغل في فتوحاته حتى وصل كشمير، وقد كان لوفاء الحجاج بن يوسف الثقفي والوليد بن عبد الملك سنة 96هـ، والنهاية المؤلة التي لقبها محمد بن القاسم في خلافة سليمان بن عبد الملك أثرها في توقف الفتوح في تلك المنطقة⁽¹⁾.

-الفتوحات في جرجان وطبرستان.

فلت جرجان بعيدة عن المخططات العسكرية، حتى كانت ولاية يزيد بن المهلب على خراسان (97-99هـ) في خلافة سليمان بن عبد الملك، ويدعو أن الظروف الداخلية في جرجان والتراع الذي نشب بين المرزبان وجماعته من الترك من أهلها هو الذي مهّل مهمة يزيد، فسار بعد وصوله إلى خراسان بجيش عظيم حتى نزل بدهستان (بلد قريب من جرجان) فحاصرها وقطع المواد عنها، فأرسل (صول) إلى يزيد يسأله الصلح على أن يؤمنه على نفسه وماله وأهل بيته، ويدفع إليه المدينة وأهلها وما فيها، فقبل يزيد ذلك، ثم توجه إلى جرجان فلقاه أهلها بالأثأوة التي كان سعيد بن العاص في خلافة عثمان قد صالحهم عليها، فقبلها وتوجه إلى طبرستان، بخوي بحر قزوين وهي منطقة جبلية متبعة حصينة، وكان حاكمها يعرف بالأصبهيد، فلما جاء الإسلام وافتتحت المدن المتصلة بطبرستان، كان يصالح على الشيء اليسير فيقبل منه لصعوبة المسالك إليها، فلما جاءه يزيد استعان الأصبهيد بالديلم فقاتله يزيد أياماً ثم

1 - البلاذري، المصدر السابق، ج1، ص607.

صاحبه الأصبهيد على مال اختلف المؤرخون في مقداره، وعلى أن يوجهوا إليه في كل عام 4000 رجل، على كل رجل برنس وطيلسان وجام فضة وكسوة.

عاد يزيد إلى جرجان، وقتل عدداً كبيراً من أهلها لنكثهم العهد وغدرهم، وقتلهم عامله عبد الله بن معمر اليشكري والحامية التي كان يزيد قد تركها معه وعدد أفرادها أربعة آلاف، وهذا ما يعرف عند المؤرخين بفتح جرجان الثاني، وبعد انتهائه من عملياته العسكرية، قام ببناء مدينة جرجان التي صارت من أعظم المدن وأشهرها.

وهكذا كان للحروب البيزنطية الساسانية دور في إضعاف قوة الفرس، وتشجيع العرب للتوسع على حسابهم، مستغلين الظروف الداخلية التي تعاني منها الدولة الساسانية وخاصة الصراع على العرش الملكي الذي انتهى بقتل كسرى الثاني (أبرويز)، ووصول ملوك ضعاف لم يكونوا على قدر كاف من الحنكة السياسية، والقوة العسكرية التي تمكنهم من حماية بلادهم، كما كان لوقوف العرب مع بني جلدتهم دور في إحراز النصر على الفرس وإخضاع الهضبة الإيرانية للسيطرة الإسلامية.



كما تم عرض التطورات الاجتماعية والثقافية للمنطقة والتي شهدت تطوراً كبيراً، مختلفاً
بمعالماً، فتوضحت طبقات المجتمع ونشاطاتها وعاداتها وتقاليدها، وألقي الضوء على الفكر الديني في
إيران وتطوره والإرهاصات التي تعرض لها وأثره في الحياة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك تم الكشف
عن التطور العمراني الذي ما زالت بقاياه شاهدة على عظمته حتى يومنا هذا، من قصور ومنشآت
ومار دسم عليها أو نحت من موضوعات عبوت عن فكر الإنسان في الحضبة الإيرانية، وتطلعاته ورقبه
ودقته في معالجة ما صبا إليه في فكره.

وازدهرت الحياة الاقتصادية بكل مجالاتها من زراعة وحرف وتجارة، إذ انتشرت الأراضي
الزراعية على أجزاء مختلفة من المنطقة وتنوع مناعها وازدهرت محاصيلها، فكشف النقاب عن ملكية
الأرض وطرق استثمارها واستصلاحها، وفوائن العمل بها وطرق توزيع نتائجها والضرائب المترتبة
عليها، بالإضافة إلى الزراعات الجديدة، وطرق الري، وأثرها في ازدهاد مساحة الأراضي المزروعة،
وهذا يدل على اهتمام الفرس بالزراعة، لدورها الكبير في توفير الأموال اللازمة لبناء قوتهم.

كما نالت الحرف اهتماماً كبيراً من خلال الكشف عن مختلف الحرف والصناعات التي
ازدهرت وتطورت في المنطقة، ودورها في تطور البلاد وازدهارها، وتأثيرها على نواحي المجتمع
المختلفة، بالإضافة إلى نشاط الدولة في دعم الحرف الثقيلة التي تستلزم بذل الكثير من الأموال والجهد
من أجل تحقيق تقدم ملموس في صناعاتها، وهذا ما جعل الدولة تقيم ورشات لإنتاج هذا النوع من
الحرف، ونتيجة لتراكمي المراكز والأصقاع، كان من الصعب على الدولة أن تمارس احتكاًراً معيناً على
الحرف. وهكذا شجع الفرس الحرف فتحسنت أنواعها وتنوعت. كما حظيت التجارة بالنصيب
الأوفر من اهتمامات الفرس الاقتصادية، وبقيت الحضبة الإيرانية من أهم المراكز التجارية العالمية،
واستمرت تمتلك معظم الطرق التجارية،

وتعطي الاهتمام بالتجارة، من خلال إنشاء الطرق وإصلاحها، وتدعيم العلاقات التجارية مع الدول الأخرى، وسك النقود، الذي أسهم بكل تأكيد في دفع الحركة التجارية إلى الأمام. ومن خلال تتبع نشاط التجارة الداخلية والخارجية، يمكن الاستنتاج أن الدولة أو الملك لم يفرض عليها أية قيود أو ضوابط معينة، لحماية الإنتاج المحلي، أو مراعاة لمصالح الملك على غرار ما كان في مصر البطلمية، ماعدا الضرائب التي فرضت على مزاولة الفلحة، وغيرها من الفرائض التي تتصل بالتجارة، وينقلها وعرضها في الأسواق.

إن التقدم الذي حققته ممالك الحضبة الإيرانية في الزراعة، والحرف، والتجارة، أدى لوجود ضرائب عينية ونقدية، وقد اختلفت المدفوعات تبعاً للدخل، والوضع الاقتصادي، الذي وجد في المملكة، وهذا يدل على حرص الدولة على راحة شعبها.

وهكذا أثرت المظاهر الحضارية في بعضها البعض، وأسهمت في الاستقرار البشري ودعم التراث الحضاري في إيران، بالرغم من تعرض دولها للتمردات الداخلية، والخلافات داخل الأسرة الحاكمة حول السلطة، والحروب المستمرة مع اليونان والرومان وغيرهم، مما خلخل الوضع الاجتماعي والوضع الاقتصادي فبدأ الضعف والانقسام يهدد استقرارها وأمنها لصالح ظهور دولة منافسة جديدة هي الدولة الإسلامية التي فتحت البلاد ونشرت الإسلام في ربوعها، وأسدت الستار على مرحلة تاريخها القديم لتبدأ مرحلة جديدة هي المرحلة الإسلامية التي سنشهد خلالها الحضبة الإيرانية أحداثاً جسيمة.

وأخيراً يمكننا القول: إن الحضبة الإيرانية شغلت دوراً مهماً في التطور التاريخي والحضاري للشرق القديم، فأسهمت في الحفاظ على الشخصية الحضارية المستقلة للمنطقة، وطبعها بطابع حضاري خاص، أرست بموجبه أصول الحضارة الإنسانية المستقرة، في جميع مظاهرها المادية والمعنوية منذ بداية استقراره فيها، وقد اتفق العلماء

على أولوية منطقة الشرق القديم ومنها إيران على بقية أجزاء العالم في الشرق والغروب، في التوصل إلى المدنية الراقية، وهذا لا ينفي التأثير والتأثير؛ فالأمم جميعها دائنة ومدينة في تراث الحضارة الإنسانية، وما من أمة لها تاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من ذلك التراث.



– الملاحق.

– الملوك الأخمينيون.

– الملوك السلوقيون.

– الملوك الفرثيون.

– الملوك الساسانيون.

– النقود الفرثية.

– النقود الساسانية.

– العمارة الأخمينية.

– الفن الفرثي.

– الفن الساساني.

– الملوك الأخمينيون

اسم الملك	سنوات حكمه
أخمينوس	
نيسبس	675-640 ق.م
قوروش الأول	640-600 ق.م
قمبيز الأول	600-559 ق.م
فوروش الثاني	559-530 ق.م
قمبيز الثاني	529-522 ق.م
سمرديس	522 ق.م
داريوس الأول	521-486 ق.م
كسر كسيس الأول	485-465 ق.م
أرتاكسيس كسيس الأول	464-425 ق.م
كسر كسيس الثاني	424 ق.م
سر جديانوس	424 ق.م
داريوس الثاني	423-405 ق.م
أرتاكسيس كسيس الثاني	404-359 ق.م
أرتاكسيس كسيس الثالث	358-338 ق.م
أرسيس	337-336 ق.م



1- ... زاهد (عبد الحميد): الشرق الخالد من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص 705-706.

- الملوك السلوقيون

اسم الملك	سنوات حكمه
سلوقس الأول نيكاتور	312-281 ق.م
أنطيوخوس الأول سوتر	281-261 ق.م
أنطيوخوس الثاني ثيوس	261-246 ق.م
سلوقس الثاني كالينيكوس	246-225 ق.م
سلوقس الثالث سوتر	225-223 ق.م
أنطيوخوس الثالث الكبير	223-187 ق.م
سلوقس الرابع فيلباتور	187-175 ق.م
أنطيوخوس الرابع أيفانيس	175-164 ق.م
أنطيوخوس الخامس يوباتور	164-162 ق.م
ديميتريوس الأول سوتر	162-150 ق.م
الإسكندر بالاس	150-145 ق.م
ديميتريوس الثاني نيكاتور	145-139/38 ق.م
أنطيوخوس السادس أيفانيس	145-142 ق.م
أنطيوخوس السابع سيديس	139-129 ق.م

الإسكندر الثاني زابدياس	123-128 ق.م
أنطيوخوس الثامن جريبوس وامه كليوباترا ثيا	125-121 ق.م
سلوقس الخامس	125 ق.م
أنطيوخوس الثامن جريبوس	121-96 ق.م
أنطيوخوس التاسع كبير يكتوس	115-95 ق.م
سلوقس السادس ابيفانس نيكاتور	96-95 ق.م
أنطيوخوس العاشر يوسيبوس فيلوباتور	95-83 ق.م
ديمتريوس الثالث يوساروس فيلوباتور موتير	95-88 ق.م
أنطيوخوس الحادي عشر فيلاذلفوس	92 ق.م
فليب الأول فيلاذلفوس	92-83 ق.م
أنطيوخوس الثاني عشر ديونيسوس	87-84 ق.م
مقوط سوريا بيد الملك	83-69 ق.م

	تيجران الكبير ملك أرمينيا
69-64 ق.م	أنطيوخوس الثالث عشر الأسبوي
65-64 ق.م	فلپ الثاني

المصادر:

Finegan, J., Light from the Ancient Past the Archeological Back round of Judaism and Christianity, 2nd Ed. (London: Oxford university press, 1959) P.245.

- الملوك الفرثيون

الاسم اليوناني	سني حكمهم
أرساكيس الأول	211-238 ق.م
أرساكيس الثاني	191-211 ق.م
بربانيوس	176-191 ق.م
فراثيس الأول	171-176 ق.م
ميثراداتيس الأول	138-171 ق.م
فراثيس الثاني	127-138 ق.م
أرتابانوس الأول	124-127 ق.م
ميثراداتيس الثاني	88-123 ق.م
غوثارزيس الأول	87-95 ق.م
أورودس الأول	77-90 ق.م
سناندروميس	70-77 ق.م
فراثيس الثالث	57-70 ق.م
ميثراداتيس الثالث	54-57 ق.م
أورودس الثاني	38-57 ق.م

50 ق.م	باكروس الأول
2-38 ق.م	فرائيس الرابع
27-29 ق.م	فريدانيس
1 ق.م-2م	فرائيس الخامس
6م	أورودس الثالث
12-8م	فونونيس الأول
38-10م	أرتبانوس الثاني
45-40م	فردانوس الأول
51-40م	غوثارزيس الثاني
51م	فونونيس الثاني
78-51م	فولوغاميس الأول
58-55م	فردانوس الثاني
105-78م	باكروس الثاني
90-80م	أرتبانوس الثالث
147-105م	فولوغاميس الثالث
116م	بارثاماسينيس
140م	ميتراداتيس الرابع
191-147م	فولوغاميس الرابع

١٩٠م	عمره الثاني
٢٠٨-١٩١م	فولوغاسيه الخامس
٢٢٨-٢٠٨م	فولوغاسيه السادس
٢٢٤-٢١٦م ^(١)	أرتابانوس الرابع

١ - حداديان، المرجع السابق، جلد دوم، ص ١١٣٩-١١٤٣.

- الملوك الساسانيون

اسم الملك	سني حكمه
أردشير الأول	226 - 241 م
سابور الأول	241 - 272 م
هرمز الأول	272 - 273 م
بهرام الأول	273 - 276 م
بهرام الثاني	276 - 293 م
بهرام الثالث	293 -
نرسي	293 - 303 م
هرمز الثاني	303 - 310 م
سابور الثاني	310 - 379 م
أردشير الثاني	379 - 383 م
سابور الثالث	383 - 388 م
بهرام الرابع	388 - 399 م
يزدجرد الأول	399 - 420 م
بهرام الخامس	420 - 438 م
يزدجرد الثاني	438 - 457 م
هرمز الثالث	457 - 459 م

484 - 459م	فهرز
488 - 484م	بالاش
531 - 488م	قباز الأول
579 - 531م	كسرى أنوشروان
590 - 579م	هرمز الرابع
628 - 590م	كسرى الثاني
-628	قباز الثاني
632 - 628م	أردشير الثالث
651 - 632م	يزدجرد الثالث

بإتباع المرجع السابق، صفحات متعددة.

- النقود الفرثية



Arsaces I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p47.



Arsaces II

رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 693.



Priapatis

رضائي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 694.



Phraates I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p47.



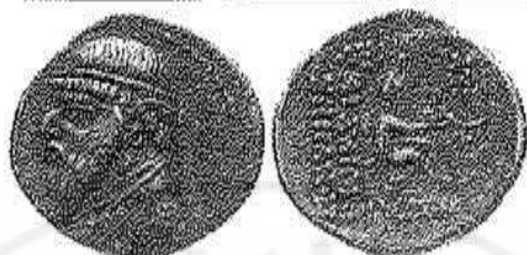
Phraates II

[www. Ancient imports .com](http://www.Ancientimports.com), 8139



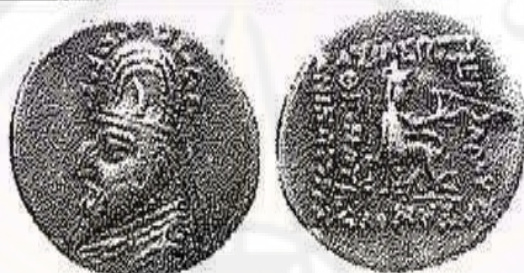
Artabanus I

[www. Ancient imports .com](http://www.Ancientimports.com), 8137.



Mithradates II

www.Ancientimports.com, 8288



Gotarzes I

www.Ancientimports.com, 8136



Orodes I

www.Ancientimports.com, 9535



Sinatruces

رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 696.



Mithradates III

[www. Snible. Org.](http://www.Snible.Org)



Orodes II

[www. Ancient imports .com](http://www.Ancientimports.com), 9539.



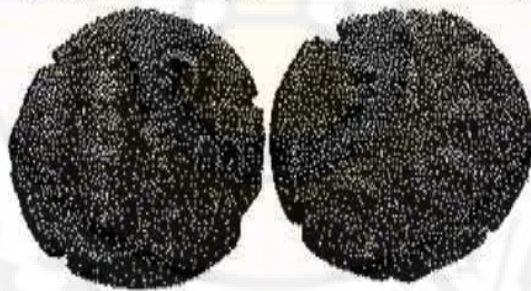
Pacorus I

رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 686.



Phraates IV

رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 697.



Orodes III

www. www. Ancient imports .com, 4878.



Voonones I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p143.



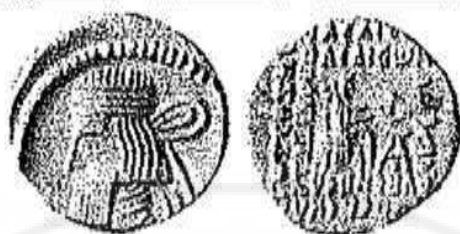
Artabanus II

www. www. Ancient imports .com, 9362



Vardanes I

Rawlinson. Op cit , Volume III, p143.



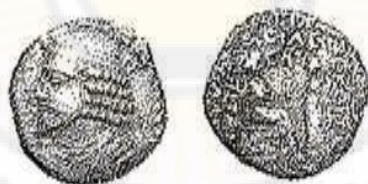
Gotarzes II

Upham and Phyllis, op^{cit}, vl, p143.



Vonones II

رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 699.



Vologases I

www.vcoin.com, 0.



Vardanes II

www.vcoin.com, 0.



Pakoros II

www.Ancientimports.com, 8138



Artabanus III

www.Ancientimports.com, 9362



Osroes I

رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 700.



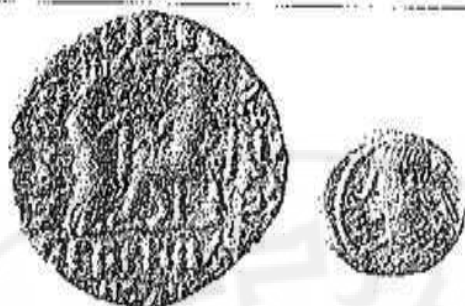
Mithradates IV

Rawlinson. Op cit , Volume III, p169.



Osroes II

[www. Ancient imports .com](http://www.Ancientimports.com), 3296



Artabanus IV

Upham and Phyllis, op, cit, v1, p144.

- النُقود الساسانية

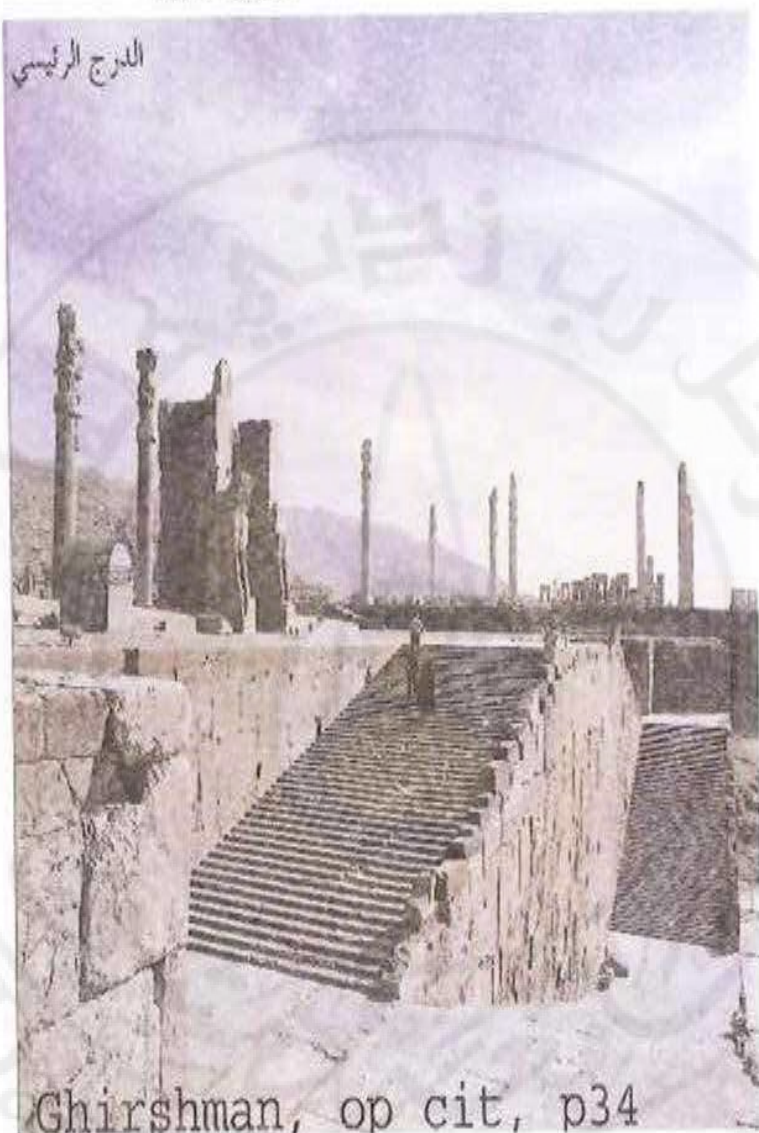
 Shahpur I. 241-272 AD	 Ardeshir I. 224-240 AD.
 Varahran II, 276-293 AD	 Varahran I. 271-274 AD
 Hormizd II. 303-309 AD	 Nerseh 293-302 AD
 Varahran IV. 388-399AD	 Shahpur III. 383-388 AD

 Peroz, 457/9-484 AD	 Yazdgard I, 399-420 AD
 Zamasp 497-499 AD	 Valkash 484-488 AD
 Kavad II, 628 AD	 Khusro II, 591-628 AD
 Khusro IV, 631-633 AD	 Ardeshir III, 628-630 AD

<http://www.vcoins.com/ancient/parscoins/store/listCategoriesAndProducts.asp?idcategory>
الأربعاء 2009/3/18م الخامسة و 46 دقيقة.

- العمارة الأخمينية

الدرج الرئيسي



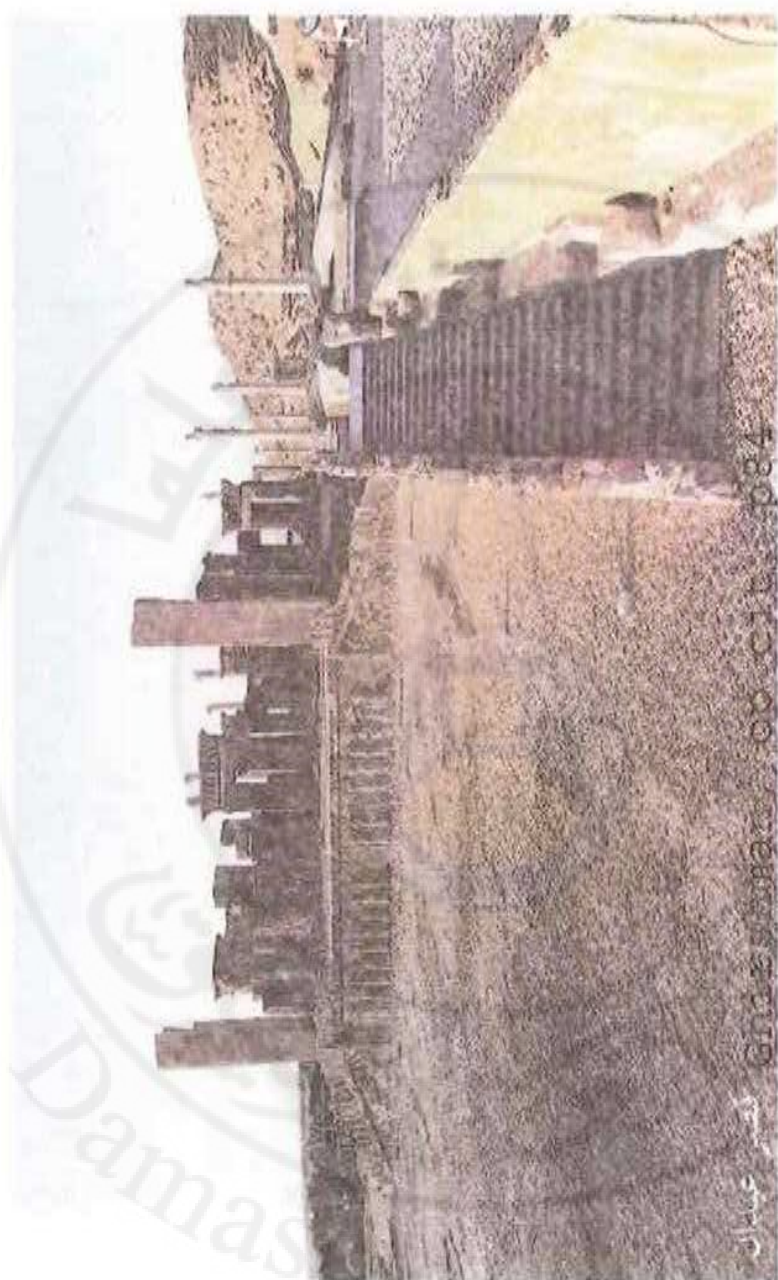
Ghirshman, op cit, p34



Ghirshman, *op cit*, p58



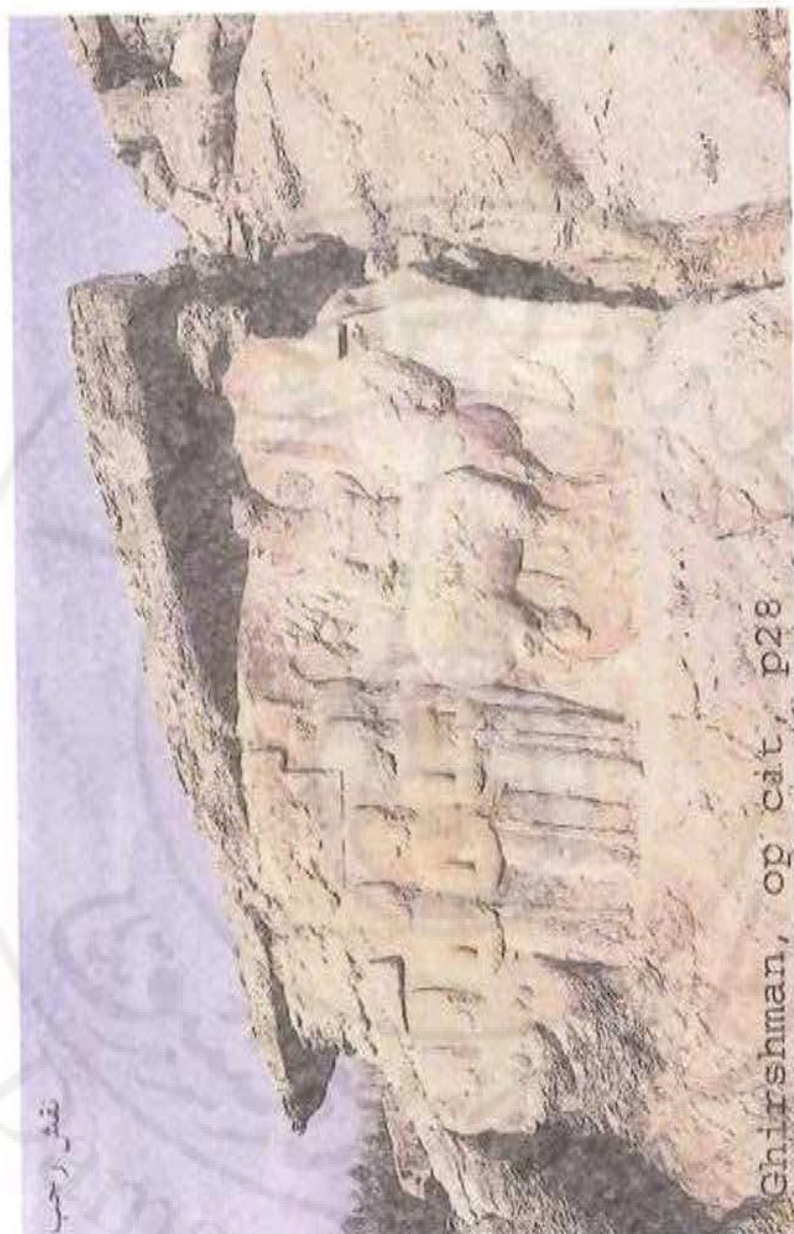
Chutesmen, op cit, p58





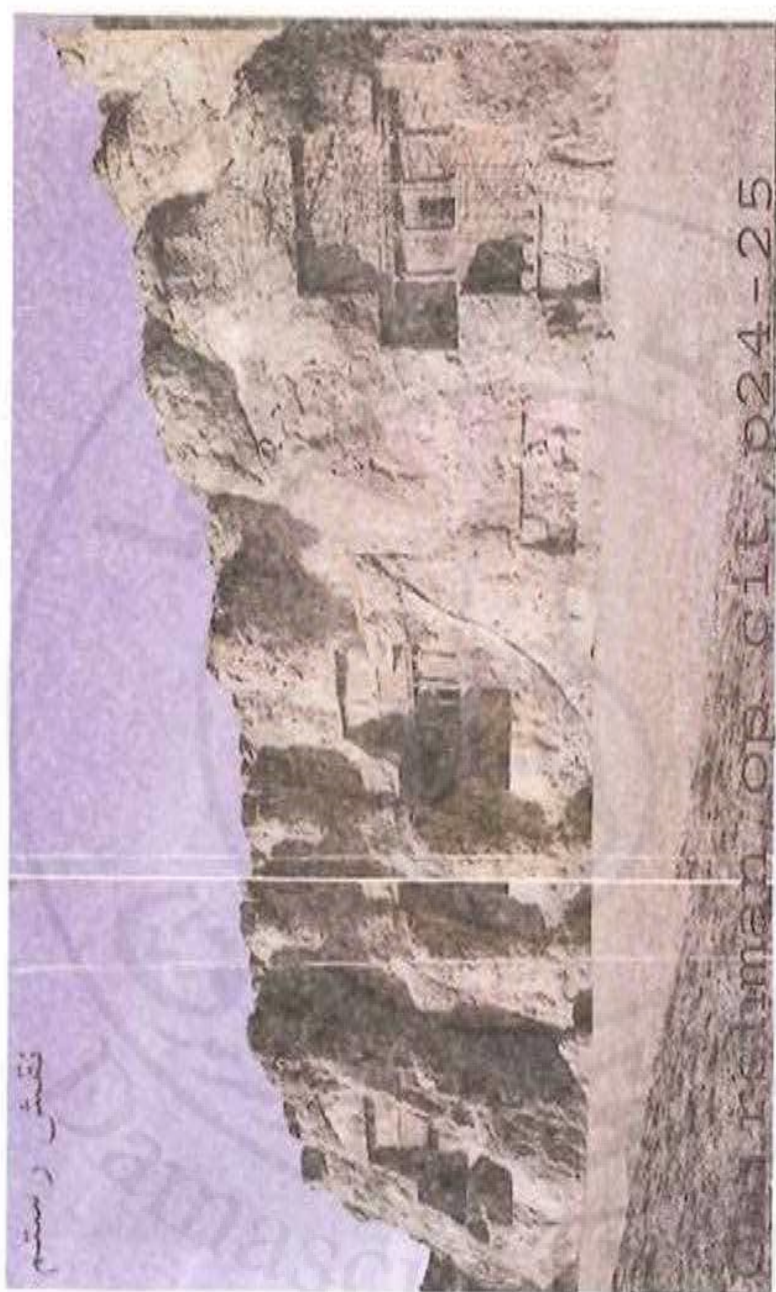


Chirshman, op cit, p59



نقش رجب

Chirshman, op. cit., p28





نص حقوق الإنسان الذي وضعه قوروش

– الفن الفرثي



(1)



(2)

1 – رضایی، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص 692.

[http:// www. farhangstra. Com](http://www.farhangstra.Com) ,

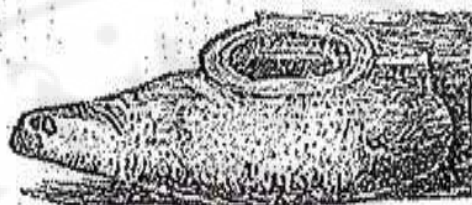
2 – خدادیان، المرجع السابق، جلد دوم، ص 1380.



1 - كالج، المرجع السابق، ص 165.

[http:// www. Iranchamber. Com.](http://www.Iranchamber.Com)

[http// www. Met museum. Org.](http://www.Metmuseum.Org) - 2



Rawlinson, op, cit, Volume III, p243. -1
348

- الفن الساساني



لوحة تعود للشاه الساساني قبل الأول (488-531م) مطبوعة على قطعة نقدية

وحداني، مكتبة تاريخ إيران، جلد هفتم، ص 509.



أثر فل من البرونز، من العصر النبطي، من المتاحف في دمشق، 331-332 م.

مكتبة، تاريخ الفن في سورية، ج 1، ص 331.



لوحة تمثل الزهرة المهيمنة الهة الخصيب.

Gardeshgary persia turizm magazine vol 4, no13 p



آنية فضية رسم عليها نسرًا اصطاد غزالاً.



كأس شراب فضي، على هيئة رأس جواد.

«كتلة، تاريخ الفن الفارسي، ج ١، ص 338.



لوحة منقوشة على الحجر تمثل عزف عدة نسوة على القيثارة.

Cardinal's copy from the Vatican Museums vol. 4, no. 12 p.



- المصادر والمراجع:

- المصادر العربية.

- ابن أعثم الكوفي (أبو محمد أحمد): كتاب الفتوح، تحقيق علي شبري، ط1، دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1991م.
- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة، بيروت، د. ت.
- البروني (أبو ربحان محمد بن أحمد): الآثار الباقية عن القرون الخالية، لايزيك، 1878م.
- الجيهشماري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس): الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقاء، دار الفكر للحديث، بيروت، 1988م.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1985م.
- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- الطباطبائي (محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م.
- الطبري، (محمد بن جرير بن يزيد): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ط2، 1967م.

- ... مار ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمسون، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ط 1، حلب، 1996م.
- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط 1، إيران، 1984م.
- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق فاسم الشامي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1989م.
- ابن مسكويه (أحمد بن محمد): تحارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار مدرّس للطباعة والنشر، طهران، 1987م.
- المقدسي (المظهر بن طاهر): البلد والتاريخ، باريس، 1903م.
- ابن النديم، كتاب الفهرست، بيروت، ط 3، 1988م.
- ... هيرودوت، التاريخ، ترجمة عن الروسية سترانوفسكي غ. أ.، لينينغراد، 1972م.
- هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، الجمع الثقافي، الإمارات، 2001م، الكتاب الأول.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م.
- المراجع العربية والمعرية:
- أنثاسيو (منري هاجي): سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط 1، 1997م.
- إسماعيل (فاروق): البارثيون، الموسوعة العربية، دمشق، ط 1، 2004م.
- إسماعيل (فاروق): برسيوليس، الموسوعة العربية، دمشق، ط 1، 2004م.

- إسماعيل (أحمد عني): تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م.
- أسود (عبد الرزاق): نذخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
- باقر (طه): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (حضارة وادي النيل، جزيرة العرب، بلاد الشام وبلاد إيران، الإسكندر، السلوقيون، اليونان، الرومان) دار المعلمين العالمية للطباعة، ط2، 1955م.
- باقر (طه): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، 1956م.
- بدر (أحمد): تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، عالم الفكر، 2001م، العدد4.
- بدوي (أحمد): هيرودوت يتحدث عن مصر، القاهرة، 1966م.
- بدوي (أمين عبد المجيد): القصة في الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- برانستون (ديفيد)، فرانك (إبرين)، طريق الحرير، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة الأهرام، مصر، 1986م.
- براون (إدوار): تاريخ الأدب في إيران، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ط2، 2001م.
- هتسي (عفيف): موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، دار الرائد العربي، لبنان، ط1، 1982م.
- بونغارد - ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ترجمة جابر أبي جابر، بحري الضامن، دار التقدم، موسكو، 1988م.

- بويس (ماري): الرزادشتية، ترجمة ستيلين كامنسكلغا، موسكو، 1987م، بالروسية.
- بيرنيا(حسن): تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم السباعي محمد السباعي، مراجعة وتقديم يحيى الحشاش، دار الثقافة، الفجالة، مصر، ط2، 1992م.
- بيضون (جميل) ، عودات (أحمد)، الناطور (شهادة): مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، دار الأمل، أربد، ط1، 1989م.
- جاكسون (دونالد): تاريخ الكتابة، ترجمة محمد علام خضر، نشر وزارة الثقافة، سورية، 2007م.
- جبران (نعمان محمود)، محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص طريق الحرير طريق الحوار، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39-40.
- جلوب (جون باجوت): الفتوحات الكبرى، تعريب حمدي حماد، دون تاريخ.
- جمعة (بديع محمد): من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
- جالوم (نور الدين)، طرين (أحمد)، عاتل (نبية)، مدني (صالح)، المدخل إلى التاريخ، دار الإنشاء، دمشق، 1964م.
- حاوي (إيليا): أيسخيلوس، دار الكتاب اللبناني، 1980م.
- حداد (جورج): المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، 1958م.
- حميد (فوزي محمد): عالم الأدباء بين الأسطورة والحقيقة، دار حطين، دمشق، ط1، 1993م.

- خريسات (محمد عبد القادر) وآخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، مؤسسة حمادة، أريد، الأردن.
- الخشاب (يحيى): التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م.
- عياطة (محمد وحيد)، علاقات تدمير الخارجية تجارياً ودينياً، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمير وطريق الحرير، المديرة العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42.
- درادكة (صالح): العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1992م.
- دهاكوف (ف)، كوفاليف (س): الحضارات القديمة، ترجمة نسيم اليازجي، سورية، 2000م.
- رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، ط 1، 1955م.
- رمضان (عبد علي): تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى شعبي حملة الإسكندر الأكبر، دار لمضة الشرق، القاهرة، ط 1، 2002م.
- رو (جورج): العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط 2، 1986م.
- زايد (عبد الحميد): الشرق الخالد من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.
- زيهنر (ر.س): الزرادشتية "الفجر - الغروب"، نقله إلى العربية وقدم له مهيل زكار، دار التكوين، دمشق، 2005م.

- سارة (عليل): تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، دمشق، 2008م.
- سارة (عليل): دراسات في تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، 2001-2002م.
- سغفان (كامل): معتقدات آسيوية، العراق، فارس، الهند، دار الندى، القاهرة، 1999م.
- سكر (إبراهيم): أيسخيلوس، الهيئة المصرية للكتاب، 1972م.
- سليم (أحمد أمين): دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم "العراق، إيران"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م.
- سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.
- الشاعر (محمد فتحي): السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستنيان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.
- شعث (شوقي)، طريق البحور والحرير، مجلة الخواص الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمير وطريق الحرير، المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42.
- الشيخ (رافقت): تفسير مسار التاريخ، عون للدراسات، مصر، 2000م.
- الصباغ (إيلي): دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1988م.
- العابد (مفيد رائف): معالم تاريخ الدولة الساسانية، دار الفكر، دمشق، 2005م.
- العابد (مفيد): سورية في عصر السلوقيين، دار شمال، دمشق، 1993م.
- عارف (عائدة سليمان): مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972.
- عبد القادر (حامد): زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة تحفة مصر، الفحالة، القاهرة، ط 1، 1956م.

- عبد الله (فيصل)، مرعي (عيد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، جامعة دمشق، 2007م.
- عبد الله (فيصل)، مرعي (عيد): المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الروضة، ط1، دمشق، 2007-2008م.
- عبد الوهاب (لطفي يحيى): العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، 1990م.
- العربي (السيد الباز): الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.
- أبو عساف (علي)، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، عدد خاص طريق الحرير - طريق الخوار، دمشق، كانون الأول، 1991م، العدد 39 - 40.
- عصفور (محمد أبو المحاسن): معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، د. ت.
- عصفور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، مكتبة الإسكندرية، د. ت.
- عطية (فيليب): تراثهم زرادشت من كتاب الأفسنا المقدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
- عكاشة (نروت): الفن الفارسي القديم، دار المستقبل، لبنان، ط1، 1989م.
- العلان (أرواد): المملكة الفارسية (الإيرانية) منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، دمشق، 2008م.
- علي (عبد اللطيف أحمد): مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970م.
- علي (فاضل عبد الواحد): من سومر إلى التوراة، القاهرة، ط2، 1996م.
- غزاله (هديب): الدولة البابلية الجديدة، 626 - 539 ق.م، دار الأهالي، سورية، 2001م.
- فخري (أحمد): دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1990م.

- فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة، مطبعة جامعة دمشق، 2004/2003م.
- فرج (محمد): الفتح العربي للعراق وفارس، تقديم أحمد حسن الباقوري، دار الفكر، المطبعة العالمية، القاهرة، 1966م.
- فرزات (محمد حرب)، مرعي (عبد): دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دمشق، ط1، 1990م.
- فرزات (محمد حرب) مدخل إلى تاريخ فارس القديم وحضارتها، دمشق، 1989م.
- فريدرش (يوهانيس): تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد الظاهر، دار الثقافة، دمشق، 2004م.
- فيل (أرنست)، تدمر وطريق الحرير، ترجمة إيمان سندهان، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سورية، 1996م، العدد 42.
- فيلهلم (خيرنوت): الخوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، 2000م.
- كباديا (س، أ): تعاليم زرادشت وفلسفة الديانة الزرادشتية، ترجمة وتقديم عماد جعفر، فصلت للطباعة والنشر، حلب، سورية، ط1، 2004م.
- كريستسن (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عيد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.
- مجموعة مؤلفين، مؤلفات الإغريق القديمة، موسكو، 1986م.
- مرعي (عبد): الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42.
- مرعي (عبد): تاريخ بلاد الرافدين، دار الأنجدية، دمشق، 1991م.

- مصطفى (شاكرو): التاريخ العربي و المؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983م.
- المطهري (مرتضى): الإسلام وإيران، ترجمه عن الفارسية أحمد العبيدي، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، 2000.
- مظهر (سليمان): قصة الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- الموحى (عبد الرزاق وحيم صلال): العبادات في الأديان السماوية اليهودية، المسيحية، الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001م.
- مورتكات (أنطون): تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، د. ت.
- الموسوعة العربية، المجلد 20، مادة ميترا.
- مهران (محمد يومي): إسرائيل، الإسكندرية، 1979م.
- مهران (محمد يومي): تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996م.
- مهران (محمد يومي): دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر الكتاب الأول التاريخ، ط1، الإسكندرية، 1982م.
- الناصري (سيد أحمد علي): الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، ط3، 1981م.
- الناصري (رشيد): المدخل في التحليل الموضوعي لمقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، 1977م.
- النجار (سعيد): تاريخ الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.

- المصمم (نورة عبد الله العلي): الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992م.

-- هاب (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.

-- صبو (أحمد): الأجداد، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الخوار، اللاذقية، 1984م.

- وايدنغرين (جيو): ماني والمناوية، ترجمة سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1985م.

- وحدي (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979م.

- وصفي (عاطف): الأثر وولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.

- يحيى (نظفي عبد الوهاب): اليونان، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

-- اليوسف (عبد القادر): الدولة البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1966م.

-- المصادر الفارسية.

- ابن البختي: فارس نامه، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999م.

- الثعالبي، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل): غرر ملوك الفرس وسيرهم، زوتن بريدج،

باريس.

- العلوسي (نظام الملوك): مياست نامه (سير الملوك): ترجمة يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت.
- الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البهاري، طهران، ط1، 1970م.
- الفردوسي (منصور بن فخر الدين): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البهاري، قارلها و اكسل ترجمتها عبد الوهاب عزام، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1993م.
- المراجع الفارسية.
- اعتماد السلطنة (محمد حسن بنان): درر التيجان في تاريخ بني الأشكان، به كوشش و اتمام نعمت أحمدي، انتشارات املنس، تهران، چاپ اول، 1371.
- ايران اليوم، نشر منظمة الإعلام الإسلامي، ط1، طهران، 1991م.
- بخش (أحمد تاج): تاريخ مختصر تمدن و فرهنگ ایران قبل از اسلام، كتابخانه ملي ايران، تيراز، چاپ اول، 1381.
- بلوكياشي (علي): نوروز، جشن نوزايي آفرينش، دفتر پژوهشهاي فرهنگي، تهران، چاپ سوم، 1381.
- پورنيا (حسن): ايران باستان، دنياي كتاب، چاپ مهارت، تيراز، تهران، ايران، چاپ هفتم، 1374.
- جشمسقف، نامه ندرس، ترجمة ابن اسفنديار، تحقيق مجتبي مينوي، مطبعة مجلس، تهران، 1311هـ.
- جوان (موسي): تاريخ اجتماعي ايران باستان، دنياي كتاب، تيراز، چاپ اول، 1381.
- خداديان (آر دشير)، تاريخ ايران باستان، كتيخانه ملي ايران، تهران، 1383.

- دانش بزووة (محمد تقی): تهابة الأرب فی أخبار الفرس و العرب، أنجمن آثار ومفاخر فرهنگسي، چاپ اول، 1375 هـ.

- رضائي (عبد العظيم): گنجینه تاریخ ایران، انتشارات اطللس، چاپ اول، تهران، 1378 هـ.

- رفيع حقيقت (عبد الرفيع): نقش ايرانيان در تاريخ تمدن جهان، كتابخانه ملي ايران، كوشش، تهران، چاپ اول، 1378 هـ.

- سابهكس (ژنرال): تاريخ ايران، ترجمه محمد تقی، فخر داعی كیلائی، دنيای كتاب، تهران، چاپ آشنا، 1377 هـ.

- سمسار (محمد حسن): ایران، الموسوعة الإسلامية الكبری، لأشرف العام السيد كاظم الموسوي البجنوردي، مركز الموسوعة الإسلامية الكبری، طهران، 1989.

- شعبانی (رضا): تاريخ ایران، سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی، مركز مطالعات فرهنگي بين المللی، تهران، چاپ اول، 1381.

- فهری (أبو الحسن): فرهنگ محیط، فارسي عربي، مؤسسة چاپ وانتشارات يادواره، كتاب، تهران، 1380.

- قدياني (عباس): تاريخ فرهنگ و تمدن ايران، در دوره سلوكيان و اشكانيان، انتشارات فرهنگ مکتوب، كتابخانه ملي ايران، تهران، چاپ اول، 1383.

- گيرشمن (رومن): ايران از آغاز تا اسلام، ترجمه محمد معين، انتشارات علمی فرهنگي، تهران، چاپ پنجم، 1985 م.

- اللهی (حبيب الله آيت): تاريخ هنر، مركز مطالعات فرهنگي بين المللی، سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی، انتشارات بين المللی الهدی، تهران، چاپ اول، 1380.

- موسوعة المعرفة الإيرانية، القسم القديم، كلية الحقوق، مرتبط بمؤسسة ويستا آرا.

- نوذري (عون الله): تاريخ اجتماعي إيران، از آغاز تا مشروطيت، انتشارات خجسته، تهران،
چاپ دوم، 1381.

- المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Beals , R.L , Hoijer , H., Introduction To Anthropology ,
Macmillan publishing Company .1971.
- 2- Bosworth, The Coming of Islam to Afghanistan, Islam in Asia -
1, South Asia, ed. Y. Friedman, Jerusalem 1984.
- 3- Brown, P, The World of Late Antiquity, London, 1971 -rep
1989.
- 4- Bundy, Davidm The Life of Aberciusm New York and
London, Garland Publishing, 1999.
- 5- Encyclopedia Of World Art -- Printed In Italy -- McGraw
Revised Printing -- Hill Book Company -- London-- 1972.
- 6- Finegan, J., Light from the Ancient Past the Archeological
Back round of Judaism and Christianity, 2nd Ed.(London: Oxford
university press, 1959).
- Kidd, B. J, A History of the Church to 461 A.D, at the -7
Clarendon Press, Oxford, 1922.

8- King, L.W, and Hall, H.R, History Of Egypt, Chaldaea, Syria, Babylonia, And Assyria In The Light Of Recent Discovery, Produced by David Widger, London, 2005.

9-Ghirshman, R, & Herzfeld, Persepolis the Achaemenians Capital, Tehran, Iran.

10- Marcellinus, Ammianus, translated in Ammianus Marcellinus History, translated by J. Rolfe, Harvard University Press, Cambridge, 1963.

11- Rawlinson, George, the Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World , A History of Parthia, the Sixth Monarchy, Oxford, 2005.

12- R. G. Kent, Old Persian, New Haven ler, ed, 1950, 2nd 1953.

13- Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, Cambridge, 1953.

14- Sellwood, David, Parthian Coins, in Yarshater, E. (ed.) The Cambridge History of Iran, The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge, 1983.

15- Trimmingham J Spencer, Christianity Among the Arabs on Pre-Islamic Times – First Published, Longman, London, New York, 1979 .

- 16- Wolski, J, L'aristocratie foncière et l'organisation de l'armée parthe, *Klio* 63, 1981,



المقومون العلميون

أ.د. شكران خيربولي

أ.د. خليل مسارة

أ.د. جياغ قبابو

المقوم اللغوي

د. عبد الرحمن عبد الرحيم

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمديرية الكتب والمطبوعات.